وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة بغداد

الأديان
دراسة تاريخية مقارنة

القسم الأول
الديانات القديمة

تأليف

الدكتور
رشدي عليان و سعدون الساموك
استاذ الدين المقارن المساعد — مدرس مساعد في
كلية الآداب ـ جامعة بغداد — كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الطبعة الاولى
١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » .

الروم/٣٠

« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » .

البينة/٥

« وان من أمة إلا خلا فيها نذير » .

فاطر/٥١





جامعة بغداد

الأديان
دراسة تاريخية مقارنة

القسم الأول
الديانات القديمة

تأليف

الدكتور
رشدي عليان و سعدون الساموك
استاذ الدين المقارن المساعد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد
مدرس مساعد في
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الطبعة الاولى
١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م

توزيع أعمال القسم الأول

بين المؤلفين

رشدي عليان :

١ ــ الفصل الأول « بحوث ممهدة »

٢ ــ الفصل الثاني « الديانات المندثرة »

٣ ــ الفصل الثالث « الديانات الباقية »

د ــ البحث الرابع « الديانات الفارسية »

هـ ــ البحث الخامس « الديانة الصابئية »

٤ ــ التقديم واعداد الفهارس والمصادر والاشراف على
على الطبع

سعدون الساموك :

الفصل الثالث :

آ ــ البحث الأول « الديانات الهندية »

ب ــ البحث الثاني « الديانات الصينية »

ج ــ البحث الثالث « الديانة اليابانية »

تقـــــديم

حمداً لله ، وسلاماً على رســله الهداة

وبعـــــد :

فأن موضوع الكتاب « تأريخ الاديان المقارن » وعلم تأريخ الاديان ومقارنة الاديان من العلوم الحديثة في الغرب ، مرت الابحاث فيهما بتطورات كثيرة ، الا أن الغربيين لم يطبقوا المنهج العلمي في دراســتهم لهذا العلــم تطبيقا جادا الا منذ أواخر القرن التاسع عشر .

وأما ـ هنا ـ في الشرق فان الباحث يجد أن العرب والمسلمين قـد تركوا لنا ثروة مثرية في هذا العلــم ومباحثـه .. اغنت المكتبة العربيـة الاسلامية والعلمية قرونا طويلـة وكدليل على ذلك نذكـر بعض اسـماء المؤلفات العربية المشهورة في هذا العلم وهي :

١ ـ كتاب « جمل المقالات » لأبي الحسن الاشعري ، المتوفى ٣٣٠ هـ وقد جمع فيه جملة الفوائد التي ذكرها في كتابين سابقين له وهمـا « مقالات الاسلاميين » و « مقالات غير الاسلاميين » .

٢ ـ كتاب « المقالات في أصول الديانات »للمسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ .

٣ ـ كتاب « الاعلام بمناقب الاسلام » لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري المتوفى ٣٨١ هـ .

٤ ـ كتاب « الفصل في الملل والنحل » لابن حـزم الاندلســي المتوفى ٤٥٦ هـ .

٥ ـ كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني المتوفى ٥٤٨ هـ .

٦ ـ كتاب « اعتقاد المسلمين والمشركين » للفخر الرازي المتوفى ٦٠٦هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

« فأقم وجهــك للدين حنيفــا ، فطرة الله التي فطـر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » .

الروم/٣٠

« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين لــه الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » .

البينة/٥

« وان من أمة إلا خلا فيهــا نذير » .

فاطر/٥١

وهي كتب مشهورة جدا وغنية عن التعريف ما عدا الكتاب الثالث : ولأن عنوانه « الاعلام بمناقب الأسلام » يوحي بأن مؤلفه قد اقتصر على التعريف بمزايا الدين الاسلامي ولم يقارنه بالديانات الاخرى ، فقد رأيت ان اعرف بموضوعه تعريفا موجزا .

يعتبر هذا الكتاب محاولة رائدة في علم مقارنة الاديان . وقد لجأ مؤلفه في بيان مناقب الاسلام وخصائصه ومزاياه الى مقارنته بغيره من الاديان مقارنة منهجية ، لها اسس واضحة ، وموضوعات محددة .

أما الاديان التي اختارها المؤلف ليقارن بينها فهي الاديان الستة المذكورة في قوله تعالى : « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين اشركوا ..» وهذا يعني انه قارن بين الاديان المجوس

الاسلام ـ اليهودية ـ المسيحية ـ دين الصابئة ـ دين المجوس ـ « الزرادشتية » الشرك « تعدد الالهة او عبادة الاصنام » . واما منهجه في المقارنة فقد قام على الاسس الآتية :

١ ـ مقارنة الاديان الستة في موضوعات معينة (هي الاصول المشتركة بين تلكم الاديان وهي في رأيه : العقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والحدود ، وسماها « أركان الدين .. » .

كما بين في كتابه موقف هذه الاديان ـ ولا سيما موقف الاسلام ـ من موضوعات اخرى بالغة الاهمية : كالسياسة ، ونظام الحكم ، والطبقات الاجتماعية ، ورعاية الدولة ، والثقافة .

٢ ـ التزم المؤلف المقارنة بين العناصر المتشابهة فقط . اي ما سماه « الاشكال المتجانسة » .

٣ ـ التزم ان يتناول كل دين على اساس مبادئه المقبوله لدى جمهور المتدينين به وتجنب ان يأخذ رأي فرقة دينية واحدة في اي دين على انها تمثل اهل ذلك الدين جميعا (*) .

(*) : انظر : الدكتور احمد عبد الحميد غراب / تحقيق ودراسة / كتاب الاعلام بمناقب الاسلام لابي الحسن العامري ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٠ .

واما المنهج العام الذي اتبعه الباحثون الاسلاميــون في مؤلفاتهم ـ التي نوهنا عنها في علم الاديان ومقارنتها فهو :

عزل علم الاديان عن سائر العلوم والفنون ، ودراسته دراسة وصفية واقعية ، مستمدة من المنابع الأولى ، والمصادر الموثوقة لكل دين او ملــة أو مذهب ، وهكذا اختط العرب والمسلمون لدراسة الاديان علما مستقلا ، ومنهجا علميا سليما (*) .

وقد جاء كتابنا هذا في قسمين : يضم الأول منهما ثلاثة فصول :

« الفصل الأول »

بحوث ممهدة ، فحواها :

التعريف بعلم الاديان ، تعريف الدين ، تضنيف الاديان ، الآراء التي قيلت في نشأة الدين وأصوله والتي تنـــدرج تحت « المذهب الوضعي » و « المذهب التعليمي » مذهب الوحي .

« الفصل الثاني »

وهو في الاديان القديمة المندثرة ـ اى التي لم يبق لها اتباع في وقتنا الحاضر ـ وهي :

الديانات المصرية ـ البابلية ـ اليونانية ـ الرومانية .

« الفصل الثالث »

وهو في الاديان القديمة الباقية ـ اي التي يوجد لها او لما تفرع منها من مذاهب وفرق اتباع في وقتنا هذا ـ وهي الديانات الهندية ـ الصينية ـ اليابانية ـ الفارسية ـ الصابئة .

(*) : انظر الدكتور محمد عبد الله دراز / الدين ـ بحوث ممهدة لدراســــة تاريخ الاديان ـ ص ١٢ ـ ١٥ ولويس ماسنيون / تمهيد فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ص ٦ .

واما القسم الثاني فيضم اربعة فصول : بحث ممهد في الحنيفية « ملة

« الفصل الأول »

ابراهيم » باعتبارها حلقة وصل بين الديانات القديمة والديانات السماوية الكبرى المعاصرة .

« الفصل الثاني »

وهو في الديانة اليهودية ، والصهيونية ، ومدى الصلة بينهما .

« الفصل الثالث »

وهو في الديانة المسيحية .

« الفصل الرابع »

وهو في الدين الاسلامي

واما منهجنا في البحث فهو يقوم على العرض التاريخي ومن خلاله يتم التركيز على خصائص ومميزات كل دين ، والاشارة الى اوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين مميزات الاديان الاخرى ، وخصوصا ما يتعلق بالجانب الآلهي .

ذلك لانه من المتعذر جدا العرض التاريخي الكامل لكل جوانب الدين : النظرية والعملية في كتاب واحد .

كما تتعذر — اكثر — المقارنة بين تلكم الجوانب المتعددة وفي شتى الميادين ، وبدون العرض التاريخي .

والواقع ان عملا كهذا يحتاج الى تكاتف اكثر من جهة ، واكثر من مؤلف ، واكثر من موسوعة ونحن — بقدراتنا المحدودة — لا نستطيع القيام بمثل هذا العمل الجليل الخطير ، ولذلك اكتفينا بما ضم هذا الكتاب من بحوث ، وبالشكل الذي سيجده القارىء الكريم وقد توخينا الحقيقة ،

والحقيقة وحدها كما اجتهدنا ان يكون هذا المؤلف شاملا لمنهج « مقارنة الاديان » في قسم الدين / كلية الآداب / جامعة بغداد •

فان نكن قد وفقنا فذلك فضل من الله ـ الذي كان قطب الرحى في هذه الدراسة ـ وان تكن الاخرى ، فحسبنا بذل الجهد وسلامة القصد • وأملنا في الزملاء الاجلاء والقراء النبهاء أن ينبهونا الى زلات اقلامنا ، وشطحات اذهاننا ، وان يهدوا الينا ملاحظاتهم القيمة مشكورين •

والله نسأل ان يسدد خطانا ويوفقنا

لما فيه خير امتنا وصلاح ديننا

١٣٩٤ هـ

بغداد

١٩٧٤ م

د / رشدي محمد عرسان عليان

سعدون محمود الساموك

القسم الأول

الديانات القـديمة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول ـ بحوث ممهدة

الفصل الثاني ـ الديانات القديمة المندثرة

الفصل الثالث ـ الديانات القديمة الباقية

الفصل الأول

بحـــوث ممهـــدة

وفيهـــا :

١ ـ موضوع علم الاديان .

٢ ـ تعريف الدين

٣ ـ تصنيف الاديان

٤ ـ اصل الدين ومصدره

الاتجاه الأول « المذهب الوضعي »

نظرية عبادة مظاهر الطبيعة

نظرية عبادة مظاهر الروح

النظرية التوتمية

نظرية التوحيد الفطري

نظرية اندرو لانج

نظرية شميدث

نقد وتعليق

الاتجاه الثاني « مذهب الوحي »

علم الأديان

- ١ -

يبحث علم الاديان عن منشأ الاديان وتطورها ، وفي الاسس التي ترتكز اليها الاديان المختلفة وفي اوجه الاتفاق او الاختلاف فيما بينها • وبعبارة اخرى : انه يناقش تاريخ الاديان ويوضح فلسفتها ويوازن بينها •

فتاريخ الاديان : يبحث عن نشأة المعتقدات الدينية وتطورها ومرتكزاتها لدى الشعوب البدائية المتخلفة والشعوب المتمدنة • فالغرض أذن من دراسة تاريخ الاديان هو معرفتها •

وأما فلسفة الاديان : فانها تبحث في العلاقات بين الاسس التي تستند اليها الاديان المختلفة وفي الغايات التي تهدف اليها • ويدخل ضمن مباحثها علم ما وراء الطبيعة وعلم الكلام او « اللاهوت » وعلم التصوف[1] •

وأما مقارنة الاديان او « تاريخ الاديان المقارن » فانه يدرس خصائص ومميزات كل دين ، ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الاديان الاخرى •

تعريف الدين

- ٢ -

ليس بين المؤسسات البشرية مؤسسة تضاهي الدين في سيطرته على نفسية الفرد وزجره وتهذيب غرائزه • يستوي في ذلك البدائي والمتمدن من الافراد •

اذ ان الدين بنى كيانه منذ نشأته على الحلال والحرام ، والقدسي وغير القدسي ، كما ان الدين ـ أي دين ـ جاء بأوامر ونواه ، ومن ينعم

---

(١) انظر : العميد طه الهاشمي / تاريخ الاديان وفلسفتها ص ١٦ ـ ١٨ • والدكتور محمد كمال ابراهيم جعفر / في الدين المقارن ص ١٦٥-١٧٣ •

النظر في هذه الاوامر ، وتلكم النواهي يدرك انها ـ في جملتها ـ انما جاءت لخير البشر ، وتحقيق مصالحهم ، ودفع المفاسد عنهم . ولاسيما السماوي منها[٢] .

وسنتعرف على مفهوم الدين عند الباحثين الاسلاميين اولا ، ثم نعرض جملة من تعريفاته عند غيرهم من الباحثين في مختلف الاختصاصات لنتمكن بذلك من تحديد مفهوم الدين ، او في الاقل تتعرف على العناصر المشتركة ، والقواعد الاساسية لمفهوم الدين .

اولا : تعريف الدين عند الباحثين الاسلاميين

آ ـ تعريفه في اللغة : ـ

الدين اسم عام يطلق في اللغة العربية على كل ما يتعبد الله ـ تعالى ـ به . كما يطلق على معان عدة .

منها : الملك والسلطان ، والقهر والطاعة ، والقضاء والعادة ، والمذهب والشريعة والملة .

جاء في اللسان :

الدين مفرد جمعه اديان .. يقال دان بكذا ديانة ، وتدين به فهو دين ومتدين ، ودانه دينا أي أذله واستعبده .

قال ابو عبيدة : قوله « دان نفسه »[٣] أي أذلها واستعبدها .

وقيل : حاسبها ... والدين : ما يتدين به الرجل . والدّين : السلطان. والدين : الورع . والدين : الطاعة[٤] .

وجاء في القاموس :

الدين : الجزاء ، والاسلام ،والعادة،والعبادة، والطاعة ، والذل ، والداء، والحساب ، والقهر ، والغلبة ، والاستعلاء ، والسّلطان ، والملك ، والحكم ،

---

(٢) انظر : الهاشمي / تاريخ الاديان وفلسفتها ص ١٠ والدكتور الخشاب / الاجتماع الديني ص ١١ .
(٣) يشير الى الحديث الشريف « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت »
(٤) ابن منظور / لسان العرب مادة « دين » .

والسيرة ، والتدبير ، والتوحيد ، واسم لجميع ما يتعبد الله ـ عز وجل ـ به ، والملة ، والورع [٥] .

وقد ارجع احد الباحثين المعاصرين[٦] تلكم المعاني المختلفة لكلمة «دين» الى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة . وارجع ما يلحظ من تفاوت بين هذه المعاني الى ان كلمة «دين» ليست كلمة واحدة ، بل هي ثلاث كلمات. وبعبارة أدق انها تتضمن ثلاثة افعال بالتناوب . بيان ذلك :

ان كلمة « الدين » تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه « دانه يدينه » وتارة من فعل متعد باللام « دان له » وتاره من فعل متعد بالباء « دان به » وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة .

١ ـ فاذا قلنا : « دانه دينا » عنينا بذلك انه ملكه ، وحكمه ، وساسه ، ودبره ، وقهره ، وحاسبه ، وقضى في شأنه ، وجازاه وكافأه .

فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبير ، والحكم والقهر والمحاسبة والمجازاة . ومن ذلك : « مالك يوم الدين » أي يوم المحاسبة والجزاء . وفي الحديث : « الكيس من دان نفسه » اي حكمها وضبطها . و « الديان » الحكم القاضي .

٢ ـ واذا قلنا : « دان له » أردنا انه اطاعه ، وخضع له . فالدين هنا هو الخضوع والطاعة ، والعبادة والورع . وكلمة « الدين لله » يصح ان يفهم منها كلا المعنيين : الحكم لله ، او الخضوع لله .

وواضح ان هذا المعنى ملازم للأول ومطاوع له . « دانه فدان له » اي قهره على الطاعة فخضع وأطاع .

٣ ـ واذا قلنا : « دان بالشيء » كان معناه انه اتخذه دينا ومذهبا ، اي اعتقده او اعتاده او تخلق به .

---

(٥) الفيروز ابادي / القاموس مادة « دين » .

(٦) هو الشيخ محمد عبدالله دراز في كتابه / الدين ـ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ص ٢٥ .

فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريا او عمليا . فالمذهب العملي لكل امرىء هو عادته وسيرته ، كما يقال : « هذا ديني وديدني » والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه . ومن ذلك قولهم : « دينّت الرجل » أي وكلته الى دينه ولم اعترض عليه فيما يراه سائغا في اعتقاده . ولا يخفى ان هذا الاستعمال تابع ايضا للاستعمالين قبله ، لان العادة أو العقيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ، ويلتزم اتباعها .

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية ان كلمة « الدين » عند العرب تشير الى علاقة بين طرفين يعظم احدهما الآخر ويخضع له . فاذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا ، واذا وصف بها الطرف الثاني كانت امرا وسلطانا ، وحكما والزاما واذا نظر بها الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة ، او المظهر الذي يعبر عنها .

ونستطيع ان نقول : ان المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد فان الاستعمال الاول الدين هو الزام الانقياد .

والثاني هو التزام الانقياد ، وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له ..

والذي يعنينا من كل هذه الاستعمالات هو الاستعمالان الاخيران وعلى الاخص الاستعمال الثالث . فكلمة الدين يراد بها تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع اليها في المبادىء التي تدين بها امة من الامم اعتقادا او عملا(٧) .

ب ــ تعريفه في الاصطلاح :

كان ذلك معنى كلمة «دين» واصلها في اللغة ، واما في عرف الناس وأصطلاحهم فقد عرف الاسلاميون الدين بتعريفات مختلفة في الفاظها ، متحدة في معناها وهي :

---

(٧) المصدر السابق ص ٢٨ .

١ ـ الدين وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم اياه الى الصلاح في الحال ، والفلاح في المآل[٨] .

٢ ـ الدين وضع الهي يدعو اصحاب العقول الى قبول ما هو عند الرسول[٩] .

٣ ـ الدين وضع الهي يرشد الى الحق في الاعتقادات والى الخير في السلوك والمعاملات .

ويلاحظ ان تعريف الاسلاميين للدين قاصر على الدين المنزل ، وذلك لجعلهم « كلمة وضع الهي » قيدا في جميع التعاريف ، وكأنهم بذلك لا يسمون الاديان الطبيعية « الوضعية » ـ اي التي قام الانسان بوضعها بنفسه عن طريق عوامل انسانية كالوثنية والبوذية ـ دينا ؛ مع ان القرآن الكريم قد سماها بذلك حيث قال : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا »[١٠] وقال : « لكم دينكم ولي دين »[١١]

وذلك يرجع الى انهم قد قصروا التعريف على الدين الصحيح ، وهو الدين المنزل واما الاديان الوضعية فهي ـ من وجهة نظرهم ـ باطلة كلها بغض النظر عن فحواها وغاياتها .

هذا وقد اعتبر كثير من الاسلاميين : الدين ، والاسلام ، والملة ، والشريعة ، والمذهب كلمات مترادفة فتراهم يقولون : دين الاسلام ، وملة الاسلام ، وشريعة الاسلام ، ومذهب الاسلام[١٢] .

والحق ان الدين اعم من كل ذلك فهو اعم من الاسلام ، اذ ان الاسلام دين ، وليس كل دين اسلاما ، وهو اعم من الملة والشريعة لانهما اسم لما عدا العقائد من العبادات والمعاملات ، والدين اسم للجميع ، وهو اعم من المذهب لان المذهب اسم لجملة من آراء اجتهادية استنبطها بعض مجتهدي المسلمين وعمل بها جمهور منهم كالمذاهب المعروفة : المالكي ، الحنفي ..

---

(٨) دائرة المعارف الاسلامية ج ٩ ص ٣٦٨ والتعريف ماخوذ عن كشاف اصطلاحات الفنون ص ٥٠٣ للتهانوي .

(٩) الجرجاني / التعريفات ص ٩٤ .

(١٠) آل عمران ٨٥ .

(١١) الكافرون ٦ .

(١٢) انظر : محمد علي ناصر / اصول الدين الاسلامي ص ٤ والجرجاني التعريفات ص ٩٤ .

ثانيا : ـ تعريف الدين عند غير الاسلاميين

اختلفت عبارات غير الاسلاميين في تعريف الدين تبعا لاختلاف تخصصاتهم ، والجانب الذي نظروا من خلاله الى الدين • وسأذكر نماذج من تلكم التعريفات ، ثم نحاول استخلاص العناصر المشتركة فيما بينها[١٣] •
قال كانت في كتابه « الدين في حدود العقل » :

ـ الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على اوامر الهية
وقال الأب شاتل في كتاب « قانون الانسانية » :

الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق : واجبات الانسان نحو الله ، وواجباته نحو الجماعة ، وواجباته نحو نفسه •

وقال تايلور في كتاب « المدنيات البدائية » :

الدين هو الايمان بكائنات روحية •

وقال ريفيل في « مقدمة تاريخ الاديان » :

الدين هو توجيه الانسان سلوكه ، وفقا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية ، يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ، ويطيب له ان يشعر باتصاله بها •

وقال دور كايم في « الصور الاولية للحياة الدينية » :

الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والاعمال المتعلقة بالاشياء المقدسة : اعتقادات واعمال تضم اتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة •

واذا اردنا ان نستخلص ـ بعد ذلك ـ القواعد التي يقوم عليها تعريف الدين من حيث هو ، لوجدنا ان « مبدأ الالوهية » ـ أي الاعتقاد بقوة او قوى غيبية ـ هو اهم تلكم القواعد التي لابد ان يقوم عليها تعريف الدين • لذلك نحن لا نوافق بعض علماء الاجتماع ـ مثل دور كايم ـ على حذف هذا المبدأ من تعريف الدين • بل نذهب الى القول مع

---

(١٣) انظر : الدكتور دراز / الدين ص ٢٩ والدكتور جعفر / في الدين المقارن ص٢٠ والهاشمي / تاريخ الاديان ص٢٥ •

الفيلسوف الالماني « ارنست شلاير ماخر » : « بان قوام حقيقة الدين هو ذلك الشعور بالحاجة والتبعية المطلقة لقوة قاهرة ، علوية ، عاقلة ، مريدة ، فاعلة .. » .

وقول لدور كايم وامثاله ممن يبعدون فكرة الالوهية من التعريف بحجة ان بعض اديان الشرق كالبوذية والجينية والكونفوشيوسية تقوم على اساس اخلاقي بحت ، خال من تأليه كائن ما ، وان الذين يألهون «بوذا» و « جينا » انما هم مبتدعون .

نقول : ان هذه الديانات ما استحقت ان تدرج في جدول الاديان الا منذ دخلتها فكرة التأليه ، او على اعتبار انها كانت كذلك منذ نشأتها .

والقاعدة الثانية التي يقوم عليها تعريف الدين هي : « اعتقاد المتدين بوجود صله له بهذه القوة او القوى » يدفعه ذلك الى التوجه اليها في رغبة ورهبة ملتمسا عونها ، مؤملا تحقيق رغباته وتأمين حاجاته .

والقاعدة الثالثة هي : «سعي المتدين لتوثيق صلته بهذه القوة او القوى» وذلك بخضوعه التام عن رغبة واختيار ، وتوجهه اليها بالتمجيد والتقديس ، والطاعة والعبادة .

وبالجملة فنحن نتفق مع العالم الاجتماعي « موريس جاستروف » في القواعد الثلاث التي وضعها لتعريف الدين من حيث هو ، وهي(١٤) :

١ ــ شعور الناس بوجود قوة او قوى متعددة اعظم منهم شأنا وغير مسخرة لهم .

٢ ــ اعتقاد الناس بان لهم صلة بهذه القوة أو القوى .

٣ ــ سعي الناس الى ايجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة .

وفي ختام استعراضنا لجملة من تعريفات الدين لدى مختلف العلماء نلحظ :

---

(١٤) انظر : الهاشمي / تاريخ الاديان ص ٢٩ ورأى مور ــ Moore
The World's Religions - Charles S - Barden (p. 16 , 17 , 22) .

١ ـ ليس في تلك التعريفات تعريف جامع مانع للدين من حيث هو دين • والواقع انه من المتعذر وضع تعريف عام شامل لجميع الاديان : بدائية وكاملة ، طبيعية وسماوية وذلك لأن لكل دين خصائصه ولأن مفهوم الدين يختلف من طائفة الى اخرى ، تبعا لاختلاف معتقدات تلك الطائفة أو الشعوب ونزعاتها ومكانها في سلم الحضارة • فالاقوام البدائية تفهم الدين على وجه لا تفهمه الاقوام المتقدمة في الحضارة •

٢ ـ ان كل تعريف على حده يحمل وجها او اكثر من وجوه الصواب بصدد نقطة او اكثر من نقاط الدين وكل تعريف على حده يشهد بنقص كل تعريف آخر على حده ويجمعها كلها انها ـ مجتمعة ـ ليست عرضا تاما وامينا ، او شرحا وافيا او وصفا دقيقا للدين •

ان ظاهرة الدين اكثر تعقدا وتشابكا وشمولا لجوانب عديدة من ان تعرف تعريفا مختصرا مركزا ولذا يجب من البدء أن نفهم مصطلح الدين باوسع معنى يتناسب مع استعماله التقليدي المأثور •

ومعنى ذلك ان كل شيء يقع في نطاق الديانات الفعلية عبر التاريخ يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار عند فهم المدى الذي يتسع له هذا اللفظ كما يجب الا نغفل في هذا الصدد أي عنصر نعتقد اهميته في الارتباط بهذه الظاهرة الجليلة(١٥) •

٣ ـ وان التعريف التام للدين هو :

« الاعتقاد بوجود ذات او ذوات غيبية علوية ، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الانسان ، اعتقاد من شأنه ان يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة ، وفي خضوع وتمجيد » وبعبارة موجزة « الايمان بذات الهية • جديرة بالطاعة والعبادة » (١٦)

---

(١٥) د . محمد كمال جعفر / في الدين المقارن ص ٢٤ والهاشمي / تاريخ الاديان ص ٢٥ .

(١٦) د . دارز / الدين ص٢٥ .



تصنيف الأديـان

ـ ٣ ـ

لغرض تسهيل دراسة الاديان ذهب كثير من العلماء الى تصنيفهـا كل باصطلاحاته المختلفة • فذهب هيجل الى ان الاديان منها ما هي :

١ ـ اديان طبيعية او فطرية وهـي الاديان البدائيـة واديان الاقـوام المتأخرة (١٧) ـ وجعل منها دين الصينيين والبرهميين ودين الفرس وديـن المصريين •

٢ ـ اديان ملهمة او موحى بها وعد منها اليهودية والاسلام •

٣ ـ اديان مطلقة او كاملة وقد ادخل المسيحية ضمن هـذا المعنى(١٨)

وصنفها بعض العلماء الى :

آ ـ اديان اخلاقية وهي اديان الاقوام البدائيـة وبعض الاديـان الشرقية •

ب ـ اديان منقـذة (Karismatic) وادخلوا فيهـا البوذيـة والمسيحية •

ـ وقد ارجع (سيبك) ـ احد علماء الاجتماع الديني ـ الدين الاسلامي الى الاخلاق •

وصنفها بعض آخر الى اديان (عالميـة) واديان (قوميـة او

---

(١٧) من المهم معرفة ان كثيرا من الاختبارات والنظريات الدينية الاجتماعية اخذت عن طريق دراسة الاقوام المتخلفة التي تعيش في القرن الحـالي الا ان طريقة حياتها لا زالت بدائية ومن تلك الاقوام أقوام تعيش في مجاهل استراليا او امريكا اللاتينية او افريقيا حيث ان كثيرا من معتقداتهـا وطقوسها بدائية ويفترض انها لم تتطور كثيرا عن العصـور المتحجـرة القديمة .

(١٨) من المعلوم جيدا ان الكنيسة دخلت في حروب داخلية عنيفة ادت الـى انشقاقاتها المختلفة والتي لا زالت تحدث الى اليوم في كل العـالـم المسيحي بسبب ضعف المعتقد الديني او عدم تكامل المسيحية كديـن بينما يصنفها هيجل ضمن الاديان الكاملة او المطلقة .

محلية) واعتبروا المسيحية والاسلام من الصنف الأول لانهما دينان تبشيريان واليهودية والاديان الشرقية القديمة والبدائية من الصنف الثاني .

اما العلماء المسلمون فقد صنفوا الاديان الى :

١ ـ اديان صحيحة وهي الاديان الموحى بها من عند الله والتي تطلب من معتنقيها ان يعبكوا آلها واحدا لا آله غيره وتأمرهم بالتحلي بالاخلاق الفاضلة وتلزمهم بجملة من العبادات والطقوس والشعائر .

٢ ـ ايان باطلة وهي الديانات الارضية (الوضعية) التي قام بوضعها البشر سواء آكانوا افرادا ام جماعات ـ لسياسة الناس وتنظيم امورهم وسمى مؤرخو الاديان من المسلمين الامم التي تدين بالدين الصحيح (اهل الملل) وسموا معتنقي الاديان الباطلة (أهل النحل) ومن هؤلاء الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) وابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والاهواء والنحل) وأعتبر الشهرستاني المجوس واليهود والنصارى والمسلمين من اهل الملل ، اما الصابئة والوثنيون وعبدة النجوم والبراهمة فقد اعتبرهم من اهل النحل (١٩) .



أصل الدين ومصدره

ـ ٤ ـ

يرى ماكس موللر « ان الدين قوة من قوى النفس وخاصية من خواصها وان البشر بتأثير هذه القوة وباسماء ورموز مختلفة متعددة

---

(١٩) انظر : عبدالكريم الشهرستاني / الملل والنحل بهامش الفصل جـ١ ص ٤٤ .

والهاشمي / تاريخ الاديان وفلسفتها ص ٣٠ ـ ٣٣ وابن حزم / الفصل جـ ١ ص٩٥ ومن كلامه : ان هذه الشرائع (لا تخلو من احد وجهين : أما ان تكون صحاحا من عند الله عز وجل ـ الذي هو خالق العالم ومدبره ـ كما يقول اصحاب الشرائع واما ان تكون موضوعة باتفاق من أفضل الحكماء لسياسة الناس بها وكفهم عن التظالم والرذائل) وقد أبطل ابن حزم الفرض الثاني .

واصحاب هذا الاتجاه وان اتفقوا في الغاية : وهي تحـ[illegible] نشـأة الدين . والمنهج : وهو دراسة التجمعات الانسـانية القديمة والمعاصرة غير المتحضرة ، الا ان النتائج التي توصـلوا اليهـا جاءت متفاوته جـدا بل مختلفة جدا . ولذا انقسم الباحثون في هذا الاتجاه الى فريقين :

فريق منهم : استنتج ان الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وان الانسان اخذ يترقى في دينه على مدى الاجيـال حتى انتهى الى فكـرة (التوحيد) بل زعم بعضهم ان فكرة التوحيد جد حديثه وانها وليـدة العقلية السامية .

نادى بهذه النظرية انصار مذهب (التطور التقدمي او التصاعدي) الذي ساد في اوربا في القرن التاسع عشر في اكثر من فرع من فروع العلوم وحاول تطبيقه على الدين عدد من العلماء منهم (سبنسر) و (تايلـور) و (فريزر) و (دوركايم) وغيرهم وان اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صورة العبادة الاولى وموضوعها[٢٤] .

اما الفريق الثاني : فانه بعد ان قرر ـ بالطرق العلمية ـ بطلان هـذه النظرية اثبت ان فكرة التوحيد هي اول ديانة عرفها البشر مستدلين بانه لم ينفك عنها مجتمع من المجتمعات الانسانية في القديم والحديث وتوصلوا الى ان الوثنية ليست سوى اعراض طارئة .

وهذه النظرية تسمى (التوحيد الفطري او البدائي) وقد انتصر لها كثير من علماء الاجناس وعلماء الانسان وعلماء النفس ومـن اشـهرهم (لانج) الذي اثبت وجود عقيدة (الاله الاعلى او اله السماء) عنـد القبائل الهمجية في استراليا وافريقيا وامريكا ومنهم (شريدر) الذي اثبتها عند الاجناس الآرية القديمة و (بروكلمان) الذي وجدها عند الساميين قبل الاسلام و (لرواه) و (كاترفاج) عند أقزام اواسط افريقيا و (شميدث) عند الاقزام وعند سكان استراليا الجنوبية الشرقية .

---

(٢٤) انظر : دراز / الدين ص ١١٢ وفريزر / الغصن الذهبي جـ ١ ص ٢٥.

وقد انتهى بحث (شميدث) هذا الى ان فكرة (الاله الاعظم) توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من اقدم الاجناس الانسانية[٢٥] .

نخلص من هذا الى ان اصحاب (المذهب الوضعي) متفقون على ان اصل الدين انساني ولكنهم افترقوا بعد ذلك . :

ففريق منهم بنى نظرياته في اصل الدين على اساس (مذهب التطور) وقالوا بتطور الدين من الخرافة الى التوحيد .

وفريق آخر : ذهب الى (نظرية التوحيد) وقالوا : ان الخرافة عرض طارىء ومرض متطفل . وسنعرض اهم النظريات القائمة على اساس (مذهب التطور) وبعدها نعرض نظرية (التوحيد الفطري او البدائي)

نظرية عبادة مظاهر الطبيعة[٢٦]
او المذهب الطبيعي

يرى اصحاب هذه النظرية ان الدين اول محاولة قام بها العقل الانساني لتفسير ظواهر الطبيعة وخصوصا تلك الظواهر التي تثير في النفس العجب والدهشة او الخوف والرهبة . واصحاب هذه النظرية فريقان :

(فريق يرى ان العامل في إثارة الفكرة الدينية هو التأمل والنظر في مشاهدة الطبيعة تأملا يجعل الانسان يشعر بمزيد من الدهشة والاعجاب فيخلص من التفكير الى انه محاط بقوى مستقلة عن ارادة البشر يخضع افراد المجتمع لتأثيرها ولا قدرة للافراد على تعديل نظامها) ولشدة نفوذها وتأثيرها في نفسه نبهت فيه فكرة الدين فعبد الطبيعة . ومن اشهر القائلين بذلك العالم ماكس موللر .

---

(٢٥) نفسه ص ١١٣ وقد نقله عن : Schmidt. ouv. cit,p. 30
وسنبين راي لانج وشميدث عند بحث التوحيد الفطري .

(٢٦) كان لهذه النظرية مقام ممتاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد اشبعها اصحابها بحثا وتدقيقا وما ان حل القرن العشرون حتى اخذت تتهافت امام البحوث الشيقة الباحثة عن الروحية اولا والتوتمية ثانيا .

تأهبوا لادراك الاسرار الغامضة وان فكرة التعبد من الغرائز البشرية التي فطر عليها الانسان منذ نشأته الاولى •

ويرى كثيرون ومنهم (بنيامين كونستان) احد مؤرخي الاديان : ان الدين من العوامل التي سيطرت على البشر وان التحسس الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الراسخة ومن المستحيل ان تتصور ماهية الانسان دون ان تتبادر الى ذهننا فكرة الدين •

ويعتبر علماء الاجتماع الدين من أهم القواعد التي قام عليها بنيان المجتمع البشري وانه قمة النماذج الخلقية المثالية التي تقبلها المجتمع لرسم العلاقات الاجتماعية على اسس انسانية واقعية[٢٠] •

وفي دراسة نظريات العلماء الوضعيين في اصل الدين ومصدره نرى ان بعضهم كالعالم الاجتماعي (موريس جاستروف) قد وصل الى ما وصل اليه الامام الغزالي : من ان الدين هو حاجة فطرية (اي حاجة الناس منذ اول نشأتهم الى معبود يتقربون اليه)[٢١]

وقد ايد فكرة (الغريزة الدينية) كثير من علماء النفس وخرجوا بنتيجة هامة هي : « ضرورة الحاجة الى مبدأ ديني او اخلاقي ليضبط الانسان اذا اريد له الا تكون نفسه مسرحا للصراع المحتدم والفوضى التعسة »[٢٢] •

وبعد ان اشرنا الى ان الدين حقيقة واقعة في كل التجمعات الانسانية على اختلاف مستوياتها الثقافية والحضارية فاننا نجد انفسنا مسوقين الى التساؤل عن اصل الدين ومصدره كيف بدأ الدين ؟ وما العوامل التي اعانت على تطوره ـ في حدود الفهم الصحيح لفكرة التطور الدينية ـ ثم على صوغه ووضعه في هذه القوالب المعهودة ؟

---

(٢٠) الهاشمي / تاريخ الاديان ص ٣٥ والخشاب / الاجتماع الديني ص١٤ •
(٢١) انظر : The World's Religions, Barden
فصل اصل الاديان ص ٢١ وفصل كيف نشات فكرة الدين ص ٣٤ من تاريخ الاديان للهاشمي وفصل النظريات التي قيلت عن نشات الدين ص ١٠٤ من كتاب الاجتماع الديني للخشاب وفصل الدين والمصدر ثم ص ٣٩ من كتاب في الدين المقارن •
(٢٢) انظر : فصل الدين والغريزة ص٢٦ من كتاب الدكتور محمد كمال جعفر / في الدين المقارن •

لقيت هذه الاسئلة وغيرها مما يتعلق بالدين اهتماما كبيرا من العلماء في مختلف الثقافات والتخصصات وظفرت باجابات مستفيضة لا يسعنا استعراضها جميعا •

لذا ـ اكتفي ـ اسوة بكثير من الباحثين[٢٣] ـ بتصنيف تلكم الآراء وتنظيمها في اتجاهين رئيسين :

الاتجاه الأول : ويرى اصحابه ان اصل الدين ومصدره الانسان بمعنى أن الانسان قد وصل اليه بنفسه،ولم يتلقاه منجهة خارج عالمه الحسي•

ولذا يسمى (الاتجاه الانساني) أو (المذهب الوضعي) •

الاتجاه الثاني : ويرى اصحابه ان اصل الدين ومصدره الآله بمعنى ان الله قد اوحى به الى عباده بواسطة من يختارهم للتعليم والهداية •

ولذا يسمى (الاتجاه التعليمي) او (مذهب الوحي) وقد يسمى بالنظرية (الكلامية) او (اللاهوتيه او النقلية) وكلها تعني ان الدين موحى به من عند الله وليس من وضع انسان •

الاتجاه الأول
المذهب الوضعي

يرى اصحاب هذا الاتجاه ان الدين قد وصل اليه الانسان بنفسه عن طريق عوامل انسانية (سواء أكانت تلك العوامل من نوع الملاحظات والتأملات الفردية ام من نوع التأثيرات والضرورات الاجتماعية اللاشعورية) •

والمنهج الذي سلكوه للوصول الى دعواهم هو دراسة اديان المجتمعات القديمة والمعاصرة المتخلفة في الحضارة مستخدمين الطريقة القياسية في استنتاج اقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الديني وخلصوا الى انه يعتبر صورة مطابقة لديانة الانسان الاولى •

---

(٢٣) انظر : المصدر السابق ص ٤١ ودراز / الدين ص ١١١ ـ ١١٢ .

والفريق الثاني وعلى رأسه العلامة (جيفونز) (يرى ان التأمل والنظر في الظواهر الطبيعية العادية لا يكفي لأثارة الفكرة الدينية وانما الذي يثيرها هو الطبيعة الشاذة العنيفة . فهذه الحوادث الرهيبة تبعث الفزع والخوف بنفس الانسان وتجعله يستفسر عن مصدرها فينسبها الى قوة خفية غيبية ، هذه القوة الخفية هي التي تسير العالم ولا بد من العمل على ارضائها بتقديم الهدايا والقرابين والاضاحي)[٢٧] .

نظرية عبادة مظاهر الروح
او المذهب الحيوي

تنسب هذه النظرية الى العالم الانجليزي (تايلور) في كتاب (الحضارة البدائية) وقد بين كيف تنبه البشر الأول الى الروح واعتقد بان للموجودات الاخرى ـ حيوانا كانت ام جمادا ـ ارواحا وان تلك الارواح عبارة عن كائنات تتصل بالناس وان جميع ما يصيب النفس الانسانية من نجاح وتوفيق او من آلام ومصائب انما يرجع الى تلك الارواح أو العالم الروحي . وزاد ما لهذه الارواح من قوة وقدرة فاصبح بيدها قوى الصحة والمرض والسعادة والشقاء وبذلك اصبح الانسان ملزما بان يرضيها وان يتخلص من غضبها وان يتقرب اليها بالقرابين والاضحية والصلوات . وبين تايلور ان حالات النوم واليقظة كانتا سببا في تنبيه البشر الى الروح ، فعندما كان الانسان ينام يتصور اصحابه انه مات وعندما يستيقظ يظنون بان قوة خفية ما احيته . وحيث ان الجسد لا يتغير في النوم او اليقظة وانما هنالك شيء خفي يحركه فلابد ان يكون ذلك الشيء منفصلا ومختلفا عنه وذلك الشيء هو النفس . وهذه النفس رغم قدرتها المادية لا يمكن ان نلمسها او نحسها . ومع ذلك لا يمكن ان نعتبر النفس الانسانية عند هذا الحد روحا لانها متصلة بالجسد ولا تخرج منه الا نادرا .

---

(٢٧) الخشاب / الاجتماع الديني ص ١٠٤ والهاشمي / تاريخ الاديان ص٧١ ودراز / الدين ص ١١٩ و ١٣١ .

واذا لم تكن النفس الانسانية شيئا اكثر من ذلك فانها لا تعبد وانما تعبد وتصبح مقدسة بتحولها الى روح بعد ان تبتعد عن مكانها في الجسد. ولا يستطيع الانسان ان يتصل بها الا بمراعاة طقوس خاصة ؛ والنفس لا تصبح روحا الا في حالة الموت ولأن الموت هو انفصال النفس عن الجسد انفصالا ابديا .

واذا كان الموت هو الذي حول النفس الانسانية الى روح مقدسة فان اول عبادة انسانية في تطور تايلور انما اتجهت الى عبادة الموتى . اي عبادة نفوس الاسلاف وكانت الطقوس الاولى طقوسا للموت وكانت اولى القرابين قرابين غذائية تشبع حاجات الموتى وكانت اولى المذابح التي تقدم عليها هذه القرابين هي القبور واللحود (٢٨) .

النظرية التوتمية

التوتم : هو الرمز الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها سواء أكان مستمدا من المملكة الحيوانية ام النباتية ام القوى الطبيعية ام الجماد .

واهم العناصر في التوتمية أن افراد العشيرة يعتقدون انهم منحدرون فعلا من هذا التوتم . فهو الأصل في وجودهم ويترتب على ذلك أن الافراد الذين ينتمون الى نفس التوتم يعتبرون انفسهم اقارب فيما بينهم .

ومعنى ذلك ان القرابة لا تقوم على اساس وحدة الدم وانما يرتبط افراد القبيلة بوحدة قرابة اصطلاحية معنوية تقوم على اساس اشتراكهم في اتخاذ التوتم اسما لهم واتحادهم في النظم الاجتماعية واشتراكهم في نفس العادات والتقاليد والطقوس الدينية التي يلتزمون بأدائها نحو التوتم .

وتقوم الديانة التوتمية على اساس تقديس توتم العشيرة تقديسا يحرم لمسه اذا كان جمادا الا في مناسبات دينية خاصة بقصد التبرك وقضاء حاجات المجتمع والتكفير عن خطيئة او رفع كارثة احاطت بالمجتمع كما يحرم قتله او صيده ، ان كان من الفصيلة الحيوانية ويحرم اكله او قطفه ان كان من المملكة النباتية (٢٩) .

---

(٢٨) الخشاب / الاجتماع الديني ص ١١١ ــ ١١٣ والهاشمي / تاريخ الاديان ص ٥٨ ــ ٦٨ .

(٢٩) الخشاب / الاجتماع الديني ص ١٢٠ والهاشمي / تاريخ الاديان ص٨١.

وقد وردت كلمة توتم لأول مرة سنة ١٧٩١ في كتاب نشره (لونج) ـ كاتب هندي امريكي ـ اثناء كلامه عن النظم الدينية للهنود الحمر الاميكان وقد كان المعلوم ان القبائل الهندية الأصيلة في امريكا تمثل اقدم وابسط المجتمعات البشرية ولما كانت هذه المجتمعات تدين بالتوتمية استنتج اصحاب النظرية التوتمية ان هذه الديانة اقدم الديانات البشرية بوجه عام • وقام عالم آخر (غرى) ببحوث عدة في استراليا وانتهى من بحوثه هذه الى وجود عبادات وطقوس دينية توتمية عند السكان الاصليين في استراليا • وقد ذهب (دور كايم) ـ العالم الاجتماعي الفرنسي ـ الى ان التوتمية أقدم الاديان على الاطلاق وانها اصل الاديان البدائية الاخرى وانها متصله أتصالا وثيقا بكل تكوين اجتماعي تكون العشيرة اساسه بل ان العشيرة في ابسط صورها لا يمكن ان توجد بدون التوتم لان افراد العشيرة لا يكونون عشيرتهم على اساس المعاشرة والسكنى او صلة الدم وانما تقوم وحدتهم على اساس اشتراكهم في الاسم والرمز التوتمي وبما لهم من علاقات معينة بمجموعة من الاشياء وخاصة من الحيوانات وبمعنى اعم باتخاذهم عبادة التوتم(٣٠) •

نظرية التوحيد الفطري

تشترك النظريات السابقة في انهاء تقوم على اساس فكرة التطور وتتفق في ان الدين بدأ بداية همجية تعتمد على الخرافة والاسطورة وان الانسان اخذ يترقى في دينه على مدى الاجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته • بل لقد حاول بعض اصحاب هذه النظريات ان ينسبوا فكرة التوحيد الى العقلية السامية وتكلموا عن غريزة التوحيد في الجنس السامي وهذا يعني انهم ينسبون فكرة التوحيد الى اليهودية والمسيحية والاسلام •

اما هذه النظرية (نظرية التوحيد الفطري) فهي وان اتفقت مع النظريات السابقة في الغاية وهي تحديد نشأة الدين وفي المنهج وهودراسة ديانة الشعوب المتأخرة والامم الغابرة • الا انها تختلف معها في النتيجة

---

(٣٠) المصدرين السابقين ، ودراز / الدين ص ١٥٩ .

فقد توصل هؤلاء الى ان فكرة التوحيد او فكرة الاله الاعلى هي البداية الحقيقية للدين وان هذه البداية النقية قد فسدت بتأثير الظروف الاجتماعية فانتشرت الخرافة والوثنية في المجتمعات الانسانية ، وان الانسان اخذ يترقى فيما بعد في فهم الدين الى ان انتهى الى التوحيد وبعبارة ادق : عاد الى التوحيد ونظريتهم هذه تحقق ـ في نظرهم ـ امرين هامين : ـ

اولهما : انه يتفق مع مذهب التطور الذي يبدأ من البسيط الى المركب (من التوحيد الى التعدد) .

وثانيهما : انه يعترف بالالوهية وعلاقتها بالخلق استنادا الى ما اودع الله في الانسان من مبدأ الوعي والفهم والاتصال .

والامر الثاني يشبه ما قال به بعض المفسرين العقلانيين الاسلاميين في آية الميثاق : (واذ اخذ ربك من بني آدم ـ من ظهورهم ـ ذريتهم واشهدهم على انفسهم : الست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا : ان تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا : انما اشرك آباؤنا من قبل . وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون)(٣١)

حيث قالوا ان الميثاق الذي أخذه الله على الخلائق في طور الذر انما قصد به انه ـ سبحانه ـ قد وضع في الانسان مبدأ التعقل والتميز الذي يدرك به الهه وخالقه اذا كان سوى العقل سليم الفطرة . فلما وضع الله فيه هذه الميزة فكأنه اشهده على نفسه بانه عبد وان له ربا .

جاء في ظلال القرآن : (ان هذا العهد الذي أخذه الله على ذرية بني آدم هو عهد الفطرة .. فقد انشأهم مفطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده . اودع هذا فطرتهم فهي تنشأ عليه حتى تنحرف عنه بفعل فاعل يفسد سواءها ويميل بها عن فطرتها(٣٢)

وجاء في تفسير ابن كثير (قال قائلون من السلف والخلف : ان المراد بهذا الاشهاد انما هو فطرهم على التوحيد) .

---

(٣١) الاعراف ـ آية ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ .
(٣٢) سيد قطب / في ظلال القرآن مجلد ٣ جـ٩ ص ٦٧٠ .

ثم اورد ما يؤيد ذلك من أحاديث الرسول ـ ص ـ منها (كل مولود يولد على الفطرة)[٣٣] .

اما كيف خلص اصحاب هذه النظرية الى هذه النتائج ؟ فهذا ما سنعرفه من استعراض رأيين لاشهر اصحابها وهما اندرو لانج وشميدث .

ـ نظرية لانج ـ

ذهب (لانج) الى ان الانسانية بدأت بدين التوحيد وانها كانت مفطورة عليه ومغروسة فكرته في النفوس ولكن الخطيئة الانسانية ـ تلك الخطيئة التي رمز اليها في الديانات السماوية بخطيئة آدم (فنسي ولم نجد له عزما) [٣٤] اخفت معالم تلك الحقيقة فلم تصل الانسانية الى فكرة التوحيد او فكرة آله السماء الا بعد اجيال عدة .

بدأ لانج ابحاثه في تاريخ الاديان بمهاجمة المذهب الحيوي الذي اعتنقه من قبل وقد اعتمد في مهاجمته لهذا المذهب على كثير من الدراسات (الانثروبولوجية) التي قام بها علماء غيره من أمثال (هوايت) و (ت . هـ . مان) وكتابات مسز (لانجلوباركر) .

فالدراسات التي قام بها (هوايت) في قبائل استراليا الجنوبية الشرقية والتي قام بها (مان) في القبائل الافريقية البدائية كالبوشمان والهوتنتوت والزولو وغيرها من قبائل جنوبي افريقيا ووسطها وبعض

---

(٣٣) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٢٦١ .

(٣٤) بعد ان خلق الله آدم واخذ عليه وعلى بنيه ـ في مرتبة الذر ـ العهد والميثاق ان يعترفوا بربوبيته والا يشركوا به احدا أخذ يعد آدم لخلافته ـ سبحانه ـ في الارض ولكنه ـ قبلا ـ اراد ان يفتح عينيه على ما ينتظره فيها من صراع بين الخير والشر فعهد اليه ان ياكل من كل الثمار سوى شجرة واحدة تمثل المحظور الذي لا بد منه لتربية الارادة وتاكيد الشخصية وها هي التجربة الاولى تعلن نتيجتها (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) طه آية ١١٥ انظر : قطب/في ظلال القرآن مجلد ٥ جـ ١٦ ص ٥٠٠ والطبرسي / مجمع البيان جـ٧ ص ٣٧ .

قبائل الهنود الامريكيين وكتابات مسز باركر عن بعض قبائل استراليا وقصصهم قد اوصلت هؤلاء العلماء وغيرهم الى ان هذه القبائل تؤمن بوجود اله اعلى ٠

وعلى هدى هذه الابحاث والدراسات استخلص لانج ان اول ديانة انسانية ظهرت في الوجود هي ديانة التوحيد ٠ باعتبار ان هذه القبائل تمثل اكثر القبائل بدائية واقربها الى الحالة الاولى التي كانت عليها الانسانية[٣٥] ٠

لم يقتصر لانج على ابحاث غيره من العلماء وانما اراد ان يثبت صحة نظريته على اساس منطقي فلسفي يتلخص في الآتي :

١ ــ ان مبدأ السببية[٣٦] فطري في عقل كل انسان فاذا كان الانسان يرجع كل شيء الى سبب أو موجد ٠٠ فان التسلسل السببي سيقود الانسان حتما الى الايمان بوجود اله خلقه وخلق كل شيء ٠ لانــــه ــ أي الانسان ــ لا يستطيع ان يخلق الاشياء الطبيعية التي يلمسها او يلاحظها ٠

٢ ــ ان الانسان يتصور الاله بانه كائن غير طبيعي (ليس كمثله شي)[٣٧] سواء في قدرته على الخلق والابداع او في حبه للخير ومن هنا نشأ الاعتقاد في قوة اسمى من الانسان في القدرة والعطاء وحب الخير ٠

٣ ــ يوجد في كل مجتمع انساني نوعان من العقائد :

عقائد توصف بالفضيلة بأوسع معانيها من حيث أشتمالها على عواطف نبيلة ٠ وعقائد تسودها صفة الرذيلة بما تتمثل في الاساطير التي تصور

---

(٣٥) انظر : الخشاب / الاجتماع الديني ص ١٣٧ ، ١٣٨ وقد رجع الى كتاب اندرو لانج (نشأة الدين) المعنون The Making of Religion

(٣٦) مبدأ السببية أو قانون العلية : (ان شيئا ــ من الممكنات ــ لا يحدث من لا شيء) لانه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده ولا يستقل باحداث شيء اذ لا يستطيع ان يمنح غيره شيئا لا يملكه هو فلا بد له في وجوده وفي تاثيره من سبب خارجي وهذا السبب الخارجي ان لم يكن موجودا بنفسه احتاج الى غيره .. فلا مفر اذن من الانتهاء الى سبب ضروري الوجود يكون هو سبب الاسباب او العلة الاولى .

(٣٧) الشورى ٤٢ ٠

القسوة وفعل الشر . وان البحث الواقعي لا يوقف الباحث على اي النوعين أسبق في الوجود الزمني ويبدو ان هذين النوعين من العقائد قد وجدا جنبا الى جنب لذلك لا يمكن للعلماء الانثروبولوجيين فصل كل نوع عن الآخر مالم يستعينوا بالمنهج المقارن ويطبقونه على الديانات الحديثة .

وقد قام لانج بتطبيق هذه الفكرة على الديانة المسيحية فظهر له : ان هذه الديانة بدأت فكرة جليلة نبيلة غير ان كثيرا من الآراء المستحدثة والمعتقدات غير الصحيحة دخلت فيها وعاشت معها جنبا الى جنب ومع ذلك لم تشوه حقيقة الدين او تغير جوهره فقد بقيت العقيدة النقية تظهر على شكل صلات بين الانسان وخالقه واما الآراء المستحدثة الشريرة فتظهر فيما ينسب الى القديسين من خوارق ومعجزات(٣٨) .

ولكن ما دامت فكرة التوحيد هي الاصيلة في النفس الانسانية وهي اولى الافكار وأساسها فكيف تأتى لجميع افراد الجنس البشري ان ينسوا هذه الفكرة النقية والديانة الصحيحة وكيف استطاعت الافكار الخرافية والاسطورية والوثنية ان تسيطر على فكر الانسان ازمانا طويلة قبل ان يعرف التوحيد ؟ يجيب لانج بما حاصله :ـ

ان الانسانية عاشت فترة حياة مليئة باسمى المعاني ولكن ثمة تحلل حدث بعد ذلك في عهد من العهود البدائية .

كانت فكرة الاله الخالق ليست بحاجة الى العطايا والمنح وكانت تنهى عن الشهوات والعداوات وتمنع الناس عن الظلم والجور ولا تمد العون للبدائي في حروبه ولا تهبه القوة تجاه الامراض السحرية . وكثير ما كان البدائي يضحي للاله لكي يحقق عملا من الاعمال فلا يتحقق فيندفع ــ احيانا ــ الى التماس تحقيق مطلبه من موجودات خفية ذات صفة طلسمية وكانت اولى هذه الموجودات هي الاشباح .. والنفوس ..

---

(٣٨) انظر : الخشاب / الاجتماع الديني ص ١٣٧ ، ١٣٨ وجعفر / في الدين المقارن ص ٥٥ .

قطع الانسان شوطا كبيرا في التوجه الى هذه الموجودات فنشأ عن ذلك انه :

١ ــ اهمل فكرته الصافية عن خالقه .

٢ ــ اعتبره احد القوى الكبرى بجانب القوى الاخرى الاسطورية ونسب له كثيرا من صفات تلك القوى وقدم له القرابين كما قدم لها . وقطعت الحياة الانسانية طورا زمنيا ظهرت فيه فنون ومهن .. فأصبح لكل مهنة وفن اله . ظل حال الانسانية هكذا حتى جاءت المسيحية ثم الاسلام وعندها عرفت الانسانية التوحيد في اجلى صوره . توحيد خالص لم تعلق به شوائب العنصر الاسطوري الذي شوه جمال وجلال التوحيد الأول(٣٩) .

ــ نظرية شميدث ــ

ظلت نظرية لانج في نشأة الدين موضع شك وعدم تسليم حتى ظهر المنهج التاريخي في علم الاجناس فاتفق مع كثير من النتائج التي انتهى اليها لانج .

واشهر من استخدم هذا المنهج هو شميدث الذي طبقه على اقزام اواسط افريقيا وجزائر الاندمان وبعض جزائر الفلبين فبحث حالتهم الاجتماعية والدينية وقد اقتنع شميدث وغيره من الباحثين بان هؤلاء يمثلون أقدم طور في التطور البشري . وانهم احط من قبائل جنوب شرق استراليا .

وانتهى شميدث الى تقرير ان الاقزام يؤمنون بوجود اله أعلى . ودعا هذا بوجود اله في السماء عند بعض القبائل الاسترالية والسكان الاصليين في امريكا .

وقد شرح (فوركارت) فكرة اله السماء في دائرة المعارف ــ الدين والاخلاق ــ فقال : ان تصور اله السماء يرجع الى اقدم العصور الانسانية.

---

(٣٩) انظر : علي سامي النشار / نشاة الدين والهاشمي / تاريخ الاديان ص ١٤١ ــ ١٤٥ .

ونسب هذه الفكرة الى تخيل البدائي ، والبحث في اصل الظواهر السماوية(٤٠) ، فقد كان يتردد في صدر البدائي ـ دائما ـ ان هناك قوة شخصية وراء جميع الظواهر السماوية وهذه القوة المشخصة مرتبطة بمصدر الطاقة والحياة •

الا ان اكثر هذه المجتمعات الانسانية البدائية التي آمنت بوجود اله اعلى او اسمى لم تكن موحدة بالمعنى الصحيح لانها كانت في الوقت نفسه تؤمن بوجود آلهة آخرين :

يجيب شميدث عن هذه الظاهرة بما حاصله :

ان ذلك حدث نتيجة لتطور وفساد الفكر الديني الذي انتج فكرة تعدد الآلهة بعد ان كانت تسود المجتمع الانساني فكرة الاله الواحد •

تكلم شميدت بعد ذلك عن صورة (الله) في نظر البدائيين :

فأفاد ان بعض القبائل قد صورته بصورة أنسانية وصورته قبائل اخرى بصورة غير حسية (لا تدركه الابصار) وأنما يمكن ادراكه كفكرة عن طريق آثاره في المجتمع • كما تكلم عن صفاته :

فأفاد ان القبائل البدائية وصفته بالعلم والقدرة والابدية والازلية والسرمدية ونسبت اليه فكرة الخير وفكرة الثواب والعقاب •

اما عن مكانه :

فقد أفاد ان بعضا من القبائل تعتقد انه يعيش مع الناس يعلمهم الخير والفضيلة وان بعضا آخر يؤمن بانه يعيش في السماء وان بعضا ثالثا يعتقد انه عاش مدة من الزمن مع الناس ثم لما اغضبته خطايا البشر صعد الى السماء •

(وانتهى شميدث الى تقرير ان فكرة الاله الاسمى قد اشبعت مطالب الانسانية وحاجاتها الاجتماعية فالاله في نظر هذه القبائل هو الذي

---

(٤٠) Ency of Religion and Ethics. عن الخشاب/ الاجتماع الديني ص ١٣٩ .

اقام دعائم الاسرة بتحديده لعلاقات الزوج والزوجة والاولاد . كما انه يعتبر في نظر هذه القبائل مصدر القواعد الخلقية التي يتحقق بها الخير والفضيلة كما انه هو الذي يمد الانسانية بالقدرة على الحياة .

والاله في نظره وحده زمانية تتصل بالابدية والسرمدية ، فقدرته تتحقق في كل زمان وفي كل مكان .

فكما ان الله وحدة زمانية كذلك هو وحدة مكانية بمعنى انه يتحكم في كل الاماكن وليس ثمة الا اله يملأ الكون ، وقوة واحدة تسيطر على جميع المناطق والاقاليم فهو ليس اله المجتمع الواحد وانما هو اله لجميع المجتمعات)[٤١] .

نقد وتعليق

في ختام استعراضنا السريع لجملة من اهم النظريات التي تندرج تحت الاتجاه الأول المتمثل في مذهب التطور ومذهب التوحيد الفطري .

نلحظ :

١ ـ ان انصار مذهب التطور قرروا ان الدين من وضع الانسان ونتاج فكره وليس من وحي الله وان الدين بدأ بداية همجية تتمثل في الخرافة والاسطورة والوثنية وان الانسان أخذ يترقى في دينه الى ان انتهى الى التوحيد كما تدرج نحو الكمال في علومه وفنونه وصناعاته .

٢ ـ ان اصحاب نظرية التوحيد الفطري قرروا ان الله قد غرز فكرة التوحيد في النفس البشرية وان الانسان الأول قد أهتدى الى هذه الفكرة ونعم بها ولكنه لم يعرفها من طريق الوحي بل بما اودع الله فيه من مبدأ الوعي والفهم والقدرة على الاتصال به ، ومعرفته وعبادته .. وهذا يعني انهم يشكون في فكرة الوحي الاولى من الله للانسان .

---

(٤١) نفسه ص ١٤٠ وانظر : الهاشمي / تاريخ الاديان ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

٣ ــ ان الغاية من تلك النظريات والابحاث هي تحديد مصدر الدين والمظهر الذي ظهر به في أول الازمنة وهذا يتطلب معرفة كافية بالتجمعات الانسانية الاولى .

والواقع ان هذا مطلب عسير جدا لأن تلك الفترة وحال أهلها لاتزال محجوبة عنا وقد اعترف مؤرخو الاديان بان الآثار الخاصة بديانة العصر الحجري وما قبله لا تزال مجهولة لنا جهلا تاما ، فلا سبيل للخوض فيها الا بضرب من التكهن وقد عبر العلامة (هوفدنج) عن هذه الحقيقة بقوله :

(انه يبعد كل البعد ان ينجح تاريخ الاديان في حل مشكلة بزوغ الدين .. فان التاريخ لا يصور لنا هذه البداية الاولى في مجتمع ما ، وكل ما نجده انما هو سلسلة من صور مختلفة لديانات متقدمة قليلا او كثيرا .. حتى ان احط القبائل الهمجية التي نعرفها قد مرت بأدوار شتى وتطورت تطورا يبعدها عن الحالة البدائية التي كانت عليها في نشأتها الاولى)[٤٢] .

٤ ــ ان اصحاب تلك النظريات اتخذوا من المجتمعات البدائية المعاصرة مادة يعتمدون عليها في صحة نظرياتهم على اعتبار ان هذه المجتمعات تمثل الشكل الذي كانت عليه المجتمعات الانسانية في فجر حياتها .

والواقع ان الاستدلال على ديانة المجتمعات الانسانية الاولى بديانة المجتمعات المتخلفة المعاصرة مبنى على افتراض ان هذه المجتمعات ظلت بمعزل عن التيارات الحضارية وبذلك فهي لا تزال تمثل الانسانية الاولى وهذا الاستدلال غير مقبول من الوجهة العلمية لانه مبني على افتراض لم يقم عليه دليل اذ ان المجتمعات الانسانية تتطور بحكم انها مجتمعات انسانية ولقد اثبت التاريخ وعلماء الآثار ان فترات التخلف التي كان يعانيها تجمع انساني كانت مسبوقة بحضارة مزدهرة وان هذه الحضارة قامت ــ بدورها ــ على انقاض حضارة بائدة ــ قريبة او بعيدة ــ هذا من ناحية ومن ناحية اخرى (ان علماء الاجناس لم يتفقوا فيما بينهم على تحديد اي المجتمعات البدائية الموجودة الآن اقدم عهدا او ايهما اقرب الى الحالة

---

(٤٢) عن دراز / الدين ص ١١٣ ، ١١٤ وانظر : عيسى الحلو / عصور ماقبل التاريخ وتاريخ بابل القديم ص ٤٤ .

الاولى ، فنظرية (دور كايم) ــ مثلا ــ بنيت على اساس ان قبائل استراليا الوسطى اقدم هذه التجمعات ولكن البحوث العلمية التي اتت بعده أثبتت ان هذه القبائل لا تمثل اقدم القبائل[٤٣] .

بل يذهب البعض الى ان قبائل الزنوج الاقزام في افريقيا هي التي تمثل الآن اكثر المجتمعات بدائية[٤٤] .

٥ ــ ان النظريات المستندة الى مبدأ التطور قد قامت على افتراض آخر لم يقم عليه دليل وهو قياس الاديان على العلوم والفنون والصناعات حيث قالوا : ان الانسان انتقل بدينه من السخف والخرافة الى الكمال ــ بعد جهد وعناء ــ كما انتقل من الجهالة الى المعرفة ومن التخلف الى الحضارة ...

والواقع (ان قليلا من التأمل يهدينا الى ان قياس الاديان على الفنون والصناعات انما هو محاولة للجمع بين امرين لا تؤلف بينهما حقيقة نوعية مشتركة بل تتباين طبائعها ووسائلها . فبينما حقائق العلوم ثروة واسعة ترحل النفس في طلبها واكتسابها ، ويتطلب اقتناؤها وتنميتها علاجا ومثابرة واستعانة بأدوات منفصلة في غالب الامر حقيقة الدين توجد عناصرها قارة بين الجوانح وتعرض دلائلها لائحة امام الحس حتى ان التفاتة يسيرة لتكفي للظفر بها في حدس سريع كالبرق الخاطف وليس ادراك هذه الحقيقة الكبرى محصول ادراكات لحقائق الكون ودقائقه الجزئية ولا هو اشق منها كما ظن البعض ، بل انه يتقدمها ويمهد لها في نظرة كلية تلم بها جملة قبل ان تفحص اجزاءها وتفصيلاتها . ولذلك يستوى العالم والجاهل في اصل هذا الاحساس : كل على فهمه يجد في الكون ما يبهره ويستولي على مشاعره)[٤٥] .

---

(٤٣) اثبت تاريخ الاجناس ان قبائل استراليا وارونتا باللدات ــ التي اختارها اميل دور كايم للدراسة والبحث ــ لم تكن اقدم جماعة انسانية وانما هي الطور السادس الذي انتهت اليه العقلية الوطنية لأهل استراليا بل هي اكثرها تقدما . انظر : الهاشمي / تاريخ الاديان ص ١٣٧ .

(٤٤) الخشاب / الاجتماع الديني ص ١٣٥ ــ ١٣٦ .

(٤٥) دراز / الدين ص ١١٥ ، ١١٦ وانظر : العقاد / الله ص ١٢ .

٦ ـ ان اصحاب تلك النظريات لم يكوّنوا آرائهم تلك نتيجة بحث وتمحيص لكل تجمع انساني وانما كونوها بناء على دراستهم لتجمعات انسانية معينة ثم حاولوا تعميم النتائج التي توصلوا اليها على جميع التجمعات الانسانية .

والواقع ان فكرة التعميم هذه ان كان يمكن تطبيقها في العلوم الطبيعية فانه لا يمكن التسليم بها فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية وذلك لان هذه العلوم مما تخضع للارادة والرأي العام وهي امور مرنة متطورة لا تسير على وتيرة واحدة .

٧ ـ ان انصار المذهب الفطري يرون ان الافكار المتخلفة الشريرة والنظم الدينية التي تتضمن الخرافات والسخافات وظواهر السحر والوثنية ما هي الا انتكاسات في تاريخ البشرية وخروج عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها . فهي لذا لا تمثل نقطة البدء بالنسبة للمجتمعات الانسانية . ونحن نؤيدهم في ذلك كل التأييد لما (نرى بانفسنا الآن ان هناك حضارات ازدهرت في أمم واماكن معينة في الماضي على حين نجد هذه الامم وهذه الاماكن الآن قد تكون مثالا للتدهور والتأخر. فهل يصح القول بان حالة التدهور والتأخر هذه تمثل نقطة البدء لهذه الامة او لهذا المكان)[٤٦] ..

كما نؤيدهم في ان الله ـ سبحانه ـ قد فطر الناس على التوحيد وغرز في نفوسهم فكرته الجليلة وفي ان ابتعادهم عنه كان نتيجة تحلل وانحراف عن هذه الفطرة .

مصداق ذلك من القرآن الكريم : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله)[٤٧] .

(واذ اخذ ربك من بني آدم ـ من ظهورهم ـ ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم ؟ قالوا : بلى)[٤٨]

---

(٤٦) د . محمد كمال جعفر / في الدين المقارن ص ٤٣ .
(٤٧) الروم آية ٣٠ .
(٤٨) الاعراف آية ١٧٢ .

ولكنا لا نؤيدهم في نفي أو حتى في مجرد الشك في فكرة الوحي الاولى من الله للانسان ــ ما داموا قد آمنوا بوجود هذا الاله : الاسمى ، الاعلى ، الابدي ، السرمدي ، الأزلي ، العالم ، القادر ، الخيّر ، الفاضل، المثيب ، المعاقب ــ لانهم ما داموا قد آمنوا معنا بوجوده ــ على اي نحو من التصور الفلسفي كان هذا الايمان ــ فلابد ان يسلموا انه من الضروري ان يعرّف هذا الاله بنفسه حتى يعرفوه حق معرفته ، ويعبدوه على النحو الذي يريد ، وحتى يكون ثوابه وعقابه قائما على العدل الذي يتصف به ــ ما دام خيّرا فاضلا ، ــ وحتى يهديهم سواء السبيل في معاشهم ومعادهم بدل ان يتركهم ــ بعد ان خلقهم ــ يتخبطون في ظلمات الحياة .

٢ ــ الاتجاه الثاني
مذهب الوحي

عرفنا ان النظريات المستندة الى المذهبين السابقين « التطوري والفطري » تتفق في ان فكرة الدين قد وصل اليها الانسان بنفسه عن طريق عوامل انسانية سواء أكانت تلك العوامل فردية ام جماعية .

كما عرفنا انها ــ جميعا ــ مجرد افتراضات مبنية على افتراضات ، فهي لا تصف الحق الثابت الذي هو مطلب العلم الصحيح ، وانما تعرض احتمالات تشبه الحق قليلا او كثيرا . لان منهاجها الذي اتبعته في الكشف عن ديانة الانسان الأول هو الوقوف على ديانة المجتمعات القديمة والمجتمعات المعاصرة المتخلفة ، على زعم انها تمثل حالة الانسان الأول . وان ديانته كدياناتها وعرفنا ان هذا القياس غير صحيح بالمرة وانه قياس مع الفارق ــ كما يقولون ــ لعدم وجود وجه شبه بين تطور العلوم والفنون. وبين فكرة الدين وتطورها ، ولانه لا تلازم بين حالة المجتمعات المتخلفة المعاصرة والقديمة وبين المجتمعات الانسانية الاولى لتعرض المجتمع الانساني لتعاقب ادوار التحضر والتخلف فلا يلزم من كون بعض القبائل في افريقيا او استراليا او امريكا او غيرها متخلفة وبدائية وهمجية ان يكون هذا التخلف لازما لها ، ولصيقا بها حتى تكون ممثلة صادقة للمجتمع الانساني الأول .

وعرفنا ايضا من خلال عرضنا للمذهب الفطري ان شواهد التاريخ والتطور الصحيح لا يؤيد شيء منها النظريات المبنية على مذهب التطور، والتي تجعل الخرافة والاسطورة اصل الدين ومصدره ، بل انها بالعكس تميل الى النظرية المقابلة « نظرية التوحيد الفطري » الا ان تأييدها لهذه النظرية لا يرفعها الى صف الحقائق التاريخية المفروغ منها لأن جميع ما قدم لدعم هذه النظريات من دلائل وامارات لم يقو على ان يقدم لنا ضمانا من المنطق ولا من الواقع يثبت به ان الحوادث كانت تسير بالفعل دائما على وفق ما الفناه من الاوضاع ولا على الوجه الذي كان ينبغي ان يكون.

واذا كانت وسائل العلوم الحديثة ـ على دقتها وشمولها ـ لم تستطع ان تقدم لنا بيانا شافيا ـ يطمئن اليه القلب ـ عن ديانة الانسان الأول . بل انها عجزت حتى عن تحديد اي المجتمعات المعاصرة المتخلفة اقدم واقدر على تمثيل المرحلة الاولى للمجتمع الانساني فلا مفر اذن من الاستماع الى آراء اصحاب المذهب التقليدي « مذهب الوحي » او النظرية « الكلامية او اللاهوتية » بشأن نشأة الدين ومصدره .

يؤكد أصحاب هذا المذهب على ان الدين موحى به من عند الله . وان الانسان الأول قد عرف فكرة الدين ودان بالتوحيد عن طريق الوحي وليس عن طريق العقل(٤٩) . هذا المذهب هو الذي شاع في العالم طوال القرون الوسطى ، وايده بعض علماء التاريخ حتى في القرن التاسع عشر. ولا يزال هو المذهب السائد عند رجال الدين ، وهو ما تسعى الديانات الكبرى الثلاث « اليهودية والمسيحية والاسلام » لاثباته . تارة بأقامة

---

(٤٩) لا يفوتنا ان نذكر ان كثيرا من عقلانيي الاسلام قد قالوا : بقدرة العقل الانساني على الوصول الى الله ومعرفته ـ على نحو الاستقلال وعلى ادراك ما في الفعل الاختياري من حسن او قبح خير او شر ومسؤولية الانسان امام الله عما ادركه من ذلك بعقله بغض النظر عن هدي النبوة او قبل وصول هذا الهدى اليه ، ولكنهم لم يدعوا كفاية المدركات العقلية لتنظيم المجتمعات الانسانية بل قالوا : بضرورة الوحي « هدي النبوة » لتاكيد تلك المدركات وارشاد الانسان الى ما قد يعجز عن ادراكه بعقله مما لا بد منه لتنظيم حياته الاولى والاخرى . انظر : لنا / العقل عند الشيعة ص ٢١٢ ـ ٢٢٢ .

البراهين على أمكانية الوحي ، وصدق براهين النبوه وتارة اخرى بالتماس سند عقلي يربط الدين بما يحقق من مصالح .

وتارة اخرى باثبات ضرورة سبق الايمان حتى يتمكن العقل ـ بعد ذلك وليس قبل ذلك ـ من ان يوفق الى ادراك صدق هذه الحقيقة . وقد اهتم علماء الاسلام ـ بالدرجة الاولى ـ بأثبات ضرورة الدين واهميته وضرورة كونه من عند الله ، ومن ثم بدعم حقيقة النبوة لتسلم لهم النتيجة وهي : ان الدين من عند الله[٥٠] .

من هؤلاء ابن حزم الذي انبرى للرد على من انكر الدين والشرع من الفلاسفة فبين اولا : ان الغاية من الفلسفة والدين واحدة وهي صلاح المجتمع وأكد انه لا خلاف في هذا بين احد من علماء الفلسفة وعلماء الدين .

ثم اخذ ثانيا : يقرربطلان حجتهم وتهافت منطقهم مؤكدا ضرورة الدين والشرع لانه بدونه لا يتحقق صلاح المجتمع ، ولا يمكن انكفاف الناس عن القتل الذي فيه فناء الخلق وعن الزنا الذي فيه فساد النسل وعن الظلم الذي فيه الضرر على الانفس والاموال وخراب الارض .

وعن الرذائل : البغي والحسد والكذب والجبن والبخل والنميمة والغش والخيانة وسائر الرذائل .

وقرر ابن حزم اخيرا ان صلاح العالم لا يمكن تحقيقه وان الشرور والمفاسد لا يمكن درؤها الا بشريعة آمرة زاجرة ، اذ « لولا ذلك لفسد العالم كله ، ولفسدت العلوم كلها ، وبطلت فضيلة الفهم والنطق والعقل الذي في الانسان وصار كالبهائم » .

---

(٥٠) انظر في اثبات النبوة وحاجة الانسانية الى هديها : ابن تيمية / النبوات، والباقلاني التمهيد ص ١٠٧ ، ١٥٧ وب كراوس / رسائل فلسفية ص ٢٩١ ـ ٣١٦ مقتبس من كتاب اعلام النبوة لابي حاتم الرازي ومحمد عبده / رسالة التوحيد من ص ٨٤ ـ ١١٠ والدكتور محمد يوسف موسى / الاسلام وحاجة البشرية اليه .

وبعد ان اثبت ابن حزم الحاجة الماسة الى دين او شرع ، أنتقل الى بحث نقطة ثالثة : هي موضوع بحثنا الآن وهي المتعلقة بأصل الدين ومصدره .

وهو في ذلك يقول : ان هذه الشرائع « لا تخلو من احد وجهين : أما ان تكون صحاحا من عند الله ـ عز وجل ـ الذي هو خالق العالم ومدبره ، كما يقول اصحاب الشرائع . واما ان تكون موضوعة باتفاق من افاضل الحكماء لسياسة الناس بها وكفهم عن التظالم والرذائل كما يقول هؤلاء المنكرون الواضعون » وقد ابطل ابن حزم الفرض الثاني ـ على طريقة الخلف ـ لما يلزم عنه من تناقض ومحالات ملخصها : ان هؤلاء الواضعين يعتبرون على هذا كاذبين حيث الزموا الناس بما لا اصل له .

وعلى ذلك يمكن ان يقال : ان الكذب فضيلة يتم بها صلاح العالم، وهذا ما لا يقول به عاقل .

وفي ذلك يقول : فان كانت ـ اي الشرائع ـ موضوعة كما يقول هؤلاء ، فقد تيقنا ان ما الزموا الناس من ذلك كذب لا اصل له ، وزور مختلق ..

فأن كان ذلك كذلك فقد صار الكذب ـ الذي هو ارذل الرذائل واعظم الشر ـ لا يتم صلاح العالم ـ الذي هو الغرض من طلب الفضائل ـ الا به . وان ذلك كذلك فقد صار الحق باطلا والصدق رذيلة وصار الباطل حقا وصدقا ، والكذب فضيلة وصار لا قوام للعالم اصلا الا بالباطل .. ، وهذا اعظم ما يكون من المحال والممتنع والخلف الذي لامدخل له في العقل[٥١] .

---

(٥١) ابن حزم / الفصل في الملل والاهواء والنحل جـ١ ص ٩٤ ، ٩٥ وانظر ص ٦٩ ـ ٧٠ من الجزء نفسه ردوده على من انكر النبوة من الفلاسفة الموحدين على زعم عدم حاجة الانسان الى هدى النبوة اكتفاء بعقله في تنظيم حياته . فقرر ان النبوة ضرورة انسانية لان بها يتم صلاح المجتمع وهدايته الى ما فيه صلاح وسعادة افراده . ولان بها يتزود الانسان بما يعجز عقله عن ادراكه من علم وحكمة وهداية حيث يقول : كل هذا لا سبيل الى الاهتداء اليه دون تعليم فوجب بالضرورة ، فلا بد من انسان فاكثر علمهم الله ـ تعالى ـ ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحي حققه عنده وهذه صنعة النبوة ، فاذا لا بد من نبي او انبياء ضرورة .

وعلى اية حال فهذه هي نظرية الوحي التي تؤكد على ان اصل الدين ومصدره الآله وليس الانسان • اي ان فكرة الدين قد نزلت على الانسان الأول ، ولم يكتشفها هو • وان الانسان قد عرف الهه بنور الوحي وليس بنور العقل •

والمصدر الذي تستند اليه هذه النظرية هو الكتب السماوية ، وقصة الخلق ــ خلق الانسان الأول ــ الواردة فيها تشكل الاساس العام لهذه النظرية ، وان الناظر في هذه الكتب والمنعم النظر في قصة الخلق ، يترجح لديه صدق هذه النظرية بل يتيقن قلبه وتطمئن جوانحه الى انها حق وحقيقة •

فهذه الكتب تقرر ان الله ــ سبحانه ــ قد تولى خلق العالم ، وتولى وما يزال يتولى امر كائناته ، وانه خص الانسان من بين سائرها بالتكريم في مجالات كثيرة « ولقد كرمنا بني آدم »(٥٢) ، وعلمه خصائص الاشياء وصفاتها « وعلم آدم الاسماء كلها»(٥٣) • « علم الانسان مالم يعلم »(٥٤) • وكان فيما علمه ــ من باب اولى ــ : انه هو ــ سبحانه ــ خالق الكون وما فيه وانه هو الهمم الذي تجب طاعته وعبادته • ثم امره أن يورث علم هذه الحقيقة لذريته ، ففعل ، وكانت هذه العقيدة ميراث الانسانية عن الانسان الأول • ولم تنقطع موالاته ــ سبحانه ــ له بتصحيح ما تشوه من عقيدته على ايدي رسل كرام قلدهم الله هذه الوظيفة المقدسة ــ وظيفة تصحيح العقيدة والسلوك واعادة ربط الانسان بخالقه ــ ، حتى لو اخذنا قصة خلق آدم على انها رمزية ــ كما يود ذلك بعض المحدثين ــ فاننا ما نزال نجد تلك الحقيقة واضحة وهي ان السماء هي التي بدأت الاتصال بالانسان ، وان فكرة التوحيد النقية كانت الفكرة الاصلية التي ساورها

---

(٥٢) الاسراء / ٧٠ .
(٥٣) البقرة / ٣١ .
(٥٤) العلق / ٥ .

التشويه والتحريف نتيجة للظروف المعقدة التي عاش الانسان ضحية لها، حتى حجبته وحالت بينه وبين الاستقاء من المعين الاصلي ، حتى اذا رأت السماء الحاجة الماسة الى تحديد الفكرة ومقتضياتها اعادت الارسال الى الارض[٥٥] « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »[٥٦] « وان من امة الا خلا فيها نذير »[٥٧] .

---

(٥٥) د / جعفر / في الدين المقارن ص ٤٨ ، دراز / الدين ص ١٧٣ .

(٥٦) النســاء / ١٦٥ .

(٥٧) فاطر / ١ ٥.

الفصل الثاني

الديانات القديمة المندثرة « الميتة »

وفيه مباحث :

١ ـ الديانة المصرية

٢ ـ الديانة البابلية

٣ ـ الديانة اليونانية

٤ ـ الديانة الرومانية

البحث الأول
الديـانة المصرية

ان الدين ــ كما عرفنا ــ اقدم شيء عرفه الانسـان ، وان عقيـدة التوحيد كانت ــ كما اتضح لنا ــ أول عقيدة دان بها ، وشعر بالأمـن والطمأنينة في ظلها ، الا ان هذه العقيدة النقية تشوهت نتيجة ما عانـى الانسان من مشاكل ومشاغل وسيطرت عليه الخرافات والاساطير ، والسحر والشعوذة وصاغ له الكهنة انماطا دينية متنوعة بغية التخفيف عنه واعادة الأمن والطمأنينة الى نفسه المتعبة القلقة .

ومن هذه الانماط « الديانة المصرية » التي تميزت منذ بدايتها بعقيدة البعث والحساب .

كان المصريون أكثر الامم القديمة تعبدا وتمسكا بالدين وتعاليمه حتى ان الدين كان عاملا فعالا في كل نشاطاتهم الحياتية ، وأعمالهم اليومية .. في الكتابة في الحاجات الخاصة ، وفي الارشادات الصحية ، وفي اوامر الشرطة وسلطان الحكم[1] .

كما تميزت الديانة المصرية بتعدد الكائنات المقدسـة التـي يعتبـر احترامها من احترام الآلهة ، بل قد تبلغ هذه الكائنات رتبة الآلهة . ولقد لعبت الحياة السياسية دورا كبيرا في اعطاء الديانة المصرية طابعها المميز ، فقد كانت مصر مكونة من عدة مقاطعات صغيرة وكان لكل منها آلهتهـا الخاصة ، وعبادتها المختلفة ، فأمون في طيبة و « رع » في هليوبوليس و

---

(١) الشيخ محمد ابو زهرة / مقارنات الاديان ــ الاديـان القديمة ص ٥ ومحمد فؤاد الهاشمي / الاديان في كفة الميزان ص ٢٤ والدكتور طه باقر / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة / حضارة وادي النيل جـ٢ ص ٨٧ ، ١١٥ .

« آتون » في هرموبولس و « بتاح او فتاح » في منفيس و « هوروس » في ادفوو « هاتور » في دندرة و « اوزيريس » في ابيدوس وغيرهم كثير هنا وهناك . وكانت مكانة الآلهة مستمدة من مكانة المدينة او المقاطعة التي يعبد فيها وهكذا كانت الآلهة مراتب متفاوتة تبعا لتفاوت مراتب المقاطعات السياسية(٢) .

وهكذا نجد ان الديانة المصرية تتميز ايضا بتعدد الآلهة وتنوعها اللهم الا في عهد « اختاتون » الذي ثار على هذا التعدد والكثرة الساحقة للآلهة ودعا الى عبادة آله واحد .

الآلهة واصلها : ـ

والآلهة المصرية ترجع من جهة اصلها الى القوى الطبيعية التي كانت ذات اثر مهم في حياة سكان وادي النيل الاقدمين « حيث جسموا وشخصوا هذه القوى وعبدوها على هيئة آلهة ، اهم ما تتصف به صفة التشبيه . اي انها كالبشر من ناحية الصفات الروحية والجسمية ولكنها اعلى واسمى من الانسان وبيدها القدرة ومصير الكون والطبيعة والانسان كما انها تتصف بالخلود بوجه عام »(٣) .

وقد ارجع بعض الباحثين القوى الطبيعية التي كانت اصل الآلهة المصرية الى ثلاثة مصادر رئيسة :

١ ـ القوى المستمدة من الشمس : ـ اله الشمس « رع » اتوم «خفرع» وقد نشأت عبادته ونمت في معبد مدينة الشمس « هليوبوليس » .

---

(٢) انظر : المصادر السابقة وفاروق الدملوجي / تاريخ الآلهة ـ الكتاب الثاني جـ ٢ ص٦٤ والدكتور ابراهيم رزقانه / حضارة مصر والشرق القديم ص ٨٣ وجيمس هنري برستيد تطور الفكر والدين في مصر القديمة ص ٣٥ .

(٣) طه باقر / المقدمة ص٨٨ وانظر : ابراهيم رزقانه / حضارة مصر والشرق القديم ص ٨٢ وجيمس هنري برستيد / تطور الفكر والدين في مصر القديمة ص ٣٥ والهاشمي / الاديان في كفة الميزان ص ٢٤ـ٢٥.

٢ ــ القوى المستمدة من الارض : ــ اله الارض « جيب » « فتــاح » وكان الاخير هو الاله الخالق بحسب لاهوت الخليفة الخاص بمدينة « منفيس » اما « جيب » فقد ورد في الآداب الدينية ان الغلة تنمو على اضلاعه .

٣ ــ القوى المستمدة من الحيوان : ــ قدس المصريون الحيوانات حتى آل بهم الامر الى ان اتخذوها آلهة تعبد ولكنها لم تعبد في البداية لكونها آلهة وانما لانها رمز للآلهة فكان لكل اله رمز خاص به ، فيرمز برأس ابي قردان للاله « تــوت » ولأمــون بــرأس كبش و « فتاح » برأس عجل .

ولما كان لكل مكان الهه فله ايضا حيوانه المقدس وقد يكون الحيوان مقدسا في مكان بينما هو غير مقدس في غيره ، فالتمساح الذي كان يعبد في « طيبه » كان يطارد ويقتل في غيرها .

ولما سرت فكرة تقديس الحيوان بين العامة لم يعبدوه على انه رمــز للآلهة وانما على انه من الآلهة نفسها ، وبذلك صار عندهم في صف الآلهة، وليس رمزا لها[٤] .

ولوحظ ان عبادة الحيوان كانت ــ في البداية ــ مقصورة على واحد من آحاد نوعه يختار لصفات تلحظ فيه .

قال المؤرخ الكبير « هيرودتس » في وصف العجل الــذي وافقت اوصافه العلامات عند الكهنة « ابيس : هذا عجل شاب ، لا تستطيع امة ان تلد غيره .. ، ويعرف هذا العجل ببعض علامات : شعره اسود ، وفي جبهته غرة مثلثة بيضاء ، وعلى ظهره صورة نسر وتحت لسانه صورة عجل، وشعر ذيله مضاعف[٥] .

---

(٤) انظر / ابو زهرة / مقارنات الاديان ص ١٤ وسليمان مظهر / قصــة الديانات ص ١١ وفــاروق الدملوجي / تاريخ الآلهــة جـ ٢ ص ٦٤ وابراهيم رزقانه / حضــارة مصر ص ٨٣ .

(٥) عن ابي زهرة / مقارنات الاديان ص ١٥ .

ثم ترقت عقيدة المصريين في تأليه الحيوان وعبادته فانتقلوا من اختصاص حيوان من آحاد نوعه بالعبادة بحلول الاله فيه ، الى عبادة النوع كله . فكل البقر مقدس وكل القطط مقدسة وهكذا قدس النوع كله بحلول الآلهة فيه .

وعلى كل حال فان من الملاحظ في الفكر المصري القديم انه يؤمن بالتفريد او بالاله الاعظم رغم ايمانهم بآلهة متعددة وليس ادل على ذلك من قواعد التكوين التي تتحدث عن نفوذ روح الاله « آمون » في ارواح كانت ترفرف فوق البحار ، فخلق كل شيء في هذا الكون بعد نفوذه بالارواح . وقد نزه المصريون الاله « آمون » عن الخطأ ووصفوه بانه عالم بكل شيء وهو في غاية الكمال ، لا يشمله الزمان ، ولا يحيط به المكان ، وخلق السموات والارض ولم يخلقه احد .. الخ وهذه الصفات توحي بان المصريين كانوا يعتقدون بانفراد اله في خلق الكون . ويبدو ان الكهنة قد لعبوا ــ على مر الزمان ــ دورا رئيسا في ضياع فكرة التوحيد وثبتوا معتقد الآلهة المتعددة في اذهان الناس[٦] .

ان فكرة التفريد « الاله الاعظم » التي عرفها المصريون قد تطورت الى عقيدة التوحيد الالهي او مهدت للدعوة الى التوحيد التي بدأها الفرعون « امينو فيس » حوالي عام ١٣٧٥ ق . م ــ اعظم ملوك الاسرة التاسعة عشرة ، بعد ان راعه سلطان الاله امون ، ولم يجسر على تسويد معبوده الحامي « تحوت » خوفا من ثورة الشعب عليه ، وتحزب الكهنة وسدنة الارباب الاخرى ضده . ولذا بدأ دعوته ــ سرا ــ وابتدع اسما رقيقا « اتون » ــ قرص الشمس ــ وكان يقدسه هو وزوجته « تي يي » وصنع قاربا كان يكثر من التنزه فيه مع زوجته اسماه « أتون يسطع » وعمل هذا الفرعون على تنشئة بنيه وبناته وخاصة ولي عهده « امينوفيس الرابع » على عبادة « اتون » .

---

(٦) انظر : الدملوجي / تاريخ الآلهة جـ ٢ ص ٦٢ ــ ٩١ وسنية قراعة / الرسالات الكبرى ص ١٠٨ .

ارتقى « امينوفيس الرابع » الذي عرف باسم « اخناتـون » وكان اكثر جرأة من ابيه فجاهر بالوحدة الفرعونية الاولى ، ونادى بالغاء عبادة الآلهة المتعددة وعبادة « اتون » وحده ٠٠ اي القوى الكامنة خلف قرص الشمس ٠

فكر امينوفيس الرابع في تلك القـوة التي لا تراها عين والتي ترى كل شيء وتولى العالم والناس ماهم فيه من خير واسعاد ٠٠ وطـال بـه تفكيره ، ولكنه لم يتشعب لأن بصيرته هدته في سرعة الى الحقيقة وهي :

ان هناك قدرة تسود هذا العالم وتسير اموره وامور من فيه ٠ وان هذه القدرة مستترة لا يمكن تشخيصها ولا تحديد هيئة لها وان اياديهـا العديدة ذات الافضال والمنن تمتد من سمائها ومن خلف قـرص الشمس فتهب العالم كل شيء[٧] ٠

ولم يكد يمض العام السادس على تولية « امينوفيس » حتى غـير اسمه الى « اخناتون » اى عبد اتون ، وامر الناس بانكار الاله القديـم « امون » ــ الذي توارث شعبه تقديسه وعبادته ــ والايمـان بالآلـه الجديد « اتون » وخضع الشعب ، الا ان رجال الدين والكهنة وخصوصا كهنة امون ــ الذين ضربت مصالحهم وقلت مدخولاتهم ــ لم يرضـوا عن هذه الدعوة « واعتبروها الحادا وحكموا على « اخناتون » بالفنـاء واللعنة ، ولكنهم لم يجـروا على اعلان ذلك خشـية الانتقاص من سلطان فرعون كفرعون للبلاد ،اذ كانوا يعتقدون ان هذا الظل البغيض سوف يزول وان الشيء الذي سيبقى رغم انف ذلك الكافر هو مصر وعقيدتها ، التي ما كان لمثل هذه الدعوة العارضة ان تغير منها شيئا على الاطلاق او تنال من قوتها التي تمكنت في النفوس وثبتت[٨] ٠

---

(٧) سنية قراءة / الرسالة الكبرى ص ١١٢ وانظر : مظهر / قصة الديانات ص ٢١ ــ ٢٤ .. وابراهيم رزقانـة / حضـارة مصر ص ٢٠٨ ــ ٢١٠ وجيمس هنري برستيد / تطور الفكر والدين في مصر القديمة ص ٤١٨ ٠

(٨) المصدر السابق وابراهيم رزقانة / حضارة مصر ص ٢٠٦ ــ ٢١٠ ٠

وحدث فعلا ما تنبأ به هؤلاء الكهنة فبعد ان مات اخناتون سرعان ما لحق به دينه وتغلبت فكرة التفريد « الاله الاعظم » على عقيدة التوحيد « الآله الواحد » مرة اخرى[٩] ٠

البعث والحساب :

لعل اعظم واروع ما في الدّيانة المصرية هو الاعتقاد بالحياة بعد الموت وبالخلود فيها ، وبالمثوبة او العقوبة على ما قام به الانسان من عمل صالح او طالح في حياته الاولى الفانية ٠

وقد قامت عقيدتهم هذه على امرين رئيسين :

اولهما : فكرة العدل الالهي :

قالوا : أننا نشاهد صراعا عنيفا بين قوى الخير والشر في هذه الحياة ٠ وكثيرا ما نرى الشر ينتصر على الخير والرذيلة على الفضيلة والفجار على الابرار فلو لم يكن هناك يوم يكافأ فيه المحسن على احسانه ويحاسب فيه المسيء على اسائته ما استقام العدل الالهي ٠

اذن فمن العدالة ان يكون يوم آخر وحياة اخرى لينتصر فيها الخير والاخيار وينتصف فيها من الشر والاشرار ٠

وثانيهما : وجود الروح وخلودها :

اعتقد المصريون بان الانسان مكون من عنصرين متغايرين هما : الجسد والروح وان الجسد شيء كتب عليه الفناء ، وان الله قد وكل امر حياة البشر واحساسه وشعوره الى روح تغاير الجسد صفة ومادة ونسيجا فهي خالدة لا تعترف بموت او فناء ٠ فالروح يفارق الجسد بعد الموت ، ويعلو الى السماء حيث يحتشد مع غيره من بقية الارواح في قارب « رع » المجتاز

---

(٩) بموت اخناتون انهارت دعائم دينه ، ولم يستطع خلفاؤه « سكنن رع » زوج ابنة اخناتون الكبرى ومن بعده « توت عنخ امون » زوج ابنته الثانية ـ ان يقفوا في وجه التيار الديني المضاد والمتحمس للعودة الى تأليه امون فرضخوا لكهنة امون املا في عونهم وطلبا لرضى الشعب واعلن « توت » بطلان عبادة اتون واستبدل اسمه بامون وهكذا انتصرت المصالح الذاتية على العقائد الدينية .

للسماء سائرا بهذا الحشد الى « الغرب » حيث « لوكارون » الذي يحمل الاجساد في قاربه الى الابدية وحيث مملكة « اوزوريس » رب المغرب والخلود التي تنتقل اليها الارواح التي وصلت في مركب « رع » .

وعالم « اوزوريس » هو عالم الموتى ، وفيه ايضا قاعة العدل الالهي او قاعة الحساب ويتصدرها القاضي الاكبر اوزوريس ، والى جانبه زوجته ايزيس ، واختها نفتيس ، وامامه يقف ابنه « حوريس » ومعه « انوبيس » الموكول اليه امر الموتى وبمبعدة من عرش القاضي الاكبر يقف « توت » رب الحكمة ، يحمل صحائف اعمال الارواح القادمة الى قاعة العدل والتي سطرت فيها الحسنات والسيئات .

ولا تكاد تبدأ المحاكمة حتى يأخذ كل من هؤلاء مكانه ، ويجلس الاثنان والاربعون قاضيا في اماكنهم ويوضع الميزان والى جانبه « معات » ربة العدل ، وبمبعدة منه الوحش البشع الهيئة الذي يسمى « الملتهمة » يجلس متحفزا في انتظار الروح الشريره ليتولى عذابها[١٠] .

ومما تجدر الاشارة اليه ان عودة الروح وبقاءها حية بعد الموت يتوقف على أشياء كثيرة ـ عند المصريين ـ

منها : قيام البشر بامور طقوسية معينة ، وتزويد المتوفى بما يحتاج اليه الاحياء من عون مادي كالادوات والاثاث والطعام والشراب ، والمحافظة على سلامة الجسم ، ولذا بذلوا اقصى الجهد في سبيل المحافظة عليه ، وجعله صالحا لحلول النفس فيه بعد الموت .

وهذا ما حفزهم على التفنن في تحنيط الموتى ، وبقاء المومياء على هيئة من التماسك وعدم التحلل حتى تعود النفس الى غلافها .

ولضمان عودة النفس تفننوا في اقامة تماثيل للموتى تشبه اجسامهم تمام الشبه حتى تحل فيها النفس ان كان الجسم غير صالح ، ونحتوا اكثر من تمثال للميت الواحد ، حتى اذا لم يكن احدها صالحا تحل في غيره[١١] .

---

(١٠) نفسه ص ١٢٥ ، ١٢٦ وانظر : ابراهيم رزقانه / حضارة مصر والشرق القديم ص ١٧٥ وجيمس هنري برستيد / تطور الفكر والدين في مصر القديمة ص ٨٥ .

(١١) انظر : ابو زهرة / مقارنات الاديان ص ١٧ وطه باقر / المقدمة ص ٩٦.

كتـاب الموتى :

كان لهذا الكتاب شأن كبير عند المصريين لانهم يزعمون ان احد الآلهة قد كتبه بيده ولذا يتعبدون بتلاوته وهم احياء ، ويوضع معهم في قبورهـم وهم اموات •

يشتمل هذا الكتاب على جميع الكلمات السحرية التي تستعمل لعلاج الامراض وعلى الصلوات والادعية • وعلى ما يجب للميت من تحنيط وطقوس دينية وعلى ما تلقنه الروح لتحسن الاجابة امام محكمة الحساب •

جاء في احد ابوابه : « ان الكتاب يعلي شأن الميت في احضان « رع » ويحبوه السبق لدى « توم » ويجعله عظيما لدى « اوزوريس » ، ومرهوب الجانب لدى الآلهة • وكل ميت وضع له هذا الكتاب تخرج روحه نهـارا مع الاحياء وتصعد الى الآلهة ، ولا يعترضها عارض تدنيه الآلهة منها ، وتلمسه لأنه شبهها ويوقفه هذا الكتاب على ما حدث منذ البدء • هذا كتاب خفي وهو حق لم يعلم به احد ، انه مالا عين رأت ؛ ولا اذن سمعت انه لا يراه احد سواك ، ومن علمك اياه ؛ فلا تزد عليه شيئا من خواطرك وخيالك • بل قم بكل ما يدعوك اليه وسط بهو التحنيط •• »

وهذا جزء مما تقوله الروح ـ دفاعا عن نفسها ـ امام محكمة الآلهة في العالم الآخر وهو مقتطف من احد فصول الكتاب (يا سادة الحقيقة : اني حامل الحقيقة انني لم اخن احدا ولم اغدر بأحد ولم اجعل احدا من ذوي قرابتي في ضنك ولم اقم بدنيئة في موئل الحقيقة ، ولم امازج عملي بشرقط ، وجافيت الضر والاذى ، ولم اعمل باعتباري رئيس اسرة ما ليس من عمل ربها ، ولم اكن سببا في خوف خائف ولا اعواز معوز ، ولا الـم متألـم ولا بؤس بائس • لم اجع احدا ، ولم اقتل نفسا ، وما حرضت احدا على قتل او خيانة •• لم تكن ثروتي عظيمة الا من ملكي الخاص ، انني لم انقص مكيال الحبوب ، ولم اكن طماعا ، ولم يكن صوتي عاليا فوق ما يجب ، ولم تأخذني حدة الغضب في طبعي ، انني لم اسب ولم اكن متـمما ولم اكن متكبرا ، اني لم ارتكب زنا مع امرأة ، اني لم ادنس عرضي ، قولوا عني الصدق امام الرب المهيمن ولا تقدموا ضدي اية شكاية امام الآله العظيم ، لأني انسان طاهر

الفم طاهر اليدين واني من قال له كل من رآه : مرحبا ، مرحبا . فأنا نقي ، أنا نقي ، أنا نقي[١٢] .

وهكذا تظل الروح تذكر براءته من اثنتين واربعين خطيئة تغضب ربه وتنهي دفاعها الانكاري هذا بالتوسل للاله الاكبر كي يمن عليه بالمغفرة ، وان يسمح له بالحياة في النعيم الابدي .. ويضرع الى الاثنين والاربعين قاضيا لكي يشفعوا له .. واذا نجحت الروح في الدفاع عن الميت ، وزكته اعماله اصدرت المحكمة حكمها ببراءته . ومن نصوص الحكم كما جاء في الكتاب (ليس فيه شر ، ولا خطيئة ولا فساد ، ولا دنس ، وليس عليه اتهام ولا في اعماله ما يثير الاعتراض فقد عاش من الحق وتغذى بالحق ، وان افعاله تشرح الصدور وهي ما يطلبه الرجال ويسر الاله وقد اخلص للآلهة فحبته واعطى الخبز من كان خاويا ، والماء من كان صاديا ، واللباس من كان عاريا ، واعار الزورق لمن ليس عنده ..) .

وفي نهاية بحثنا الموجز للديانة المصرية نسجل الملاحظات التالية :

١ ـ ان فكرة تعدد الآلهة ظلت مسيطرة على نفوس المصريين القدماء ما عدا فترة حكم الفرعون « أخناتون » الذي سعى لتحطيم فكرة التعدد ، وانشاء عقيدة الاله الواحد ، وقد نجح فترة حكمه فقط بعدهـا عاد المصريون الى التعدد ، ولكنهم في جميع عهودهم لم ينسوا عقيدة الاله الاعظم او الاله الاكبر .

٢ ـ ان وحدانية أخناتون لم تصل الى التجريد المطلق الذي هو طابع الديانات السماوية فيما بعد ولا سيما ما نص عليه القرآن الكريم ـ ليس كمثله شيء ـ بل ظلت هذه الصورة مرتبطة بصورة هذا الكوكب السماوي الشمس .

٣ ـ ان الديانة المصرية كانت تتأثر بالاحداث السياسية في البلاد .

٤ ـ ان الخلود والسعادة في الحياة الاخرى مشروطان بأعمال الانسان الخيرة في الحياة الاولى .

---

(١٢) ابو زهرة / مقارنات الاديان ص ١٩ ـ ٢٠ وسنية قراعة / الرسالات الكبرى ص ١٢٧ ـ ١٢٩ والسيد محمود ابو الفيض / الدين المقارن ص ٧١ ، ٧٢ وابراهيم رزقانة / حضارة مصر ص ١٧٥ .

٥ ــ ان آلهة المصريين آلهة خيرة ، تطلب من المؤمنين بها فعل الخير وتثيب عليه والابتعاد عن فعل الشر وتعاقب عليه .

٦ ــ على الرغم مما حفلت به الديانة المصرية من اوهام وخرافات فانها قد اشتملت على نماذج اخلاقية عالية وفضائل قيمة ، وآداب عظيمة صارت فيما بعد معينا قبست منه الديانات الانسانية ــ غير المنزلة ــ والحكماء شيئا كثيرا .

٧ ــ من المحتمل ان تكون عقيدة التوحيد في الديانة المصرية قد ارتكزت او استمدت من فكر الهي غير مباشر وذلك لما يأتي :

١ ــ ان ادريس ــ الذي عرف عند المصريين باسم « حوروس » او « هورروس » وعند ــ اليونان « هارروماكيس » وعند العبرانيين « خنوخ » والذي سماه الله في كتابه الكريم « ادريس » قد هاجر وأتباعه من بابل الى مصر قبل عصر « مينا » أو (ميناس) اول الفراعنة بعد حكم الكهنة ــ حوالي ٤٥٠٠ ق . م ــ وكان يدعو الى التوحيد ، بل كان صديقا نبيا . فهل بقي اثر لدعوته هذه حتى وصل الى الفرعون التاسع عشر (امينوفيس) ؟ ليس ذلك ببعيد .

٢ ــ من الثابت تاريخيا ايضا ان ابراهيم الخليل قد هاجر الى مصر في العهد السابق لاسرة اخناتون ، وبعد هجرة ادريس اليها ، وانه بقي فيها مدة اختلط خلالها بالشعب المصري واتصل بفرعونها ــ الذي هم ان يتزوج بالسيدة سارة « زوجة ابراهيم » قبل ان يكتشف انها زوجته[١٣] ــ ومعروف ان ابراهيم ذو دعوة توحيدية (الحنيفية) فربما يكون قد ترك اثرا لدعوته هذه في مصر .

٣ ــ ان يوسف حفيد ابراهيم قد حمل الى مصر في ظروف معينة وعاش فيها فترة طويلة في ظل (عزيزها) وقد اخبرنا القرآن الكريم انه جادل بعض رفاقه في السجن جدالا خفيفا حول الوحدانية التي كان يدين بها في قوله (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)[١٤] . فلعله قد تأثر بدياناته هذه بعض من اختلطوا به .

---

(١٣) انظر : العقاد / ابو الانبياء ص ١٩ ، ٧٠ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٣١ .
(١٤) يوسف / ٣٩ .

٤ ـ ان احتلال المصريين لكثير من اقطار آسيا واتصالهم باهلها ـ بحكم الفتح وادارة شؤون البلاد ـ قد اطلعهم على ما فيها من آثار النبيين من شرائع وعقائد فربما نالت هذه الآثار من النفس المصرية شيئا وانتقلت مع العائدين منهم الى مصر •

البحث الثاني

الديـانة البابلية

يتناول البحث في ديانة بابل الحديث عن معتقدات كافة الاقوام التـي سكنت العراق وبابل قديما . ومن تلك المعتقدات : عقائـد السومريـين ، والاكديين ، والكلدانيين والآشوريين ، حيث ان الديانة البابلية ما هي الا ديانة سومرية مقتبسة من قبل سامي وادى الرافديـن(١٥) وحيث كـانت كلما تبدلت دولة من الدول البابلية ترث الاخرى الديانة وتحترمها ولا تفكر في الغائها ، بل ربما تضيف اليها وتطورها فقد ورث الكلـدان نصـوص الديانة السومرية والاكدية وعملوا بها بعد ان توسعوا فيها(١٦) .

كان الدين في العراق القديم كما كان في مصر ـ خاضعا للتأثـيرات السياسية بالدرجة الاولى وكان يمثل درجة عالية من التعليمات والالتزامات الاخلاقية وكان له عند العراقيين ـ كما كان له عند المصريين ـ المكان الأول في حياتهم العامة والخاصة(١٧) .

وعلى عكس الديانة المصرية لم تكن للحيوانات في بابل اية قدسية ، وكذلك فان الاعتقاد بالحياة الاخرى نما نموا بطيئا جدا في الديانة البابلية .

وقد بدأت الديانة البابلية كبداية الديانة المصرية ، اذ كان لكل مقاطعة من المقاطعات آلهة تحرسها ، ولكل آله اسم خاص في كل مقاطعة من تلكم المقاطعات ، ففي مدينة لكش كان الاله الاعلى يسمى « نين جيرسـو »(١٨)

---

(١٥) انظر : جان بوتيرو / الديانة عند البابليين ص ٢٢ / ترجمة / د. وليد الجادر وسليمان مظهر / قصة الديانات ص ٤٣ .

(١٦) انظـر : The World's Religions, Charles S. Barden (p. 53)

(١٧) انظر : طه باقر / مقدمة في تاريخ الحضارات ـ تاريخ العراق القديم ـ ص ٢٢٣ .

(١٨) كان هذا الآله يصور على هيئة حيوان يتكون من اكثر من عنصر منتشرا في العصر السومري وكذلك على هيئة نسر كبير له راس اسد ويقبض على حيوانين وقد استمر هذا الاسلوب في تصوير الآلهة ، وانتقل منه الى العصر البابلي ولكنهم لم يعتقدوا حلول الآلهة في هذه الصور لذلك لـم ينته بهم الحال الى عبادة تلك الصور والرموز كما انتهى بالمصريين .

وفي مدينة اريدوكان الالـه يدعـى (ايا ـ او ـ انكـي) وفي نيبـور (انليل ـ او ـ بعل) وفي اور (سن) .

وكانت مكانة الآلهة متفاوتة ـ كمكانة الآلهة عند المصريين ـ تبعا لتفاوت المقاطعات السياسية ونظرا لسيطرة بعض المقاطعات على الاخرى نتيجة الحروب التي كانت تنشب دوما بينها فقد ارتفعت مكانة اله المقاطعة المنتصرة ، واصبح كثير من الآلهة المحليين آلهة للمقاطعات المغلوبة بعـد ذلك ، ثم اصبح العراق القديم يحكم من قبل ثلاثة آلهة وهم (أدوم أو انو) اله السماء و (انليل او بعل) آله الهواء والارض و (انكـي أو ايا) اله البحار والمحيطات[19] وكانت هناك مجموعة كبيرة من الآلهة عـدا هؤلاء لها اختصاصات اخرى في الكون .

وكان الناس يعتقدون انهم خلقوا من طينة الارض وشكلوا حتـى يشبهوا الآلهة وانهم ما خلقوا الا لعبادتهم وطاعتهم ولـذلك اعتبر النـاس انفسهم ملزمين تجاه تلكم الآلهة بأمرين :

احدهما : خشية الاله .. وثانيهما : عبادته وتقديم القرابين له[20] .

وهكذا نجد ان الديانة البابلية تتميز بتعدد الآلهة ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يفردون بعض الآلهة ويفضلونها على الاخرى اي انهم كانوا يؤمنون بفكرة التفريد لا بمبدأ التوحيد . والتفريد هو تخصيص الـه او جملة آلهة بالتعظيم والعبادة دون ترك الآلهة الاخرى .

واما التوحيد : فهـو الاعتقاد باله واحد وقصـده وحدة بالطاعـة والعبادة .

اولا ـ الآلهة واصلها :

والآلهة في العراق القديم ترجع من جهة اصلها ـ كالآلهة المصرية ـ الى قوى الطبيعة . حيث انتخب العراقيون اهم الظواهر الطبيعية التي كان لها اثر قوي في حياتهم وشخصوها على هيئة آلهة وبقيت صفة الظواهـر

---

(١٩) انظر : مظهر / قصة الديانات ص ٤٠ وطه باقـر / المقدمـة ص ٢٤٧ وعبدالمنعم ابو بكر / حضارة مصر والشرق القديـم ص ٢٠١ وعيسى الحلو / عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم ص ١٥٢ .

(٢٠) انظر : المصادر السابقة ص٤١ و ٢٢٥ ، ٢٥٦ و ٣٠٣ .

الطبيعية بارزة في آلهة العراق ، وحتى بعد ان تطورت وابتعدت عن نشأتها الاولى .

وقد ارجع الباحثون القوى الطبيعية التي كانت اصل الآلهة العراقية الى ثلاثة مصادر :

١ ــ القوى المستمدة من السماء (كانت السماء بوجه عام على رأس الظواهر الطبيعية فالسماء والارض ــ عندهم ــ تؤلفان الكون ــ كما يشير الى ذلك اسم الكون بالسومرية (آن . كي) فكان الاله (آنو) الممثل للسماء على رأس الآلهة البابلية ويمثل اصل السلطة في الكون[٢١] .

٢ ــ القوى المستمدة من الجو والهواء وكان يمثل هذه القوى الاله (انليل) وهو يمثل القوة المنفذة . ولذا يأتي بعد الاله (آنو) في الدرجة والمكانة لأن الاخير ــ كما عرفنا يمثل مصدر السلطة .

٣ ــ القوى المستمدة من الارض وقد شخصت بهيئة آلهة متعددة (والارض عدا انها مصدر الخصب والانبات فانها مصدر الماء ، فكان الماء عنصرا مهما من قوى الطبيعة التي جسمت على هيئة اله ، وقد دعي « انكى » (اى سيد الارض) ووصف بالحكمة والدهاء وقوة الخلق ، مما هي من صفات الماء التي شعر بها من يمارس شؤون الارواء مثل سكان العراق القدماء)[٢٢] .

ابرز الآلهة : ــ

١ ــ آنو : وكان يحتل مركز الصدارة بين المعبودات في قوائم الآلهة في العراق القديم وقد وصف بأبي الآلهة .. وملك الآلهة ، ومقره في السماء وعرشه في أعلى قبتها وقد عبد هذا الاله في جميع انحاء العراق وخصصت لعبادته مدن شيدت فيها معابده اهمها مدينة نفر واور والوركاء .. وعبد معه في المدينة الاخيرة الآلهة الشهيرة (عشتار) التي دعوها ابنته[٢٣] .

---

(٢١) طه باقر / المقدمة ص ١١٥ وانظر : عيسى الحلو / عصور ما قبل التاريخ ص ١٥٢ . والعقاد / الله ص ١٠٥ .

(٢٢) نفس المصدر .

(٢٣) انظر : المصدر السابق ص ٢٤٧ ومظهر / قصة الديانات ص ٤٤ .

٢ ـ انليل : وكان آله الهواء والجو والظواهر المتعلقة بهما وصار كبير الآلهة عند السومريين والبابليين ، ولقب بأبي الآلهة ايضا ومعنى اسمه : (السيد الهواء) أو (الرب الهواء) ولقب بسيد الارض وكان يحكم جميع البشر وله شبكة مقدسة يحبس فيها العصاة والمذنبين وكانت بيده الواح القدر ومدينة نفر موضع عبادته وتقديسه وقد حازت بسبب ذلك على ارفع مكان بين المدن السومرية وكان (سن) اله القمر يسمى احيانا (ثوير انليل القوى) وكان يعتبر ابنا له يتناوب اخذ الشبكة من ابيه[٢٤] .

٣ ـ (أيا) أو (انكي) : وهو ثالث افراد الثالوث الرئيس للآلهة التي اقتسمت العالم وكان يمكن التمييزبين ثلاثة انواع من الارض٠٠الارض العليا حيث يحكم (انليل) والارض السفلى حيث يحكم (نرجال) والارض الوسطى حيث مملكة (أيا) أو (أنكي) سيد الماء المقدس، وهو اله الحكمة والمعرفة الذي علم البشر الكتابة والصناعة والفنون واصول العمران وقد تمت عملية خلق البشر على يده فهو الذي شكل الانسان من الطين ونفخ فيه نسمة الحياة عندما استنجد به الاله (مردوخ) في عملية خلق الانسان الأول .

وكان مكان عبادته مدينة اريدو وقدس كذلك في جميع انحاء العراق وبالاخص في مدينة اور ولارسه والوركاء[٢٥] .

٤ ـ مردوخ او المريخ : كان في بداية امره الها خاصا لمدينة بابل ثم لما عظمت مكانة هذه المدينة في زمن حمورابي واصبحت عاصمة الامبراطورية البابلية ارتفع شأن الاله مردوخ وصار مقدسا في جميع البلاد .

(وهو الابن البكر للاله أنكي او أيا ورث عن ابيه العلم والسحر وهو الذي يتلو الرقى والتعاويذ للآلهة ، ولمردوخ اربع عيون واربع آذان فهو اعقل العقلاء بين الآلهة تسلم منهم القوة التي استطاع عن طريقها ان يدير

---

(٢٤) المصدرين السابقين ص ٢٤٨ ، ٤٤ .

(٢٥) المصدرين السابقين ص٢٤٩ ، ٤٥ .

شؤون السماء والارض وقد تركزت فيه صفات الآلهة جميعا . وكلمته تخلق الخلق او تمحوهم)[٣٦] .

٥ ــ الاله القمر : كان اسمه عند السومريين والبابليين (سين) وسموه (ننار) ايضا أو (ننا) ومعناه رجل السماء وسمى عرب الجنوب الاله القمر (ود) وعند الآراميين (شهر) وعند الامهريين (ورخ) و (يرخ) وخص الآله القمر بمدينة (اور) منذ اقدم الازمان وشيد له فيها معبد شهير لاتزال بقايا الصرح المدرج فيها (الزقورة) باقية .. وخصصوا له زوجة هي (ننجال) وعبدت معه في معبده في اور وانتقلت عبادة القمر الى جهات سورية وشيد له معبد في (حران).. وانتشرت عبادته من حران الى الفينقيين وقدسه البدو الآراميون والبدو العرب[٢٧] .

٦ ــ الاله الشمس (شمش) : وقد سماه السومريون (اوتو) اي (الضوء والنور) ودعوه كذلك (بيار) اي (النير) وسماه الساميون (الشمس) اي (شمش) وكانوا يمثلونه بهيئة آدمية كما صور في اعلى مسلة حمورابي[٢٨] . ومثلوه ايضا ــ غالبا ــ بدائرة ذات اربعة خطوط تنبعث منها حزم الاشعة .

وكانوا يصفونه بضوء العالم .. ضوء السماوات والارض .. ضوء الآلهة .. الذي يولد الليل والنهار ويهب الحياة ويحمي الموتى . (ولأنه ينير بضوئه الظلمات فهو اله العدل والحق والشرائع وهو الذي املى على حمورابي شريعته المقدسة . وهو القاضي الاعظم وسيد الكهانة والعرافة .

---

(٢٦) مظهر / قصة الديانات ص ٤٦ وانظر : العقاد / ابو الانبياء ص ٢٠٤ والله ص ١٠٦ .

(٢٧) طه باقر / المقدمة ص ٢٥٠ ، ٢٥١ وانظر : العقاد / ابو الانبياء ص٢٠٤ وعيسى الحلو عصور ما قبل التاريخ وتاريخبابل القديم ص١٥١ ، ١٥٢ .

(٢٨) انظر طه باقر / المقدمة ج١ ص٢٥١ وسليمان مظهر / قصة الديانات ص ٤٥ .

وعبد الاله الشمس بوجه خاص في مدينتي (لارسه) و (سبار) وقدسه الآشوريون وشيدوا له بعض المعابد وعبدت معه زوجته (آي) ، وقد جسم البابليون (العدل) و (الحق) وعدوهما ابنتين للاله[٢٩] .

٧ ـ عشتار : احدى بنات الاله القمر (سين) وهي ذكر في الصباح يشرف على الحروب والمذابح .. وانثى في المساء ترعى الحب والشهوة .. فهي ربة هلوك تسعى وراء اللذة والاغواء . وقد مثلوها بالزهرة ورمزوا اليها بنجم تخرج منه ثمانية من الاشعة او ستة عشر داخل دائرة[٣٠] .

احتلت عشتار مكانا بارزا في ديانة وادي الرافدين و (انتشرت عبادتها الى جميع انحاء الشرق الادنى وانحاء اخرى من العالم واخذ عبادتها الاغريق وسموها باسم (افروديت) وعبدها الرومان باسم (فينوس) وقد سماها السومريون باسم (اينانا) أو (انيني) ومعنى ذلك سيدة السماء ودعاها الاكديون والآشوريون الساميون باسم (عشتار) وعرفت باسم (عشتاروت وعشترويت) عند الاقوام السامية الاخرى ولا سيما في جهات سورية ، وعبدها العرب في الجنوب)[٣١] .

٨ ـ آشور : وهو الآله القومي للاشوريين واحتل عندهم المكان الأول من بين قائمة الآلهة السومرية ـ البابلية التي عبدها الآشوريون ايضا . وقد كان آشور في مبدأ امره الها محليا لمدينة آشور ولكنه اخذ يكبر مع مدينته.ثم زاد نموا مع بلاده حتى اغتصب اختصاصات غيره من الآلهة .. فاصبح ابا الآلهة بدلا من الاله (آنو) والـه الارض بدلا من الاله (انليل) .. بل انه صار خالقا للالهة جميعا .

وقد اعتقد الآشوريون بان له دورا مهما ورئيسا في شؤون الكون والخلق وشيدوا له المعابد الفخمة في آشور وفي غيرها من المدن الآشورية المهمة . ورمزوا اليه بانسان يطير بجناحين ، وبيده قوس وسهم والجناحان

---

(٢٩) طه باقر / المقدمة جـ ١ ص ٢٥٢ .
(٣٠) انظر : مظهر / قصة الديانات ص ٤٦ .
(٣١) طه باقر / المقدمة جـ ١ ص ٢٥٢ وعيسى الحلو / عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم ص ١٤٦ .

تنبعثان من قرص الشمس • وقد اخذ الفرس الاخمينيون هـذا الرمـز لالههم (اهورامزدا)[٣٢] •

نكتفي بهذا القدر من الآلهة مع ان غيرهم كثير في قائمة آلهة الديانة البابلية منهم : (نرجال) اله العالم الاسفل حيث مقر ارواح الموتى • وهو اله الوباء والدمار ويساعده في مهامه زوجته (ايرشكيجال) ملكة الارض السفلى ومجموعة من الآلهة الصغيرة مع عدد من الشياطين والعفاريت • ومنهم : (ادد) اله الجو والمناخ ولا سيما الامطار والرعد والفيضان ومنهم (نبو) ابن الاله (مردوخ) وكان اله المعرفة والحكمة وسكرتـير الآلهـة في مجالسها المقدسة •

ثانيا ـ الموت والعالم الآخر :

لم يشك البابليون في حتمية الموت وفرضه على البشر وجميع الاحياء ولكن يبدو ان فكرة البعث بعد الموت والجنة والنار لم يعرفوها في بدء امرهم على خلاف المصريين القدماء (وعلى ذلك : ففكرتهم في القيام بالصلاة وتقديم القرابين لم تكن للحصول على الحياة الخالدة بل طمعا في النعـم المادية الملموسة في الحياة الدنيا) •

وعقيدتهم في ذلك هي : ان الانسان ما دام يعمل صالحا فقد استحق رضى الله وعاش متمتعا بالسعادة • اما اذا اذنب ـ بقصد اوبدون قصد ـ فان الاله حاميه يتخلى عنه فتتلقفه مخلوقات الشـر ويتـردى في عالـم الرذيلة[٣٣] •

وبالموت تنفصل الروح عن الجسم وتنتقل الى طور جديد من الوجود اذ تنحدر بعد وضع الجسم في القبر الى عالـم الارواح وهـو العالـم السفلي[٣٤] وتعيش هناك الى الابد حيث لا قيامة ولا رجعـة ولا جنـة ولا نار •

---

(٣٢) انظر : باقر / المقدمة ص ٢٥٤ ومظهر / قصة الديانات ص٤٧ وعبدالمنعم ابو بكر / حضارة مصر والشرق القديم ص ٣٤٢ .

(٣٣) مظهر / قصة الديانات ص ٤١ وعبدالمنعم ابـو بكر / حضـارة مصـر والشرق القديم ص ٣٠٢ والعقاد / الله ص ١٠٧ .

(٣٤) وهو عالم مخيف وقد تخيلوه بشكل مدينة يحيطها سبعة اسواريحرسها مردة الشياطين وسموه باسماء مختلفة منها (كيجال) و (الارض التي

ثم انتقلت الى بابل بعض المعتقدات المصرية حول عودة الروح الى الجسم في القبر والحساب وما يترتب عليه من نعيم او عذاب يدل على ذلك : طرق الدفن لديهم وما نجد في قبورهم من الاثاث واللوازم الخاصة بالميت ولا سيما ما ورد في اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش (ان بعض الموتى ممن خلفوا الحسنات والمآثر الصالحة .. يعيش في هذا العالم (العالم السفلي) عيشا فيه بعض الراحة حيث يمنح الماء والطعام(٣٥) .

ثالثا ـ العبادات والشعائر :

عرفنا ان البابليين اعتقدوا ان الآلهة انما خلقت البشر لعبادتها وطاعتها واقامة معابدها ومناسكها وتقديم القرابين لها وان من يخشى الهه ويطيعه ويلتزم بتقريب القرابين له فانه يعيش في دنياه راضيا مرضيا ، وان من يعصي ويقصر في حق الآلهة فانه يعاقب في الدنيا عقابا شديدا .

ولذلك اهتم العراقيون القدماء بأقامة المعابد للآلهة وحرصوا على ارضائها وتقديم القرابين لها التزاما بخشيتها وعبادتها من جهة واملا في ان تمنحهم السعادة والرخاء في الحياة الدنيا من جهة اخرى ولعل اوضح مثل لذلك ما قاله الملك آشور للآلهة عندما رمم معابدها (امنحوني ـ أنا الذي أخشى معبوداتي العظيمة ـ حياة تمتد اياما طويلة وسرور قلب) (والشعائر الدينية كثيرة متنوعة : منها الصلوات والقرابين والاعياد الدينية ومنها ، ما يتخذ لمعرفة طالع الانسان والوقوف على المستقبل ونتيجة اعمال الانسان وهو ما يطلق عليه اسم (العرافة والكهانة) .

لا رجعة منها) ، وتحكم هذه المدينة الهة شديدة قاسية هي (ايرش كيجال) اي (ملكة العالم الاسفل) ويساعدها في حكمها مجموعة من الآلهة والشياطين والكتاب لتسجيل الموتى .

(٣٥) طه باقر / المقدمة ص ٢٣٣ وعبدالمنعم ابو بكر / حضارة مصر والشرق القديم ص ٣٠٢ حيث يقول « ومن حقنا ان نفترض ان السومريين كانوا يؤمنون بالحياة الاخرى ودليلنا على ذلك : تزويد مقابرهم بانواع شتى من الطعام والادوات لا بد انهم اعتقدوا باستعمالها في دنيا الموت ولكنهم في نفس الوقت صوروا الدار الآخرة كعالم مظلم تسكنه الاطياف التعسة ويهوى اليه الموتى ايا كان شانهم من غير تمييز بينهم وانظر ص ٢٧٦ من من المصدر نفسه .

البحث الثالث

الديـانة اليونانية

مرت الديانة اليونانية باربعة ادوار متلاحقة وهي :

الأول : دور الديانة الكريتية ـ نسبة الى جزيرة كريت ـ ذلك لان اليونانيين قد تدينوا بهذه الديانة في مبدأ امرهم نظرا للتأثيرات الكبيرة بين الحضارتين الكريتية واليونانية . وهي ديانة وثنية في كافة عهودها ، فقد عبد الكريتيون مظاهر الطبيعة من حيوان وجماد ونبات كالحية والطيور والثور والفأس ذي الرأسين ومزجوا هـذه العبادات بطلاسـم السحـر والشعوذة .

ومن الارباب التي شاعت عبادتهـا في كل مكان من كريت (الربـة الحية) ربة المنزل الحارسة و (الالهة الام) ربة المحلات المرتفعة والحيوانات الوحشية والطيور ، وكانوا يرمزون اليها بالحية والحمامة . كمـا عبـد الكريتيون الاشجار والينابيـع المقدسـة التي تشـرف عليها ربة مـن الربات(٣٧) . ويبدو ان الكريتيين قد اعتقدوا بنوع من الحياة الاخـرى بدلالة ما وجد في قبورهم من حاجيات وادوات .

الثاني : من خلال التطورات الطبيعية للديانة الكريتية تبلورت ذهنية الشعب اليوناني وبدأ يجمع عقائده ضمن قواعد ومفاهيم معينة ، حيـث جـاء الشاعر هوميروس ـ صاحب الالياذة ـ فوضع بعض الصفات العامة للالهة اليونانية ، الا انه عاد فأعطى بعض المميزات للاله (زووس) في كتابه (الاوديسة)(٣٨) . ثم جاء (هـسيود أو أزيود) شاعر الفلاحين والعمال فكتب كتابه (اصل الآلهة) ويحوي مجموعة من الاسـاطير والمأثـورات القديمة وفي الكتاب تركيز ظاهر على ولادة آخر الآلهة اليونانية (زووس)

---

(٣٧) انظر : العقاد / الله ص ١٠٩ والدكتور سامي سعيد الاحمد / الالـه زووس ص ٩ ـ ١١ وابو زهرة / مقارنة الاديان ـ الديانات القديمـة ص ١٠٢ .

(٣٨) The World's Religions, Charles S. Barden.

الذي قتل والده ليصبح الاله الاعظم للكون . وعلى هذا فان هوميروس وهيود هم الذين (صنعوا اجيال الارباب لليونانيين واعطوهم اسماءهم وميزوا وظائفهم ومهنهم ورسموا اشكالهم)[39] .

وقد سمي هذا الدور .. دور الآلهة او الارباب الاولمبية ـ نسبة الى جبال الاولمب ـ حيث استقر الآله زووس (الاله الاعظم او رأس الارباب) ليحكم منه العالم وهو نفسه الاله (ديوس) المعروف في الديانة الهندية الآرية القديمة . واما الارباب الاخرى فهي كثيرة :

منها الربة (ارتميس) ـ ومثلها الربة افروديت او فينوس ـ وهي الربة (عشتار) البابلية ومنها الربة (ديمتر) وهي (ايزيس) المصرية ـ كما قال المؤرخ ـ (هيرودتس) وهي واحدة من ارباب كثيرة تشابهت عبادتها في بلاد الاغريق وعبادتها بين قدماء المصريين .

ومنها الرب (ادونيس) وهو من (ادوناي) العبرية بمعنى السيد او الاله ومنها الرب (سرابيس) وهو اسم مركب من اسمي (اوزيرس وابيس المعبودين المصريين)[40] .

وكانت صفة التشبيه طاغية على ارباب اليونان ـ كآلهة بابل ـ فقد وصفوها بكل صفات البشر الروحية والمادية كالصورة والاعضاء والفكر والعاطفة فهي ـ اي الارباب ـ تأكل وتشرب ، وتلعب وتلهو ، وتحب وتكره وتفرح وتحزن وتبغض وتحسد وتحقد وتنتقم وتحارب وتغزو وتنتصر وتنهزم .. الخ الا انها تختلف عن البشر في انها خالدة وفي ان اعمالها خارقة[41] . ولم يكن لدى اليونانيين في هذا الدور اي كتاب مقدس او شرائع دينية ثابتة وانما كانوا يحتكمون الى العرف والعادة واقوال الحكماء والفلاسفة .

الثالث : في هذا الدور دخلت الى اليونان ـ مع موجات من المبشرين الاجانب ـ افكار جديدة حول الحساب والعقاب والخلاص شبيهة الى حد

---

(٣٩) سامي سعيد الاحمد / الاله زووس ص ١٢ والنص للمؤرخ هيرودوتس.

(٤٠) العقاد / الله ص ١٠٩ والسيد محمود ابو الفيض / الدين المقارن ص ١٢٥ .

(٤١) انظر : المصادر السابقة وابو زهرة / الديانات القديمة ص ١١٣ والهاشمي / الاديان في كفة الميزان ص ٣٢ .

ومنها ما يتخذ لطرد الشياطين من جسم الانسان وشفاء المرضى مما يدخل تحت السحر • وبوسعنا ان نقسم انواع العبادات والطقوس الدينية الى صنفين :

صنف عام يقوم به الفرد لتحقيق الغاية التي خلق الانسان من اجلها وهي عبادة الآلهة •

وصنف يقوم به البشر لتحقيق امل أو حاجة كأزالة الامراض ودرء خطر الشياطين والارواح(٣٦) •

وانواع العبادات كثيرة ومتنوعة :

منها ما يقوم به الفرد بنفسه بدون وساطة كهنة المعبد كالدعاء وصلاة التوبة والاستغفار ومنها ما يقوم به الكهنة كذبح القرابين وما يتبع ذلك من اعمال وصلاة وحرق البخور وسكب السوائل المقدسة •

ومنها الاعياد والمهرجانات الدينية التي كانت تقام في المدن المختلفة منها الاعياد السنوية التي يحتفل بها في رأس كل سنة لتمجيد آله المدينة •

وفي نهاية بحثنا للديانة البابلية نسجل الملاحظات التالية :

١ ـ ان الديانة البابلية لم تعرف عقيدة التوحيد (الاله الواحد) وانما تميزت في جميع عصورها بمبدأ التفريد (الاله الاعظم) فقد اتضح لنا ان (آنو) كان الاله الاعظم بل ابا الآلهة جميعا عند السومريين والاكديين • وان مردوخ قد حل محله واغتصب منه وظائفه حين علا شأن البابليين • وان (آشور) قد علا عليهما واغتصب وظائفهما حين آلت السيادة للآشوريين •

٢ ـ ان عقيدة البعث والحساب والجنة والنار لم تكن واضحة في الديانة البابلية وانها لم تستقر في عقولهم بادىء ذى بدء ومن المرجح انها انتقلت اليهم من الديانة المصرية ولكن بصورة مشوهه مشوشه •

٣ ـ كان للدين عند العراقيين الاقدمين ـ كما كان له عند المصريين ـ المكان الأول في حياتهم العامة والخاصة وكان مفهومه يدور عندهم

---

(٣٦) طه باقر / المقدمة ص ٢٥٦ •

على ركنين اساسيين اولهما : الاعتقاد بوجود كائن او كوائــن او قوى فوق الطبيعة .

ثانيهما : يمكن للبشر بل من الواجب عليهم ان تكون لهم علاقات بتلك الكوائن والقوى .

٤ ـ كان للديانة البابلية نوع تأثير في الديانات الاخرى فقد عبد الاغريق (عشتار) باسم (افروديت) وعبدها الرومان باسم (فينوس) كما عبدها عرب شبه الجزيرة . واستعار الفرس رمز الاله (آشــــور) لآلهم (اهورامزدا) وعبد الفينيقيون والعرب الاوائل الاله القمر (سين) ومنه اخذ اسم سيناء .

٥ ـ من الخصائص البارزة في الديانة البابلية طغيان صفة التشبيه على الآلهة فقد وصف العراقيون القدماء آلهتهم بصفات البشر الروحية والمادية كالصور والاعضاء والفكر والرأى والعاطفة وبأنها تــزوج وتعشق وتنجب وتأكل وتشرب وتسكن المعابد التي شيدها لها البشر فهي عموما كالبشر فيما عدا تمتعها بالخلود والطاقات المعجزة .

٦ ـ لم تكن الآلهة البابلية كلها آلهة خيرة ، وانما كان بعضــها كذلك وبعضها شرير مدمر وبعضها متقلب فهو تارة خير واخــرى شــرير واوضح مثل لذلك (عشتار) فقد كانت تسعى للحرب والدمار في النهار وتركض وراء اللذة في الليل .

١

ما بالافكار المسيحية فيما بعد وقد عملت هذه الافكار على تطوير الفكر الديني فصار الانسان اليوناني ـ تحت تعليمات الاورفية ـ[42] نسبة الى (اورفيوس) يخاف الموت ويحسب له حسابا .

وكانت نتيجة ذلك ظهور طبقة اشبه ما تكون بالرهبان وتتميز الفترة الاورفية بغموض الفكر الديني الالهي والاستناد الى الاسرار ركضا وراء فكرة الخلاص من عقاب اليوم الآخر وكان اعظم هؤلاء المبشرين هو (اكسينوفون)[43] . وهو (اول من نقل الى الاغريق فكرة الاله الواحد المنزه عن الاشياء وكان ينعي على قومه انهم يعبدون أربابا على مثال ابناء الفناء ويقول : ان الحصان لوعبد الها لتمثله في صورة حصان وان الاثيوبي لو تمثل الها لقال : انه اسود الاهاب وان الاله الحق ارفع من هذه التشبيهات والتجسيمات ولا يكون على شيء من هذه الصفات البشرية.. بل هو الواحد الاحد المنزه عن الصور والاشكال وانه فكر محض ، ينظر كله ويسمع كله ويفكر كله ، ويهيمن كله ، في تقويم الامور وتصريف احكام القضاء)[44] . ويمكن ان يسمى هذا الدور .. دور التكوين القائم على مؤثرات خارجية . واهم هذه المؤثرات كان الديانات الآسيوية ـ المصرية .

الرابع : وهو اهم ادوار الديانة اليونانية لأن فيه برز الفلاسفة الذين اكدوا على سعادة الانسان كهدف عليه ان يسعى لتحقيقه في هذه الحياة.

---

(٤٢) اورفيوس / شخصية مجهولة ولعله شخصية اسطورية وقيل انه عاش قبل هوميروس الا انه لم يرد له ذكر في اشعاره التي خلد فيها ارباب اليونان وكذلك لم يرد له ذكر في كتاب هسيود . والاورفية : نظام بشبه الرهبنة وقد سمي المنتظمون انفسهم (اورفيكوي) اي تابعي نصائح وارشادات اورفيوس وعبدوا الاله (دايونيسيوس زاكريوس) وشجعت الدولة هذه العبادة وصار دايونسيوس زاكريوس مشرفا على تطهير النفوس في هذه الدنيا ومنحها ما تستحق من ثواب او عقاب . انظر : سامي الاحمد / الاله زووس ص ١٨ ـ ١٩ .

(٤٣) ولد في آسيا الصغرى /نحو ٦٠٠ق.م / انظر: انعام الجندي / دراسات في الفلسفة اليونانية العربية ص ٣٦ .

(٤٤) انظر : الدكتور جعفر آل ياسين / فلاسفة يونانيون ص ٢٩ ، ٣٠ وانعام الجندي / دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية ص ١٨ .

وبرز الادباء والشعراء الذين ابدعوا في تصوير التراث اليوناني ، الذي كان له تأثير كبير على معظم التراث العالمي الى اليوم • ويمكن القول بان الفلسفة قد بدأت منذ الدور الأول ولكنها لم تبرز وتتبلور الا في هذا الدور •

وفيه ظهرت الفلسفة المادية الطبيعية المستندة الى تحليل ظواهر الكون • ونشوء العالم دون اللجوء الى الخلق الآلهي ، نظرا لعدم وجود انبياء -عندهم- او شرائع سماوية تحد من تفكيرهم فراح (انكسمندريس) ٦١٠ - ٥٤٥ ق • م واضع الفلسفة الدهرية - ينسب جميع حوادث الكون الى الدهر ويمد الوجود الى غير حد من الزمان والمكان ويقول بعوالم لا تحصى وبدور عام يتكرر الى ما لا نهاية •

واما التكوين عنده فهو اجتماع العناصر المادية وافتراقها تحت تأثير الحركة والدوران دون ان يكون لها سبب او علة فاعلة(٤٥) •

واهم ما يمتاز به هذا الدور •• طغيان فكر الاله الواحد فقد قال افلاطون ان العالم معلول بعلة فاعلة مدبرة ، وهذه العلة هي (زووس = الله) وقال : ان المادة بحاجة الى من يحركها(٤٦) • وقال ارسطو : انه يجب ان يكون لحركة العالم علة فاعلة اولى ثابتة غير متحركة • وهذه العلة سرمدية لا اول لها ولا آخر ، وهي الجوهر الأول في الكائنات جميعا وهي (الله - زووس) ولا يجوز ان يكون لهذه العلة ابعاض او اجزاء والا افتقرت الى شيء من خارجها يستوفيها ، وهي مجردة عن المادة لان المادة بحاجة الى من يحركها(٤٧) ••

---

(٤٥) انظر : الدكتور جعفر آل ياسين / فلاسفة يونانيون ص ٢٩ ، ٣٠ وانعام الجندي ، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية ص ١٨ .

(٤٦) يعتبر افلاطون من أوائل الفلاسفة القائلين بوجود الله وبانه الخالق للعالم والمدبر لامره وبرهن على ذلك بعدة براهين اهمها برهان النظام حيث قال : ان العالم آية في الجمال والنظام ولا يمكن ابدا ان يكون هذا نتيجة علل اتفاقية (مصادفة)بل هو صنع عاقل كامل توخى الخير ورب كل شيء عن قصد وحكمة . انظر نديم الجسر / قصة الايمان ص ٣٩ ، ٤٠ وانعام الجندي / دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية ص ٥٤ .

(٤٧) يعتبر ارسطو اعظم الفلاسفة المؤلهة الاقدمين وهو واضع علم المنطق ويلقب بالمعلم الاول انظر : انعام الجندي / دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية ص ٣٢ . وول ديورانت / قصة الفلسفة ص ٧٨ .

وهكذا لعبت الفلسفة اليونانية دورا مهما في جعل الافكار اليونانية مرنة تتمكن من التمازج والتفاعل مع افكار العالم الحية . اذ بعد احتكاكها بالديانة المصرية وبالذات مدرسةالاسكندرية الفلسفية والديانات والفلسفات الآسيوية ظهرت المدرسة اليونانية الحديثة بزعامة الفيلسوف (فيلون)[٤٨]. الذي وضع شرحا كبيرا لآراء افلاطون وجاء من بعده (افلوطين) فجدد مذهب (فيلون) وعرف مذهب افلوطين هذا بالافلوطونية الحديثة . وخلاصة رأي الافلوطونية الحديثة في نظرية الوجود وخلق العالم هي : ان هذا العالم كثير الظواهر دائم التغير فلا يمكن ان يكون قد وجد بنفسه بل لابد له من خالق مبدع وهذا الخالق هو الله . وهو واحد احد أزلي ابدي قائم بنفسه وهو فوق المادة وفوق الروح . ولما كان التشبه منقطعا بينه وبين الاشياء فلا يمكن وصفه الا بصفات (سلبية) فهو ليس مادة ولا يوصف بانه متحرك او ساكن ولا يقال انه موجود في زمان او في مكان ولا يمكن ان تضاف اليه صفة لان هذه الاضافة تشبيه له بشيء من مخلوقاته وتحديد له . وهو لا نهائي وكامل ولا يفتقر الى شيء ولسنا نفهم عن طبيعته الا انه يخلق كل شيء ويسمو على كل شيء ولا تدرك كنهه العقول[٤٩] .

ولكن على الرغم مما انجبت اليونان من فلاسفة عظام ونظريات فلسفية في غاية الاهمية في الوجود .. والخلق .. والمعرفة .. وما الى

---

(٤٨) نشا فيلون في الاسكندرية (٢٠ ق.م ـ ٥٤ ب.م) في الوقت الذي كانت فيه الأسكندرية قد خلفت اثينا في مركزها العالمي وكان المذهب المسيطر فيها يومئذ هو مذهب افلاطون وكثر البحث والجدل في اصل العالم وكونه حادثا او قديما فوضع فيلون شرحا كبيرا لآراء افلاطون ثم جاء بعد ذلك افلوطين بين سنة ٢٠٧ و ٢٤٠ م فجدد هذا المذهب الذي عرف بعد ذلك بالافلوطونية الحديثة . انظر نديم الجسر / قصة الايمان ص ٥١ .

(٤٩) نديم الجسر / قصة الايمان ص ٥١ ، ٥٢ وقد علق على هذه الآراءبقوله: وهذا الكلام على ما فيه من حق ينطوي على كثير من الغلو في التنزيهحتى يكاد يجعل الله موجودا بلا ماهية فالاكتفاء بالصفات السلبية غير صحيح لانه وان كان فيه اعتراف وايمانبصفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس الا انه لا يثبت لله صفات العلم والقدرة والارادة مع انها متوجبة عقلا لله تعالى .

ذلك . وعلى الرغم من اتفاق تلكم النظريات في العديد من المسائل المتعلقة بالدين والعقيدة . كاعتبار ان الله موجود ، كامل ، خالق ، وان معرفته لا تكون الا بالوحي والالهام والزهد والتقوى ، والعبادة ، والتجرد عن الدنيا . فقد بقيت ديانة اليونان وثنية في جوهرها .. حتى ظهرت المسيحية فغالبتها حينا من الزمن وتمكنت من القضاء عليها ولكن بعد ان تركت هذه الفلسفات بصماتها واضحة جلية في المسيحية واثرت فيها ابلغ الاثر(٥٠) .

★ وفي نهاية بحثنا للديانة الاغريقية (اليونانية) نسجل الملاحظات التالية : ـ

١ ـ ان الديانة اليونانية بقيت ديانة وثنية من نشأتها الى منتهاها وانها ارتكزت على تعدد الآلهة والارباب وان اليونانيين عرفوا مبدأ التفريد (الاله الاعظم) كما عرفوا مبدأ التوحيد (الاله الواحد) ولكنهم ـ رغم عقليتهم الجبارة ـ لم يستطيعوا تجريد عقيدتهم من علائق التشبيه والشرك لافتقارها وافتقارهم الى الوحي والنبوه .

٢ ـ ان اليونان ـ في مجال الدين والعقيدة ـ لم يعطوا شيئا يضاف الى تراث البشرية الديني وانما اخذوا كل شيء عن الديانات الشرقية (المصرية ، البابلية ، الهندية ، الفارسية) عن طريق الفينيقيين والكريتيين .

٣ ـ لم يأخذ اليونانيون اصول دياتهم عن الشرق فحسب بل اخذوا ايضا اصول فلسفتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وصناعاتهم عن المصدر نفسه (الحضارات الشرقية) وبالاخص مصر ، بابل ، الهند . ولكنهم توسعوا وابدعوا ونبغوا في كل ذلك . ولا سيما الفلسفة فقد توسعوا فيها واضافوا اليها حتى طبعوها بطابعهم الخاص ، حيث وضعوا لها النمط العقلي ، والمنهج المنطقي ، حتى صارت على ما هي عليه من عظمة واتقان . ثم جاء دور الشرق ـ بعد ذلك ـ لينتفع من تلكم الفلسفات في مدارس الاسكندرية وجنديسابور وغيرهما من المدارس .

---

(٥٠) The World's Religions, Charles S. Barden.

البحث الرابع

الديـانة الرومانية

لم تكن الديانة الرومانية اصيلة ومتناسقة لدى الشعب الرومـاني ـ على خلاف الديانات الشرقية ـ وانما كانت عبـارة عـن نسـيج مختلـف التركيب .. مختلف الخيوط .. مختلف الالوان حيث تأثرت في جميـع مراحلها التاريخية بالمعتقدات الوافدة من خارج روما كنتيجـة مباشـرة للاتصالات الكثيرة بينها وبين العالم الخارجي .

ويمكن الالمام بالديانة الرومانية من خلال تتبع تطوراتها في مراحل او ادوار اربعة كالديانة اليونانية :

الأول : كانت الديانة الرومانية في هذا الدور بدائية ومتخلفة ترتكز على الخرافة وعالم العفاريت اعتقد الرومان خلاله ان لكل شيء ربا «لكل مظهر من مظاهر الحياة رب ، ولكل قوة في الانسان رب ، فعندما يولد الطفل يأتيه رب يعلمه النطق وربة تعلمه الشرب ، واخرى تقوي عظامه وربان يرافقانه الى المدرسة وآخران يرجعان به ويعتقدون ان هناك اربابا للمدينة وللكتابة وللجبل ولكل نهر ، ولكل نبع ولكل شجرة . ولقد قال الكاتب اللاتينـي بترون في احدى قصصه على لسان امرأة (ان بلادنا غاصة بالارباب ، بحيث يسهل عليك ان تلقى فيها ربا من ان تصادف رجلا)[٥١] الا انه لم يكن لهذه الارباب معابد خاصة ولا تماثيل مقدسة وكانت عبادة الرومان لهاقاصرة على طقوس بيتية يتولى القيام بها رب العائلة وتنحصر هذه العبادة في تقديم المأكولات والمشروبات واللحوم للالهة رغبة في ارضائها واملافي عطفها . ولم يصفوها بما يتصف به البشر من حب وبغض وزواج وانجاب كما فعل اليونان . وكل ما كانوا يعتقدونه تجاه الرب انه يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ويعمل للناس الخير والشر على ما يشاء ويريد .

---

(٥١) ابو زهرة / مقارنات الاديان ص ١١٤ وانظر : سامي الاحمد / الالـه زووس ص ١٧٧ ، حيث ذكر اسماء ووظائف كثير من هذه الاربـــاب والهاشمي / الاديان في كفة الميزان ص ٣٢ .

الثاني : في هذا الدور ـ ونتيجة لاتصال الرومان بالعالم الخارجي واحتلالهم لكثير من الاقطار ـ عرف الرومان المعابد الخاصة والتماثيل المقدسة ودخلت معتقدات ارباب اليونان وكثير من الارباب المحلية للجماعات والشعوب المحتلة الى روما ، وتأثر الرومان بها وعبدوها كذلك (فمن المستعمرة اليونانية في كوماي دخلت عبادة الاله (ابولو) الى روما ومع هذا الاله اتت الايحاءات السلبية التي اكدت على امكانية اتصال البشر بالارباب عن طريق الكهنة الملهمين مما ادى الى زيادة العنصر الخرافي في الدين الروماني)(٥٢) .

ومع الارباب التي اوفدت الى روما وفدت انماط جديدة من العبادات والطقوس والشعائر الدينية . وكان للأدب اليوناني الذي انتشر في روما خلال هذه الفترة اثر كبير في اكتساب الارباب الرومانية مظاهرها واشكالها وشخصياتها(٥٣) .

وعلى العموم فقد اصبح الدين في روما في القرن الأول قبل الميلاد مبنيا على ثلاث قواعد كما اعلن ذلك رئيس جمع من رجال الدين آنذاك(٥٤) .

١ ـ الاساطير المشتملة على قصص شعرية جذابة خيالية .
٢ ـ الفلسفة
٣ ـ مراسيم الدولة الدينية

الثالث : في هذا الدور وكنتيجة للاتصالات العسكرية والسياسية دخلت الديانات الشرقية الى ساحة روما وتأثر بها اهلها تأثرا كبيرا حيث شاعت عبادة الالهة الشرقية كالاله (بعل) و (سول) السومريين كما انتظمت اكثر عبادة الالهة (ايزيس) المصرية والالهة (فينوس) أو (عشتار) البابلية . ولقد ساعد دخول الفكر الديني الشرقي على تحويل الوثنية الرومانية الى نظام يؤكد على قواعد سلوكية عالية وعلى حياة اخرى بعد الموت حتى (اعتقد الرومان بقدسية الموتى واطلقوا عليهم اسم الالهة

---

(٥٢) د. سامي سعيد الاحمد / الاله زووس ص ١٧٨ .
(٥٣) انظر : المصدر السابق ص ١٧٩ .
(٥٤) نفسه ص ١٧٩ .

(مانيس) يقول شيشرون (اعطوا الالهة مانيس ما هو لهم انهم انـاس هجروا الحياة الدنيا ، اعتبروهم كائنات الهية)[٥٥] .

الرابع : في هذا الدور ونتيجة لتضخم الآلهة وتنوع المقدسات كالموتى ونار البيت والابطال . وانتشار الديانات مع عدم تناسقها وانسجامها وتعدد الطقوس والشعائر الدينية واختلافها وتنافرها وكثرة الاعياد الدينية كثرة فاحشة بحيث بلغت حوالي مائة يوم في السنة[٥٦] .

نتيجة لذلك كله اضطربت الديانة الرومانية وضعف تمسك الرومـان بها وانصرفوا الا قليلا عنها لقد اخذ كثير من الناس يهاجم الآلهة ويسـخر من الطقوس والشعائر الدينية فانتشرت اللادينية .. واخيرا انتهت هـذه الفوضى بسماح الامبراطور (قسطنطين) بعد ان فتح روما ــ للمبشريـن المسيحيين بالعمل العلني واتباعه ذلك باعلان المسيحية دينا رسميا للبلاد . وهكذا تنصرت روما وصارت مركز الديانة المسيحية وقاعدتها حتى يومنا هذا[٥٧] .

وفي نهاية هذا البحث الموجز في الديانة الرومانية يمكننا ان نسـجل الملاحظات :

١ ــ ان الديانة الرومانية كالديانة اليونانية ارتكزت اولا على عبادة قوى الطبيعة ولعبت الخرافة دورا مهما في تأليه هذه القوى حتى صار تعدد الالهة والارباب اهم مقوماتها ولكنهم في الوقت نفسه عرفوا مبدأ التفريد (الاله الاعظم) .

٢ ــ كانت الديانة الرومانية ديانة بسـيطة حيث كانت اولا بلا معابـد ولا تماثيل والعبادة فيها قاصرة على طقوس بيتية اهمها تقديم المأكولات للالهة طلبا لحمياتها للاسرة .

٣ ــ تعقدت الديانة الرومانية بفعل المؤثرات الخارجية التي ادت الى زيادة الالهة زيادة فاحشة وكثرة العبادات والطقوس والشعائر وتنافرها بحـيث اصبحت روما معرضا لكل اديان العالم ومن ضمنها عقيدة التوحيد ولكنها

---

(٥٥) نفسه ص ١٨٣ .

(٥٦) انظر المصدر السابق ص ١٨٢ ــ ١٨٦ .

(٥٧) انظر : فاروق الدملوجي / تاريخ الالهة / الكتاب الثاني جـ ٢ .

لم تتمكن من النفس الرومانية وظلت ممزوجة بالوثنية مما ادى الى نفـرة الفرد الروماني من هذه الديانة وسرعة تقبله للمسيحية .

٤ ـ ان الرومان كاليونان لم يضيفوا شيئا الى تراث البشرية الديني وانما اخذوا كل شيء عن الديانات الشرقية ـ اليونانية عن طريق اليونان واتصالهم المباشر بالعالم الخارجي وبالشرق بالذات بعدما احتلوا كثيرا من اقطاره .

الفصل الثالث

الديانات القديمة الباقية (الحيّة)

وفيه مباحث :

١ ــ الديانات الهندية :

أ ــ الهندوسية

ب ــ الجينية

جـ ــ البوذية .

٢ ــ الديانات الصينية : .

أ ــ الكونفوشيوسية

ب ــ الداويــة

٣ ــ الديانة اليابانية .

٤ ــ الديانة الفارسية

٥ ــ الديانة الصابئية

البحث الأول

الديانات الهنديـة

١ ـ الديانة الهندوسـية   Hinduism

يعتقد الهندوس ان براهما روح العالم خلق (مانو) اول البشر فأخرج منه زوجة له فصارا اول زوج وزوجة على وجه الأرض وجاء منهما نسل البشرية . وبارادة براهما كذلك جاءت جميع الكائنات . فصار براهما هو الخلق نفسه لأنه أخرجه من نفسه . وجاء من مانو ابي البشر اربع طبقات ، فمن رأسه جاء افضل الناس واعظمهم قدسـية وهـم الكهنة البراهمـة (Brahman) ومن ذراعه جاء من يليهم في الافضلية وهـم الملـوك والمحاربون الكاشتريا (Kastria) ومن فخذيه جاء ارباب المهن ممن يهيئون اسباب المعيشة للطبقتين اللتين سبقتهما بالافضلية وتسـمى هـذه الطبقة الفيشية (Vlaya) . ومن قدمي مانو جاءت الطبقة السفلى مـن الناس وهـم الطبقـة المنبـوذة او العـبيد او الخـدم الذين يسـمون بالشودرا (Sudra)[1][2] .

هذا ما تقوله اساطير الهندوس .. اما ما جاء في الحوادث التأريخية فان الآريين حين سيطروا على شمالي وشرقي الهند في الالف الثانيـة قبـل الميلاد فانهم استعبدوا الاهالي وخلقوا هذه الطبقات وذلك بجعـل اهالي البلاد عبيدا ومنبوذين يقومون بخدمة الاسياد الذين تتكون منهم الطبقات الثلاث التي تنتمي الى الجنس الآرى[3] . واصبحت لكل طائفة من الطوائف التي تألف منها الشعب الهندي القديم واجباتها . فالبراهمة هم الكهنة الذين

---

(١) قصة الديانات / سليمان مظهر ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) انظر : (الهند) شعبها وارضها مانوراك موداك ، ترجمة العميد محمد عبدالفتاح ابراهيم كذلك انظر : مقارنة الاديان / الجزء الرابع للدكتـور احمد شلبى .

يدرسون اسفار (الفيدا) ـ الكتاب المقدس لدى الهندوس ـ ويقومون بكافة التعاليم التي تنص عليها تلك الاسفار . وطبقة الكاشتريا تقوم بحماية الشعب وتلاوة الكتاب المقدس ، وطبقة الفيشية تقوم بزراعة الاراضي وتربية المواشي وعمليات البيع والشراء ودراسة الكتب المقدسة . اما طبقة الشودرا فما عليها الا خدمة الطبقات الثلاث ـ كما اوضحنا ـ وعليهم الامتثال المطلق لأوامر البراهمة .

ولما كانت طبقة البراهمة هي الطبقة الممتازة بين الطبقات الاخرى فقد كانت لها مدارس خاصة تربي ابناءها تربية دينية حتى يصبحوا كهنة . وكان تعليمهم ينصب على اجتيازهم ادوارا اربعة ، هي دور التلمذة . وفي هذا الدور يحتضن الاستاذ طلبته كأبنائه . ثم دور الدعاء حيث يتدرب البرهمي على المناجاة والادعية وخلال هذا الدور يتزوج البرهمي ببرهمية ثم ينتقل الى دور الخلوة والتفكير ليعود بعدها الى حياته الطبيعية (عالم الوجود)[٣] . وهذه الادوار اختيارية حيث يتمكن البرهمي من الانقطاع في اي دور يشاء .

وقد كثرت الآلهة عند الهندوس بشكل ملحوظ فأصبح لكل شيء روح ولكل روح قدسية معينة عندهم .وكانت كل الآلهة قد اخذت وظيفةمعينة تختلف باختلاف شخصياتها . الا ان الآلهة العليا اخذت لنفسها ثلاثة اقانيم فدعي الاول (براهما) ووظيفته الخلق والايجاد . ودعي الثاني (فشنو) حيث يتولى المحافظة على الخلق والوجود . و (سيف) المخرب الجبار[٤] .

فهذه الصفات الثلاث تكون الاله الواحد الاعلى . فهم وان عددوا الآلهة فان ايمانهم يعترف بنوع من الوحدانية .. وانه ليس للآلهة الاخرى كيان منفصل اذ ان حياتها تستمد من روح واحدة هي روح (براهما) او الاله الاعظم وقد اتسع نطاق هذه الفكرة بحث اخذت الديانة الهندوسية تؤمن بوحدة الوجود او الحلول عندما قالوا بأن روح الانسان هي نفس روح (براهما) موجودة في الانسان كما هي موجودة في المخلوقات

---

(٣) انظر : تاريخ الآلهة ـ الكتاب الثاني ـ ج٢ فاروق الدملوجي .

(٤) انظر : مقارنة الاديان ـ جـ ٤ للدكتور احمد شلبي .

الاخرى[٥] . وكذلك تؤمن الهندوسية بتناسخ الارواح فقد تنتقل الروح من الانسان الى الحيوان وبالعكس ولذلك فقد قدسوا الحيوانات .

وللالهة اساطير اشبه ما تكون بخرافات مقدسة دونت في كتابهم المقدس (الفيدا) وهذا الكتاب ينقسم الى اقسام اربعة هي الرجفيدا (Rig - Veda) وهي مجموعة من الشعر الكهنوتي او اناشيد العوائل المقدسة والسامافيدا (Sama - Veda) وتحوي اناشيد موجهة الى الآلهة (اجني) اله النار و (اندرا) اله المطر والقسم الثالث ويسمى الياجورفيدا (Yajur - Veda) وهو مجموعه من التراتيل التي ينشدها الكهنة عند احراق جثث الموتى .. والقسم الاخير وهو الآثارفيدا (Athar Veda) وهي اناشيد تتلى عند الزواج او تلمس البركات او ادعية ضد الشيطان ومكروهات الامور[٦] .

ومن معتقدات الهندوسية ايضا ايمانهم بالكارما (Karma) ومعناها قانون الجزاء او العدالة . وتعني ان جميع اعمال الانسان الاختيارية التي تؤثر على الآخرين شرا كانت ام خيرا يجازى عليها بالثواب او العقاب .. وهذا الجزاء يكون في الحياة .. فان لم يقع هذا في الحياة الاعتيادية فقد يقع في الحياة الاخرى بعد ان تنتقل الروح الى جسد آخر[٧] .

وهدف الانسان الهندوسي ان يصل الى مرحلة الانطلاق او الخلاص (Nirana) والتي تعني انعتاق روحه من الجسد واتحادها بالإله براهما . ويكون ذلك بالعمل الجيد الصالح الذي يساعد المرء على الانتقال بعد الموت الى طبقة اعلى من طبقته حتى يصل الى اعلى الطبقات . ويستمر بعمله الصالح لتنطلق روحه بعد ذلك الى الاتحاد مع براهما[٨] .

---

(٥) الهند ـ شعبها وارضها ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٦) انظر : The World's Religions Hinduism

واحمد شلبي / مقارنة الاديان ـ جـ ٤ (اديان الهند) ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٧) مقارنة الاديان جـ ٤ ص ١٠٢ ـ ١٠٤ .

(٨) قصة الديانات ص ٥٦ .

وللنقاد بعض مآخذ على الهندوسية منها انها ديانة تهتم بالخرافات وتهبط في مستواها نظرا لانها تتأثر بالسحر ولا تهتم بتحسين اقتصاد معتنقيها لان العمل عند بعض طبقاتها كالبراهمة والكاشتريا لا يليق بهم . وبدلا من العمل فان الهندوسي يدرب نفسه على تحمل المشاق في الصوم الطويل او القيام بالاعمال المضنية للجسم او قيامه بالاستعطاء او انه يقوم بغرز مسامير في جسده . وقد يتعرى ما بقي من عمره اولا ينام لفترة اولا يحرك جسده ويقوم الناس باطعامه الغذاء .. والجدير بالذكر أن القصد من ذلك هو ولوج باب الموت بنظافة ونزاهة ليصل الى (النيرفانا) بعيدا عن اي عارض يعترضه .

ومن المآخذ على تلك الديانة انها لا تكتفي بحرق جثمان افرادها الذين يتوفون بل ان زوجات المتوفي لا بد من حرق انفسهن معه . وقد قضي على هذه العادة منذ اجل قريب وتعتبر الهندوسية من الديانات القليلة التي لم تستطع الافكار الدينية المتوافدة على الهند من تغيير جوهرها ومعتقداتها[٩] .

ويمكننا ان نلخص المبادىء التي ترتكز عليها الديانة الهندوسية بما يلي :

١ ـ انها بنت كيانها على الايمان بالكارما او قانون الجزاء .

٢ ـ وترتكز على عقيدة تناسخ الارواح .

٣ ـ وتنظر الى الحياة نظرة متشائمة بالدعوة الى تخليص الروح منها .

٤ ـ وتدعو الى الزهد .

٥ ـ وتركز كثيرا على الفضائل .

٦ ـ وترتكز على الايمان بكتب (الفيدا)

٧ ـ وتؤمن بآلهة كثيرة[١٠] .

---

(٩) مقارنة الاديان / جـ ٤ ص ١٠٢ ـ ١٠٤ .

(١٠) The World's Religions P. 115.

ومن المهم ان نعرف ان للهندوسية حركة عالمية تبشيرية في الوقت الحاضر تسمى ((Hare Krishna Movement)) او ضمير كرشنا • تقودها جماعات تبشيرية في معظم اقطار العالم وخاصة امريكا واوربا ولها انصار عديدون في تلك الاقطار يوجههم الكاهن المقدس ـ كما يدعونه ـ براهوباتا Prabhupada) ومن تعاليم هذه الحركة ان الفيدا او البغوات جيتا ((Bhagavad - gita)) هي الكتاب المقدس الأول في الكون الذي يحمل معاني الحقيقة الالهية كما حملها من بعد التوارة والانجيل والقرآن • وان الانسان جزء من الآله الازلي الابدي ولأجله فان كل الناس اخوان وعليهم التضحية في سبيل الأب الاعظم كرشنا)(١١) •

ومن الملاحظ ان هذه الحركة تحظى بتأييد المراهقين في اوربا وامريكا اكثر من غيرهم وقد يكون ضعف الدافع المسيحي في الوقت الحاضر سببا في انتشار هذه العقيدة في تلك القارات •

وفي خاتمة بحثنا للديانة الهندوسية نقول : ان الهند من الامم ذات التاريخ المجيد لها مدنية قديمة وحضارة عريقة ، ولكن طمست حضارتها تلك حضارة اخرى اتى بها غزاة فاتحون آريون ، وكان هؤلاء الفاتحون يحملون معهم ديانة اخرى غير ديانة الهند القديمة وهي الديانة (الهندوسية والبرهمية) والديانة الهندية القديمة كانت ذات اصول توتمية حيث ارتكزت على تقديس ارواح كثيرة تسكن الصخور والحيوان والاشجار ومجاري الماء والجبال والنجوم كما كانت ذات اصول طبيعية حيث ارتكزت ايضا على تقديس القوى الطبيعية المختلفة من سماء وشمس وارض ونار ونور وريح وماء •

فجعلوا السماء ابا وسموه (فارونا) والارض اما وسموها (برتيفي) والمطر هو الاله (بارجانيا) والنار هي (اجنى) والريح (فايو) والعاصفة (اندرا) والفجر (اوشاش) ومجرى المرات في الحقل (سينا) والشمس (سوربا او مترا او فشنو) •

---

(١١) Back to Godhead (The Magazine of the Hare Krishna Movement) No. 40 (P. 5).

وجاءت الديانة الجديدة (البرهمية) ديانة الفاتحين ولكنها لم تمح الديانة القديمة محوا تاما بل ان الناس قد مازجوا بين قديمهم وما عرض لهم . والديانة البرهمية ديانة وثنية ايضا ترتكز على عبادة قوى الطبيعة المؤثرة في الكون .. ومع الزمن تمثل الناس هذه الآلهة في صورة اشخاص راحوا يعبدونهم واصبحت الشمس التي تهب الحياة الها جديدا اسمه (سافيتار) وضوؤها اله آخر اسمه (فيفاسفات) ثم اصبحت الشمس التي تولد الحي من الحي الها عظيما جديدا اسمه (براجاباتي) والى جانب هذه الآلهة توجد آلاف غيرها منها القردة والتماسيح والنمور والطواويس والببغاوات بل وحتى الفئران والافاعي .. وكان اكبر مراكز عبادة الافاعي في شرقي ميسور فهناك في معابد هذا الاقليم تسكن جموع زاخرة من الافاعي حيث يقوم الكهنة على اطعامها والاهتمام بها لأن الهندوسي لا يرى فارقا بين الحيوان والانسان .. لأن لكل منهما روحا .. والأرواح تنتقل دائما بين الحيوان والانسان .. ولهذا فهي صنوف الهية نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها .

والبقرة اكثر الحيوان قدسية عند الهندوسي .. فلها تماثيل في كل معبد ومنزل وميدان .. وهي تتمتع بحرية مطلقة في ارتياد الطرقات كيف شاءت .. ولا يجوز للهندوسي تحت اي ظرف من الظروف ان يأكل لحمها او يستعمل جلدها في اي صناعة من الصناعات واذا ماتت وجب دفنها بجلال مع أعظم طقوس الدين .

وبالجملة فقد كثرت الآلهة الهندية كثرة فاحشة وتعددت تعددا غريبا .. حتى وصلت الى ثلاثة وثلاثين الها . ثم اخذ العدد ينحسر حتى انحصرت الآلهة في ثلاثة أقانيم وهي :

١ ــ براهما : الاله الخالق .. الذي صدرت عنه جميع الاشياء والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الاحياء وينسبون اليه الشمس التي يكون بها الدفء وتجري الحياة في الحيوان والنباتات .

٢ ــ سيفا او سيوا : الاله المخرب المفني الذي تصفر به الاوراق الخضراء .. وتفنى مياه الانهار وينسبون اليه النار لانها عنصر مدمر مخرب .

٣ ـ فشنو : الاله الذي يتولى المحافظة على الخلق والوجود .. فكل معاني الخير والسمو من فيض فشنو وكل الحكماء والصالحين يقومون بالعدل والصلاح والفضيلة وينصرون الاخيار على الاشرار بفيض من فشنو .. واعظم ما يتجسد فيه فشنو هو شخصية (كرشنا) . وبعد ان ارجع الهندوس كل شيء الى هذه الآلهة الثلاثة .. عادوا الى توحيدها في شخص (براهما) وارجعوا اليه كل شيء .. وهكذا عرف الهندوس مبدأ التفريد (الاله الاعظم) لا عقيدة التوحيد لانهم لم يفردوا (براهما) في العبادة والخلق والاعتقاد وانما كان اعتقادهم شبيها باعتقاد عرب الجاهلية حيث كانوا يعتقدون بآله خالق لكل شيء ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يعبدون الاوثان لتقربهم من الله زلفى[١٢] .

٢ ـ الديانة الجينية او الجانتية Jainism

لقد تعرضت الديانة الهندوسية شأنها شأن الديانات الاخرى الى انقسامات وهزات فخلقت فيها ديانات فرعية او طوائف . وكانت الديانة الجينية والبوذية من تلك الديانات الفرعية .

وفي ظل النظام الطبقي الهندي القديم والذي كان يؤكد على قدسية طبقة البراهما فقد استبد هؤلاء وتعسفوا بطغيانهم .. وتمنى الناس ظهور زعماء روحانيين ينقذونهم من ويلات البراهمة .

وكانت طبقة الكاشتريا (Kastria) من اكثر الطبقات الاخرى تحمسا لظلم البراهمة وطغيانهم باعتبارها الطبقة الثانية التي تأتي بعدها في المرتبة وفيها الملوك والمحاربون الذين يفقدون كلمتهم وسطوتهم امام البراهمة .

وقد ولد (مهاويرا) سنة ٥٩٩ ق . م من طبقة الكاشتريا وهو ابن امير البلاد وبعد ان عاش في نعيم ويسر اتجه لدراسة الديانة والرهبنة على يد البراهمة وقد تعرف على افكارهم واسرارهم فانطلق بعد وفاة والده

(١٢) مظهر / قصة الديانات ص ٦٥ ـ ٧٢ وابو زهرة / مقارنات الاديان ص ٢٧ .

ليتعلم قسوة الحياة وتحسس آلامها[١٣] . فعاش على الكفاف بعيدا عن الغنى . صائما عن الكلام طيلة اثنى عشر عاما[١٤] . حتى تمرس خلال تلك الاعوام على كل الويلات والمصائب وتعرف على جميع الاسرار الكونية وكشفت له حجب الحقيقة فعاد بعد اثنى عشر عاما ليبشر بعقيدته الجديدة التي تبدو لأول وهلة انها تماثل الهندوسية . الا انها اختلفت عنها اختلافا بينا . ولما صارت هذه الدعوى تمثل ثورة على البرهمية فقد تبعه الملوك والقادة والاهالي . وتوفي مهاويرا بعد ان ترك تراثا ضخما من التعاليم والوصايا صارت الاساس الاكبر لمعتقدات الطائفه الجينية في الهند .

والجينية التي دعا لها مهاويرا عبارة عن حركة عقلية حرة من سلطة تعاليم للفيدا عمادها الرياضة الجسمانية الشاقة وهروبها من الملذات بالعيش في تقشف شديد . ويتبع افرادها سياسة رهبانية تختلف عن رهبنة البراهمة حيث يهتم الجيني بافناء العواطف الشخصية[١٥] .

والتعالم الاولى للجينية تعكس ثورة على معظم معتقدات الهندوسية بما فيها الآلهة فهي اقرب الى الديانة الالحادية حيث لا تعترف بآلهة كبيرة للكون خالقة له .

وتنصب اعتقاداتها على وجود ارواح لكل الكائنات . وهنا تعود الجينية للاتفاق مع الهندوسية في الاعتقاد بأن هذه الارواح خالدة يجري عليها التناسخ .

وبنيت فكرة الجينية على المسالمة وعدم الاعتداء والعنف حتى على أصغر المخلوقات والحشرات الصغيرة . ومن مواعظه الاخيرة : (لا تقتل الحيوان لتتخذ منه طعاما ولا تصد برا او بحرا ولا تقتل ادنى المخلوقات في اي وقت ولا تقتل البعوضة التي تعضك او النملة التي تلسعك .. ولا تذهب الى الحرب ولا تقاتل من يهاجمك ولا تدُسْ دودة على الطريق .. فحتى الدودة لها روح) .

ولم ينف مهاويرا آلهة الهندوس رغم عدم ايمانه بها فولد موقفه هذا بعض الغموض عند اتباعه اضطروا الى اعتباره الها لهم . وقد راحوا الى

---

(١٣) انظر : مقارنة الاديان جـ ٤ للدكتور احمد شلبى .

(١٤) قصة الديانات / سليمان مظهر ص ١٢٦ .

(١٥) مقارنة الاديان ــ جـ ٤ .

الاعتقاد بان في الكون اربعة وعشرين (جينيا) او الها • كان آخرهم صاحب التعاليم الواسعة مهاويرا • ولكنهم رغم ذلك لم يتمكنوا من ايجاد صيغة معينة للتعبدات والصلاة او تقديم القرابين • فكان اتباع تعاليم مهاويرا في التدرب على الصبر والمسالمة وتجويع النفس وترويضها على الآلام هي صورة للتعبدات التي مارسها الاتباع الى اليوم •

وتؤمن الجينية كأمها الهندوسية بالكارما ، (Karma) أي قانون الجزاء • وتعتقد بان التخلص من هذا القانون يتم بالتقشف وبالحرمان من الملذات لأن الروح متحدة بالكارما أسيرة في يدها ولا سبيل لتخليصها منها الا بالتطهر من الرغبات وحين ينتهي الانسان على مر الايام وبالتناسخ من الرغبات البشرية تتخلص روحه من الكارما وتبقى في نعيم خالد وهذا ما يسميه الجينيون النجاة (Salvation) الـذي يعادل (النيرڤانا) في الهندوسية والبوذية[١٦] •

وهنالك طريق للوصول الى النجاة بان يتبع الجيني ثلاثة سبل في حياته يسمونها يواقيت • فالياقوتة الاولى هي الاعتقاد الصحيح فعمل الذنوب والرغبات يضعف الاعتقاد الصحيح بالديانة اما الثانية فهي العلم الصحيح بما في الكون فلا يكون هنالك علم صحيح بامور الحياة ما لم يكن للمرء اعتقاد صحيح في دينه • والياقوتة الثالثة هي الخلق الصحيح في التخلي عن السيئات والابتعاد عن الاعتداء على المخلوقات والصدق والعفو والاستقامة والتواضع والنظافة والايثار واعتزال النساء[١٧] •• الخ •

---

(١٦) راجع : The World's Religions P. 107 - 109
وكذلك مقارنة الاديان ــ الجزء الرابع ــ الديانة الهندوسية ص ١١٣ ــ ١١٧ •

(١٧) مقارنة الاديان / الجزء الرابع ص ١٢٢ ــ ١٢٣ ومن اقوال مهاويرا : (الطريق الى النيرفانا هو طريق جواهر النفس الثلاث وهي الاعتقاد الصحيح والمعرفة الحقيقية والسلوك السليم . والسلوك السليم تأتي اولا .. باتباع الوصايا الخمس للنفس) وهي :

(١) لاتقتل اي كائن حي او تؤذه بالكلام والتفكير والعمل (٢) لا تسرق
(٣) لا تكذب (٤) لا تحيا حياة الفجور أو تخدر نفسك (٥) لا ترغب في شيء على الاطلاق . انظر : مظهر / قصة الديانات ص ١٤٠ .

وتتلخص الديانة الجينية بالتالي :

١ ـ عدم الايمان بالطوائف •• ولا بالأصنام وعبادتها •• ولا بالصلاة وتقديم القرابين ••• ولا باله اسمى او اعلى •• ومن هنا سمي واتباعه (ملاحدة) ومن قوله : (لا بالصلاة ولا بالقرابين ولا بعبادة الاصنام يمكن ان تجدوا الغفران والطريق الى الحياة الصالحة ولكن بالعمل الطيب يمكن ان تبلغوا النيرفانا •• في داخل نفوسكم الخلاص) •

٢ ـ يؤمن الجيني بالجنة والنار والجنان عنده ست وعشرون •• فالروح الصالحة النقية ترتفع وترتفع حتى تصل الى الجنة السادسة والعشرين •• وعندئذ تدخل النيرفانا والنيران ـ عندهم ـ سبع وتقع تحت سطح الارض •• فالروح الشريرة تهبط وتهبط حتى تجد نفسها ملقاة في اسفل درك في الجحيم •

٣ ـ وبمضي الزمن لم يثبت الجينيون على تعاليم سيدهم (مهاويرا) وانما بنوا المعابد وعبدوا الاصنام وعلى رأسها تماثيل مهاويرا ، الا انهم تمسكوا بالتعاليم الاخرى •• فلم يشتغلوا ـ مثلا ـ بالزراعة خوفا من الحاق الضرر بالكائنات الحية ورفضوا الانخراط في الجيش •• ولكنهم شقوا طريقهم في الهند • بمزاولة الاعمال التجارية والمصرفية• لأنه يقل فيها الاعتداء على الاحياء الى اقصى حد •• وكان ذلك سببا في ثرائهم الكبير واحتلالهم منزلة رفيعة في الهند • ويبلغ عدد الجينيين الآن حوالي مليون ونصف نسمة من مجموع سكان الهند •• وهم يعيشون ـ على الاغلب ـ في أعالي الهند على طول نهر الجنجز وفي كلكتا •

٢ ـ الديانة البوذية ((Buddism))

كان سبب أنتشار البوذية في الهند اولا يعود الى نفس اسباب انتشار الجينية اذ ان تحكم وتسلط البراهمة ادى الى تفور الطبقات الاخرى

وخاصة الطبقة الحاكمة الكاشتريا منها فحاولت الافلات من سيطرتها • ولعل السبب الثاني يكمن في صلب العقيدة الهندوسية • اذ ان وجود آلهة كثيرة تسيطر على الكون وتفرض نوعا من الوصاية على البشرية بأن تجزأها الى طبقات تتحكم واحدة بالاخرى وتفرض ايضا انواعا من التعبدات والالتزامات الدينية قد اعيت الناس •

لقد ولد سدهارتا (٥٦٠ - ٤٧٠ ق • م) (Siddharta) مؤسس البوذية أميرا في مملكة كوسالا شرق الهند ونشأ في بحبوحة من العيش ولكنه كان طيلة حياته يتطلع الى الفلسفة والعلم • فكان اكثر ما يحيره في امر الكون الغوامض التي يصعب تفسيرها كالمرض والشيخوخة والموت • فدأب على دراسة فلسفة الهندوس البرهمية وتخرج على ايدي فلاسفتهم • الا انه لم يجد الاجوبة الشافية لتساؤلاته(١٨) •

وكانت غوامض الكون دافعا اساسيا له للترهب واعتزال الدنيا ولذلك دعاه اصحابه غوتاما (Gautama) اي الراهب •

وذهب غوتاما الى الغابات والكهوف معتزلا حياة الآخرين ليعيش على الكفاف والتزهد شأنه شأن الرهبان الهندوس في ذلك الحين وقضى في ذلك سنين طويلة وبعد ان انهكه الجوع وهدده الموت ايقن بانه لن يحصل على الحقيقة ولن يجد في هذه الدنيا التي يعيشها سوى الجوع والنسك • فعدل آنذاك عن قراره باماتة نفسه وقرر الانصراف الى حاله وفي طريقه جلس تحت شجرة (البو BO) المقدسة واطال جلسته وتقول الكتب البوذية المقدسة ان الحقيقة قد تجلت لغوتاما في تلك الجلسة فخرج بفلسفته التي تقول (من الخير يجب ان يأتي الخير ومن الشر يجب ان يأتي الشر)(١٩) • فقام من تحت تلك الشجرة التي اصبحت شجرة البوذيين المقدسة فيما بعد لينشر دعوته بين الامم • وكانت دعوته تنصب على تطهير النفس والعمل على ازالة الآلام • فالمولد الم والهرم الم

---

(١٨) قصة الديانات / سليمان مظهر ص ٨٩ - ٩٨ •

(١٩) المصدر السابق ص ١٠٠ ومحمد الهاشمي / الاديان في كفة الميزان ص ١٦ •

والمرض الم والموت الم والاجتماع بغير المألوف الم والافتراق عن المألوف الم وعدم الظفر بما يهوى الم • فالانسان يجب ان يعمل على أعدام الالم• ولن يعدم ذلك الالم الا بالاعتقاد الصحيح والعزم الصحيح والقول الصحيح والعمل الصحيح والعيش الصحيح والجهد الصحيح والفكر الصحيح والتأمل الصحيح[٢٠] هذه هي الامور التي لوتمت على وجه صحيح سار الشخص علي الجادة وسلك الممر الوسط الذي يوصل الي حياة سعيدة خالية من الآلام •

اما الرذائل فمنشؤها ـ عندهم ـ هو اللذات والانهماك فيها وما تدعو اليه ••• وترجع الرذائل الي اصول ثلاثة :

١ ـ الاستسلام للملاذ فانه يجعل الحياة كلها في الم مستمر •

٢ ـ سوء النية في طلب الاشياء وذلك من تمكن اللذات في النفس •• وهو ايضا اصل لكثير من الرذائل كالغش والكذب والنميمة •

٣ ـ عدم ادراك الامور علي الوجه الصحيح وغالبا ما يكون منشؤه سيطرة الشهوات على النفس فتمنع عنها الاشراق الذي ينشأ من التجرد من الملاذ • والالهام الذي يكون من هجر الشهوات وهنالك حقائق في الحياة لا بد من ادراكها في العقيدة البوذية وهي ان الالم موجود وان لهذا الالم سببا كالشهوات والرغبات وغيرها وان ذلك السبب قابل للزوال ولازالته لابد من اتباع احدى الوسائل التي تعدم الالم كما مررنا علي ذكرها[٢١] / وتعتقد البوذية بتناسخ الارواح •• وان الانسان يستمر في الموت والمولد طالما كان بعيدا عن التعاليم والاعتقادات التي تبعده عن النجاة والنيرفانا • ولم تعد النيرفانا في معتقدات بوذا كما هي في الهندوسية اذ ان بوذا قد انكر وجود آلهة فالخلاص لن يتم بالاندماج في الله ولكن بوصول الفرد الى اعلى

---

(٢٠) مقارنة الاديان جـ ٤ ص ١٦٣ .
وكذلـك : The World's Religions (P. 121)

(٢١) انظر : الحكماء الثلاثة أحمد الشنتاوي ص ٨٣ ـ ٨٤ .
وكذلـك : The World's Religions P. 121

مراتب الصفاء الروحي بتطهير نفسه والقضاء على جميع الرغائب وفناء الاغراض الشخصية وانقاذ نفسه من ربقة الكارما ومن تكرار المولد وذلك بالتوقف عن فعل الشر ٠ وهناك بعض القيود التي تمنع امرء من الوصول الى النيرفانا وهي :

١ ـ الوهم الخادع في خلود النفس ٠

٢ ـ الشك في بوذا وتعاليمه ٠

٣ ـ الاعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية ٠

٤ ـ الشهوة ٠

٥ ـ الكراهية

٦ ـ الغرور

٧ ـ الرغبة في البقاء المادي

٨ ـ الكبرياء

٩ ـ الجهل (٢٢)

ولقد كانت الدعوة البوذية منصبة علي الغاء الطبقات عند الدخول في دياناتها والتنازل عن المال ورفض الرهبنة واحترام الحياة والمحبة الشاملة ٠

وقد ترك بوذا وصايا عشرا تجسم فلسفته في الحياة وهي ٠

١ ـ لا تزن ولا تأت اي امر يتصل بالحياة التناسلية اذا كان محرما ٠

٢ ـ لا تشرب خمرا ولا تتناول مسكرا ما ٠

٣ ـ لا تكذب ولا تقل قولا غير صحيح ٠

٤ ـ لا تقتل احدا ولا تقض على حياة حي ٠

٥ ـ لا تأخذ الا ما يعطى اليك فلا تسرق ولا تغتصب ٠

---

(٢٢) مقارنة الاديان ص ١٦٤ والهاشمي / الاديان في كفة الميزان ص ١٨ ٠

٦ ــ لا تأكل في الليل طعاما غير ناضج .

٧ ــ لا تقتن اثاثا فاخرا .

٨ ــ لا ترقص ولا تحضر مرقصا ولا حفل غناء .

٩ ــ لا تستعمل العطور .

١٠ ــ لا تقتن ذهبا ولا فضة(٢٣) .

وللبوذيين كتب مقدسة يعتمدون عليها في تعاليمهم الدينية الا انهم لا يدعون انها منزلة من الله بل يقولون بانها مجموعة تعاليم بوذا التي جمعت في عصور مختلفة وهي عبارة عن ثلاث مجموعات من الكتب وتسمى السلال الثلاث (Pitakas) وتعرف المجموعة الاولى باسم (سلة النظام او الطريقة) وتشمل القواعد والنظم التي يسير عليها الرهبان في حياتهم والثانية باسم (سلة العظات) وتضم تعاليم بوذا الاصلية مسلسلة وفق نظام خاص . اما الثالثة فتعرف باسم (سلة العقائد) وهي المسائل الفلسفية التي يتداولها البوذيون بوجه عام(٢٤) . ومن الحرى بالذكر ان الهندوس اعتبروا بوذا احد آلهتهم فانحسرت البوذية ــ التي رفضت الديانة الهندوسية ــ تحت ضغطهم عن الهند ولم يبق فيها الا عدد ضئيل جدا من اتباعها وتوزعوا في البلدان المجاورة(٢٥) .

وكبقية الاديان فقد انقسمت الديانة البوذية الى طائفتين :

اولاهما : الهينايانا (Hinayana) وهذه الطائفة تمسكت بمذهب بوذا باعتباره المعلم العظيم وليس الاله . وتعتقد هذه الطائفة بان الوصول الى النيرفانا يتم في هذه الحياة . ويقطن اصحاب هذه العقيدة في جنوب الهند وفي سيلان .

---

(٢٣) تاريخ الالهة الكتاب الثاني ، جـ ٢ فاروق الدملوجي ص ٤٥ وابو زهرة / مقارنات الاديان ص ٧٦ وشلبي / مقارنة الاديان جـ ٤ ص ١٦٦ .

(٢٤) قصة الديانات / سليمان مظهر ص ١٢٢ .

(٢٥) الحكماء الثلاثة / احمد الشنتاوي ص ٩٠ ــ ٩١ .

وثانيهما : الماهايانا (Mahayana) وهي تعتقد بالوهية بوذا • ولا يصل المرء الى النيرفانا الا بعد المرور بتجارب كثيرة يتكرر فيها مولده وينتقل عبر حيوات كثيرة • وتسود هذه الطائفة في التبت ومنغوليا والصين واليابان[٢٦]

وفي نهاية بحثنا الموجز للبوذية نقول :

١ ـ ان البوذية لم تكن في الواقع ديانة خالصة وانما هي فلسفة اجتماعية غايتها تخفيف الآلام عن الناس واسعادهم •• والغاء الطبقات وتحقيق المساواة بين البشر جميعا لا فرق بين شخص وآخر بنسبه او وظيفته وانما بالموهبة والقدرة والعمل ولا فضل لاحد الا بالمعرفة وسيطرة الارادة الانسانية بحيث لا تقوى اللذائذ عليها • ولذلك فان البوذية لم تعن بالبحث فيما وراء الطبيعة •• فلم تتجه الى الدراسات التي تتصل بالجانب الالهي وليس في تعاليم بوذا شيء عن الله او عن تقديم القرابين •

٢ ـ ان البوذية كالبرهمية والجينية تؤمن بتناسخ الارواح • ومعنى ذلك ان الروح بعد ان يموت الشخص تحل في كائن آخر اعلى ان كان صالحا بارا وادنى ان كان شريرا شقيا وربما وصل به التناسخ الى الخروج عن درجة الانسان الى درجة الحيوان حيث تتقمص روح الشرير جسد حيوان •

٣ ـ لعل فلسفة بوذا تتلخص في كلمتين « السلام والحب » السلام لجميع الكائنات وحب الخير وعمل الخير للجميع ، على الانسان ان يتغلب على غضبه بالشفقة وان يزيل الشر بالخير •• ان الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا ان تزول بكراهية مثلها •• انما تزول الكراهية بالحب ، لا تقتل كائنا حيا •• لا تسرق او تأخذ ما لم يعط لك • لا تقل كذبا مطلقا •• لا تقسم على دنس •• لا تسكر او تخدر نفسك في اي وقت •• وهكذا استمر بوذا في نشر تعاليمه الانسانية بين الناس حتى وافاه اجله المحتوم في عام ٤٧٠ ق • م •

---

(٢٦) The World's Religions (P. 127 - 129)

٤ ـ كثر اتباع بوذا .. وبمضى الزمن اخذوا ينسون ان تعاليمه كانت خلقية خالصة ولم تكن ديانة مستقلة .. وان كل ما يعنيه هو سلوك الناس .. اما الطقوس والشعائر الدينية وما وراء الطبيعة فلم يكن يهتم بها . نسي الاتباع ذلك وراحوا يؤلهون بوذا نفسه واخذت كتبهم المقدسة تتحدث عن الاله بوذا ، وتصف كيف تقدم له القرابين .. وبعد ان كان بوذا ينهى عن عبادة الاصنام اقام له اتباعه التماثيل في كل معبد وجعلوا منه الها يعبد .. وهكذا صارت البوذية دينا واصبح لها كهنة .. اخذوا يفسرون تعاليمه بطرقهم الخاصة مما ادى الى وقوع الخلاف بين الاتباع وانقسامهم الى طائفتين : طائفة تقدسه على انه معلم عظيم ويوجد هؤلاء في جنوب الهند وجزيرة سيلان . وطائفة اعتقدت الوهيته ، ويوجد هؤلاء في التبت ومنغوليا والصين واليابان الى جانب من بقي منهم في الارجاء الشمالية للهند .. ويبلغ مجموع اتباع بوذا الآن اكثر من اربعمائة مليون نسمة .

٥ ـ هناك تشابه كبير بين مهاويرا وبوذا من حيث نشأتهما وفلسفتهما فقد كان كل منهما اميرا هندوسيا .. اتصف بالشجاعة والاقبال على دراسة الهندوسية وتزوج كل منهما وعاش سعيدا ثم هجر بيته ليصبح كاهنا متسولا ووجد كل منهما عيوبا في الديانة الهندوسية دعته الى تبني فلسفة جديدة . واما التشابه في فلسفتهما فقد تبع كل منهما طريق البرهمية في الاعتقاد بالكارما والتناسخ والنيرفانا ورفضا فكرة قدسية الطوائف والخلاص بالصلاة وتقديم القرابين . ولكنهما اختلفا بعد ذلك في رسم قواعد السلوك الصحيح للانسان فاختار بوذا الطريق الوسط .. طريق الاعتدال واعتقد ان التطرف شر . بينما اختار مهاويرا طريق تعذيب النفس واعتقد ان التجويع وتعذيب النفس يساعدان الانسان على الوصول الى الحياة الصالحة[٢٧] .

---

(٢٧) انظر : مظهر / قصة الديانات ص ١٤٠ ـ ١٤٢ .

٤ ـ مذاهب الاصلاح الديني

ما من شك في ان مهاويرا وبوذا قد نجحا في وضع فلسفتين جديدتين من خلال محاولتهما اصلاح وتطوير الديانة الهندوسية • وان هاتين الفلسفتين قد تطورتا بعدهما الى دياتين دان بهما ملايين من البشر في الهند وخارجها ، مما حمل البراهمة على قبول بعض تعاليمهما وضمها الى الهندوسية •

ولكن الامر لم يقتصر على هاتين الديانتين فقد ظهر في الهند مصلحون كثيرون ومذاهب دينية كثيرة وخصوصا بعدما وصلت الديانات المنزلة الى الهند عن طريق التبشير المسيحي والفتح العربي الاسلامي ، واقبال كثير من الهنود على السماع والدراسة والتفكير في الديانات الوافدة ولا سيما الاسلام « دين الفاتحين » واعجابهم بالدعوة الى الاعتقاد باله واحد •• مما حمل البعض منهم على ادخال التوحيد « الى دياتهم القديمة » « الهندوسية » فادى ذلك الى ظهور مذاهب جديدة نادى بها بعض المصلحين امثال (كبير) و (ناناك) و (ديانندا) •

١ ـ مذهب كبير :

ولد كبير لأبوين هندوسيين فقيرين وتوفي والده وهو طفل رضيع ولم تستطع امه تربيته والانفاق عليه فكفله رجل مسلم اسمه (نيرو) كان يعمل نساجا فاحسن تربينه ولما كبر ارسله الى افضل المعلمين في بنارس واحب (كبير) دراسته ، وما ان بلغ السادسة عشرة من العمر حتى تعلم الكثير من عقائد الاسلام والهندوسية •• وقد تأثر كثيرا بتعاليم شاعر حكيم اسمه (راماناند) كان « يبشر بانه ليس هناك سوى اله واحد ، وان هذه الحقيقة اكبر صديق للبشر ، وان الحياة البسيطة هي الطريق الى النيرفانا »[٢٨] •

واخذ (كبير) ينظم شعرا على غرار (راماناند) في الوقت الذي اخذ (نيرو) يعلمه صنعة النسيج •• وهكذا صار (كبير) نساجا بارعا وعالما كبيرا ولم ينس وهو في زحمة العمل ان ينظم اشعارا يضمنها افكاره وآراءه الجديدة التي كان فحواها :

---

(٢٨) مظهر/قصة الديانات ص ١٥٨ •

الدعوة الى الايمان باله واحد .. وهجر عبادة الاصنام والزهو والكبرياء والطائفية ، وان الناس جميعا اخوة .. لا فرق بين برهمي وتاجر ومنبوذ الا بالعمل الصالح .

التف الناس حول (كبير) واصبح له اتباع ومريدون .. وذاع صيته وانتشرت قصائده التي نظمها حاملة عقيدته التوحيدية ومع ذلك بقي يكسب قوته من عمله نساجا . لأن من مبادئه وجوب العمل حتى على الرهبان والكهنة .

وبعد ان توفي (كبير) جمع اتباعه حكمه واشعاره في كتاب سموه « بيجاك » وسموا انفسهم اتباع طريقة (كبير) ويبلغ عددهم الآن في الهند حوالي مليون نسمه(٢٩) .

٢ ـ مذهب السيخ او السيك : ـ

من المذاهب الجديدة التي نشأت نتيجة انتشار الاسلام في الهند واقبال الكثير من ابنائه على دراسته وتأثر بعض الرهبان من الهندوس بتعاليمه وعقائده مذهب « السيخ او السيك » وكان مؤسس هذا المذهب يدعى (ناناك) (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩ م) قد ولد في اقليم لاهور لأبوين نبيلين هندوسيين حرصا على تربيته وتعليمه ... درس ناناك الهندوسية والاسلام .. وتأثر كثيرا باشعار (راماناند) و (كبير) اللذين كانا يبشران بكثير من عقائد الاسلام وتعاليمه كالتوحيد والمساواة بين الناس جميعا .

اخذ (ناناك) يميل الى العزلة ويكره العمل ويأوى الى الغابات يفكر في عقيدة شعبه ويقرأ اشعار (راماناند) و (كبير) وبعد ان كون فكرة واضحة عن عقيدة جديدة اعلن نفسه اول « جورو » اي معلم ومرشد واخذ يدعو الى مذهبه ويجوب بلاد الهند في سبيل نشر تعاليمه وتقوم دعوته على الوحدانية والمساواة كالاسلام كما تقول بالتناسخ كالهندوس. لقيت دعوته هذه قبولا لدى كثير من الهنود وصار له اتباع ومريدون . وبعد وفاته خلفه في امامة المذهب (انجاد) الذي اصبح الجورو الثاني .. وجمع الجورو الخامس (ارجان) أقوال (ناناك) وعظاته واشعار

---

(٢٩) The World's Religions (P. 109 - 119)

(راماناند) و (كبير) في كتاب واحد سماه « صاحب المواهب » واصبح هو الكتاب المقدس لاتباع (ناناك) .. الذين سموا انفسهم « السيخ » .. اي المريدين او الاتباع وبذل زعماء السيخ جهدا كبيرا في نشر مذهبهم مما ادى الى وقوف اتباع المذاهب والديانات الاخرى ضد اعمال السيخ التبشيرية .

وعندما صار (كروكنبدر سنج) زعيما للسيخ لجأ الى تدريب اتباعه عسكريا في جبال الهيمالايا .. ثم نزل بهم الى مدينة (البنجاب) لتدور بينه وبين حاكمها المسلم حروب طويلة امتدت اثنى عشر عاما . هلك فيها آلاف من السيخ وكانت نهاية هذه الحروب هزيمة السيخ واخماد ثورتهم ولكنهم ظلوا يكنون العداء للمسلمين حتى اليوم ومما هو جدير بالذكر ان طائفة السيخ كانت قد اهدت (موسى ديان) سيفا مرصعا بالجواهر في اعقاب حرب حزيران عام ١٩٦٧ م اعجابا بقدرته على التنكيل بالعرب المسلمين وتقديرا لانتصاره عليهم .

ويبلغ عدد السيخ اليوم اكثر من عشرة ملايين نسمة ويمكن تمييزهم عن الهندوس بخمسة اشياء يعتبرونها من شعائر عقيدتهم وهي :

١ ـ الشعر الطويل اذ انهم يطلقون شعورهم ولا يعتدون على اية شعرة في اجسامهم .
٢ ـ المشط الخشبي الطويل في شعرهم .
٣ ـ السوار المعدني الخفيف حول المعصم على اساس انه يذكرهم بالله .
٤ ـ الخنجر القصير ذو الحدين الذي يحملونه دائما .
٥ ـ السراويل البيضاء القصيرة تحت الملابس بخلاف عامة أهل الهند الذين يكتفون بلبس السراويل الطويلة البيضاء[٣٠] .

٣ ـ مذهب ديانندا ـ او جمعية النبلاء

توالى تمرد المفكرين على التعاليم البرهمية ، وظهور فلسفات تهدف الى اصلاح عقيدتهم القديمة . كان أهمها في الآونة الأخيرة مذهب «ديانندا»

---

(٣٠) مظهر/قصة الديانات ص ١٦٨ .

ذلك الشاب البرهمى الذي درس الهندوسية لمدة ستة اعوام فلم ترقه عقائدها وخصوصا تعدد الآلهة وعبادة الأصنام ..

والطائفية فقرر ان يبحث عن حقيقة الدين .. واخذ يجوب انحاء الهند عله يجد معلما يهديه اليها .. والتقى في تجواله بمعلم يكره الاصنام فارتاح له ديانندا وقرر ان يدرس معه الحقيقة .. فأشار اليه هذا المعلم ان يدرس الانجيل وتعاليم راجاراموهان(٣١) .

أقبل ديانندا على دراسة الانجيل وتعاليم (راجاراموهان) فاقتنع بانه يجب على المرء الا يؤمن بآلهة متعددة بل باله واحد فقط وبانه ليست هناك طوائف بالميلاد بل هناك من يولدون اكثر شقاء من الآخرين وبأن من يندم ويتوب فان الله يغفر له خطاياه ولكنه الى جانب ذلك ظل يؤمن بالنيرفانا والتناسخ الهندوسية .

انطلق ديانندا بعد ذلك يبشر بعقيدته الجديدة فتبعته طائفة كبيرة سماها « اريا ساماج » اي (جمعية النبلاء) .. وبعد وفاته واصل اتباعه اداء رسالة زعيمهم .. فانتشر امر جمعيتهم حتى بلغ عدد اتباعه اليوم حوالي سبعين مليونا(٣٢) .

وفي نهايةبحثنا للديانة الهنديةنلحظ انهيوجدفي الهندفي وقتناالحاضر ديانات ومذاهب وطوائف كبيرة جدا فهناك بعض اليهود وكثير من المسيحيين وملايين من المسلمين بجانب البوذيين والجانتيين والسيخ واتباع (كبير) وأعضاء جمعية النبلاء فضلا عن الديانة القديمة (البرهمية) ويبلغ عدد اتباعها اكثر من ٢٥٠ مليون ولا يزالون يؤمنون بقدسية الطوائف . كما انه يوجد في مناطق الهند الجبلية عبدة الاشجار والانهار والارواح وقليل من أتباع « زرادشت »(٣٣) .

---

(٣١) انظر : مظهر/قصة الديانات ص ١٦٧ .
The World's Religions (P. 122 - 113)
(٣٢) المصدرين السابقين .
(٣٣) المصدرين السابقين .

المبحث الثاني

الديانات الصينية

١ ـ الكونفوشيوسية :

ليست الكونفوشيوسية هي الديانة الوحيدة في الصين بل هناك الكثير من الديانات الاخرى كالداوية (Taoism) والبوذية الى جانب الاسلام والمسيحية ولمعرفة الكونفوشيوسية معرفة جيدة لا بد من القول بانها لم تكن الديانة الاولى في تاريخ الصين .. اذ ان الصينين عرفوا بالتدين والعبادة قبل ظهور كونفوشيوس في القرن السادس قبل الميلاد ولعل الصينيين يعتبرون من اقدم الاقوام التي عرفت عبادة الاله الواحد (شانغ ـ تي)[٣٤] وكانوا يعبدونه ويتقربون اليه بذبح الذبائح وبايقاد النيران فوق قمم الجبال وتحت الاشجار وفي المعابد .

ولكن الصين شأنها شأن جاراتها لا بد من تطور في معتقداتها ولا بد من توسع في افكارها فقد اصابتها الفوضى وعدم الاستقرار في الحكم وفي المعتقدات فكثرت الآلهة وان كان (شانغ ـ تي) قد بقي الاله الاعظم .. ولكن الصينيين بدأوا يؤلهون الظواهر الطبيعية ويعتبرون الملك وكيلا للاله شانغ تي وهو ابن الشمس . واعتبروا اوامره شرائع سماوية مقدسة[٣٥] وقد عمل كونفوشيوس هو وتلاميذه على اعادة السلام والاستقرار في البلاد فكان كل همه هو تنظيم الشؤون الانسانية وشؤون الدولة وشؤون الاسرة[٣٦] .

ولد كونفوشيوس (٥٥١ ــ ٤٧٩ ق . م) في اسرة فقيرة وتوفي ابوه وهو في الثالثة من عمره ثم رعته والدته الى ان اشتد عوده فأخذ يعمل لدى الحكومة وبعد زواجه بفترة توفيت والدته فحزن عليها حزنا شديدا آثر على اثرها البقاء في البيت حزينا بعد ان ترك عمله فتركته زوجته بعد ان يئست من حاله . وكان خلال فترة الحداد يقرأ الكتب الفلسفية ويراجع

---

(٣٤) The World's Religions P. 136

(٣٥) تاريخ الآلهة ـ فاروق الدملوجي ـ الكتاب الثاني ، الجزء الثاني ص٤٩ .

(٣٦) الحكماء الثلاثة / أحمد الشنتناوي ص ١٤٦ ـ ١٤٨ .

تراث الحكماء الصينيين القدماء فقرر ان يعمل على تدريس الفلسفة والحكمة الى الناس فخرج بعد فترة الحداد يجوب البلاد كمعلم جوال[٣٧] . وقد تسلم منصب رئاسة الوزارة في احدى المقاطعات الصينية بعد ان تمكن من نشر افكاره بين الناس واصبح حكيما يشار اليه بالبنان . الا ان امد وزارته لم يدم أكثر من اربع سنوات آثر العودة بعدها الى حياة التعليم والتجوال ليصبح بعد ذلك حكيم الصين العظيم .

والكونفوشيوسية ليست دينا في نظر الكثير من المفكرين لانها مجموعة من الحكم والاقوال العظيمة تفوه بها كونفوشيوس في تصريف امور الدنيا واضطر لجمعها تلاميذه من بعده[٣٨] .

فكان طيلة فترة عمله في الحكومة يؤكد على ان كل موظف في الدولة يجب ان يقوم بواجبه على الوجه الاكمل وان يكون رائده العدالة والاستقامة وبذلك تستقيم الامور وينال اصحاب الحق من الناس حقوقهم[٣٩] .

اما عن التدين فلم يؤثر عن كونفوشيوس انه ذكر في تعاليمه اي نوع من انواع العبادة المعروفة في الاديان المنزلة . ولم يرد له أيضا ما يدل على ضرورة اقامة أماكن مقدسة خاصة بالعبادة يؤمها الناس في اوقات مخصوصة[٤٠] . ولكن ذكر عنه انه سلم بشرائع السماء وقد قال بانه من المحال على المرء ان يكون متفوقا دون التسليم بشرائع السماء[٤١] . فأنه وان كانت افكاره تمثل نزعة فلسفية انسانية Humanism واساس تعاليمه لاتعتمد على اي كائن علوي او اية قوة غير منظورة[٤٢] . الا انه كان يعتقد باله السماء اذ اثر عنه القول بان الكون قد خلقه اله عظيم هو (شانغ ــ تي) وفق انظمة لا يعتورها الخلل والفساد وما السماء والنجوم والحركة الكونية الا أنموذج للنظام العلوي الذي وضعه الاله لهذا العالم .

---

(٣٧) الحكماء الثلاثة ص ١٢٦ وقصة الديانات / سليمان مظهر ص ١٨١ .
(٣٨) الحكماء الثلاثة ص ١١٠ والهاشمي / الاديان في كفة الميزان ص ٢٧ .
(٣٩) نفس المصدر ص ١٣٦ .
(٤٠) نفس المصدر ص ١١٠ .
(٤١) نفس المصدر ص ٥٤ ١.
(٤٢) نفس المصدر ص ١١١ .

فالاله يلاحظ مجرى الكون ويهب الحياة للاحياء وهو الذي اعطى للانسان عقلا يميز به أفعاله واعماله ومنحه الذكاء والادراك والمعرفة ليسعى الى عمل الخير والفضيلة والبر والاحسان ومكارم الاخلاق ويتجنب الشر والرذيلة وعقوق الوالدين وما الى ذلك من مخالفات خلقية[43] .

في السماء من يشرع القوانين والقواعد العامة التي تنظم الحياة الانسانية والحكومة تتلقى هذه القوانين والقواعد وتقوم على تنفيذها . اما الشعب فهو من يعيش وفقا لنصوصها[44] واعترافه بقوة السماء لاتعني تسليمه بالاديان السماوية فالدين هو المعاملة وليس اجتماع الناس بطريق تأدية شعائر معينة . الدين عنده مواساة اليتيم والبر بالفقراء والمعوزين وكف اليد عن الاعتداء على الغير .

ولذلك فان تعاليمه تمثل فلسفة اخلاقية اقرب منها الى دين تعبدات[45] . ولكنه برغم ذلك اوصى بتعلم الشعر ومعرفة الطقوس والشعائر الدينية المختلفة لانه يرى ان الطقوس والشعائر تربي في النفس ملكة الانتباه الشديد الى تفاصيل الامور ودقائقها[46] .

ولقد رفض كونفوشيوس ان تكون هناك طبقية في المجتمع . ورفض الكهنوتية بشدة ولكنه قسم الدولة الى حكام وشعب ووضع بينهما طبقة المعلمين وجعل لها مكانا ممتازا لأن من واجباتها دراسة القوانين وصيانتها من كل عبث[47] . وكان جل فكره ينصب على شؤون الحياة الدنيوية ولم يكن يتكلم عن امور ما وراء الطبيعة فقد اثر عنه انه لام تلميذا له كان يفكر بالموت فقال له « اذا كنت لا تعرف الحياة فماذا تعرف عن الموت ؟ » وكان في حديثه عن العلاقات الانسانية يؤكد على قانون العدالة . وقال بان رد الاساءة لا بد ان يكون بالعدل ، ورد الاحسان بالاحسان . وفسر ذلك بالقول بانه اذا كانت الحكومة مثلا تحسن او تتغاضى عمن يسيء الى البلاد او الى القائمين بالحكم فان مآل ذلك الى الفوضى وسوء الحال.

---

(٤٣) تاريخ الآلهة ــ الكتاب الثاني ــ الجزء الثاني ص ٤٩ .
(٤٤) الحكماء الثلاثة ص ١٤١ .
(٤٥) نفس المصدر ص ١٣٢ .
(٤٦) نفس المصدر ص ١٥٠ .
(٤٧) نفس المصدر ص ١١١ .

اما اذا حاسبتهم على افعالهم حسابا عادلا فان الامور تستقيم وتستطيع الحكومة القيام بواجباتها على الوجه الاكمل[٤٨] . ولذلك فان العقوبات في رأيه يجب ان تكون من جنس العمل .

وكان يدعو الناس الى الفضيلة فيقول اجعل الامانة والاخلاص من مبادئك الاولى وكان يدعو الى المعرفة فيقول ان المرء لا يصل الى السعادة ومراتب التقدم عن طريق التعبدات .. بل يصلها عن طريق ذاته فحسب بالمعرفة الصحيحة . وكان يدعو للرأفة بالآخرين فيقول ما لا تحب ان يصنع معك فلا تصنعه مع الآخرين[٤٩] .

وقد خلف كونفوشيوس تراثا قيما في خمسة كتب تدعى (كنج) يقال انه كتب بعضها وجمع البعض الآخر . وهذه الكتب عبارة عن حكم وامثال ووثائق واشعار وطقوس قديمة تتكلم عن البر والمحبة والحشمة والمعرفة والايمان وحقوق المرأة وخلف تلامذته من بعده اربعة كتب اخرى كانوا قد جمعوها عنه وهي بحوث في الاخلاق والفضيلة وفي الاعتدال وعفة النفس وعدم المغالاة في الامور وكذلك شروح على حكم واقوال كونفوشيوس[٥٠] .

وبرغم انه لم يتحدث عن العبادات والمعابد في حياته الا انه اصبح (أقدس القديسين) كما يدعونه الصينيون اليوم . فشيدوا له المعابد في انحاء الصين واخذوا يتعبدونه ويقدمون له القرابين والذبائح واصبح له اتباع يؤمنون بافكاره ويقسمون باسمه وهم طائفة كبيرة في الصين يزيد عدد افرادها على ٢٥٠ مليونا في وقتنا هذا .

٢ ـ الداوية : ((Toaism))

نشأت العقيدة الداوية جنبا الى جنب مع شقيقتها الكونفوشيوسية .. وفي نفس الفترة التي بدأت فيها البوذية بالانتشار في الهند .. الارض المجاورة للصين ولد (لاوتسى) او الفيلسوف العجوز في القرن السادس

---

(٤٨) نفس المصدر ص ١١٣ وقصة الديانات / سليمان مظهر ص ٢٠٠ .
(٤٩) تاريخ الآلهة . فاروق الدملوجي / الكتاب الثاني ـ الجزء الثاني ـ ص ٤٨ .
(٥٠) الحكماء الثلاثة ١٣٩ .

قبل الميلاد وفي التسعين من عمره كتب كتابه (العقل والفضيلة) فأصبح كتابا مقدسا لطائفة من الصينيين دعيت فيما بعد بالداوية • و (داو) كلمة قد تعني الله وقد تعني طريقة التفكير او الامتناع عن التفكير •• اذ تنصب فلسفة (لاو) على هجر التفكير ، اذ يرى انه لا خير فيه للجدل او النقاش فهو يضر الحياة اكثر مما ينفعها وتكسب سعادة المرء بالعزلة والتقشف والتأمل الهادىء في الطبيعة لا في التفكير •

و (لاو) يرى الامور عكس ما يراه كونفوشيوس اذ ان اولى واجبات الانسان لاقامة حياة فاضلة هي ايمانه بداو او ايمانه (بالله) ولا يرى ضرورة لأن تقابل الاساءة بالعدالة بل بالاحسان اذ ان الطريقة الوحيدة لجعل الناس خيرين صالحين هي معاملتهم برفق واحسان (أنا طيب مع أولئك الذين ليسوا طيبين) فالرجل الصالح عند (لاو) هو من يحب جميع الناس ولا يكره أحدا قط • ويمكن تلخيص العقيدة الداوية : بانها الميل الى السكون والهدوء والاستسلام الى الطبيعة الاولى حيث ان الحضارة الجديدة عقدت الحياة بمخترعاتها وكتبها وفلسفتها فنشأ من ذلك ما أصاب الناس من بؤس وشقاء •• فالمرء لا بد ان يعود الى الطبيعة بعيدا عن كل ما جد من امور(٥١) •

وبعد وفاة لاو ـ تسي •• ذهب اتباعه الى تشويه أفكاره بان حولوها الى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها في حكمه وأقواله وبدأوا يؤلهون كل شيء في الطبيعة حتى الفئران والثعابين وآمنوا بالشياطين والجن والارواح الشريرة ثم تحول الناس بعد فترة من وفاته الى عبادته هو جاعلين منه الها فبنيت له المعابد في كثير من مدن الصين •

ولما لم تكن الداوية او الكونفوشيوسية تتحدث عن الحياة بعد الموت لذلك فان كثيرا من الصينيين سرعان ما اتجهوا صوب الديانة الجديدة في الهند ـ البوذية ـ والتي راحت تفسر لهم النيرفانا فأنتشرت لذلك البوذية في الصين انتشارا هائلا وصارت دين الاكثرية الصينية ولكن انتشار هذه العقيدة الجديدة لم يجعل الصينيين ينبذون الكونفوشيوسية او

---

(٥١) قصة الديانات ص ٢١٩ ـ ٢٢٨ •

الداوية بل اختلطت معاني هذه العقائد الثلاث ولذلك فانه يسمى الشعب الذي يعتنق ثلاث عقائد في آن واحد(٥٢) .

وفي نهاية بحثنا للديانات الصينية نسجل الملاحظات التالية :

١ ـ عبد الصينيون قديما مظاهر الطبيعة المؤثرة في الكون كأغلب الشعوب القديمة .. وكان اهم مظاهر تلك العبادة الخوف من خوارق الطبيعة وعبادة الارواح الكامنة في جميع الاشياء وتقديس ما على الارض من صور رهيبة وما لديها من قدرة على الانتاج والتوالد ومن هنا عبدوا الريح والرعد والاشجار والجبال والافاعي .. وآمنوا بان لكل من هذه المقدسات روحا يجب ان يعبد ولكنهم في الوقت نفسه عرفوا مبدأ التفريد فآمنوا بوجود قوة عليا مسيطرة على العالم (الاله الاعلى) ووصفوه بانه في غاية العدل والحكمة(٥٣) .

٢ ـ لم يقتصر الصينيون القدماء على عبادة مظاهر الطبيعة بل عبدوا ايضا وعلى مدى تاريخهم كله وعلى نحو شبه عام ارواح اسلافهم .. كما عبدوا ارواح حكمائهم والابطال منهم وحتى اباطرتهم كانوا يعتبرونهم دائما مقدسين(٥٤) لانهم كانوا يعتقدون ان ارواح الاموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا . وكان اهم مظاهر العبادة عندهم هو الغناء والرقص والموسيقى وتقديم القرابين .

٣ ـ لم يكن الصينيون القدماء يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من نعيم مقيم او عذاب دائم وكانوا يؤمنون بالقضاء والقدر ويقولون : ان كل الحوادث مقدرة في السماء معروفة ، ويعتقدون ان السلوك

---

(٥٢) انظر : قصة الديانات ص ٢٤٢ و The World's Religions (P. 135)

(٥٣) انظر مظهر / قصة الديانات ص ١٧٥ وابوزهرة / مقارنات الاديان ص.٩٠ والمنوفي / الدين المقارن ص ٩٢ .

(٥٤) انظر : البان ج . ويد جيري / المذاهب الكبرى في التاريخ ـ من كونفوشيوس الى توينبى ترجمة ذوقان قرقوط ص ١٢ والمنوفي / الدين المقارن ص ٩٢ .

القويم يجلب الخير والبركة وان السلوك غير القويم يحدث الاضطراب والقحط ٠

ـ التزم كونفوشيوس بديانة قومه ولم يغير فيها شيئا فلم يؤمن باليوم الآخر ولم يشغل نفسه بالتفكير فيما بعد الموت وكان كل همه اصلاح الحياة الدنيا ٠ وكان يقدم القرابين ويقوم بواجب العبادة التي يقوم بها كل صيني تجاه الآلهة المتعددة ، ولقد كان في الناحية الدينية ساذجا يتشاءم من صوت الرعد ويرتجف وترتعد فرائصه عند ما يسمعه ويقرأ التعاويذ لطرد الارواح الشريرة من بيته ٠

ـ لم يكن لكونفوشيوس مذهب او عقيدة دينية يدعو اليها وانما وضع قواعد للسلوك المستقيم كان حريصا على تطبيقها او شيوعها خصوصا عندما تولى منصب قاضي القضاة في مدينة (جونج دو) ووزارة الجرائم في اقليم (لو) وبعدما تخلى عن مناصبه تلك امتهن التعليم ٠٠ وكان تعليمه كتعليم سقراط ٠٠ شفهيا لا يلجأ فيه الى الكتابة وكان جوالا يتنقل من مكان الى آخر وفي صحبته نفر من التلاميذ والمريدين يستوحون آراءه ٠

ـ بعد موت كونفوشيوس اقام له الصينيون معبدا وعبدوه كعادتهم في عبادة ارواح الاسلاف ثم عمت عبادته الصين كلها واصبح له في كل مدينة من مدن الصين معبد يؤمه الناس لسماع الدروس واقامة الصلوات وتقديم القرابين ٠٠ ومن لم يؤمن اليوم بألوهيته من الصينيين المتعلمين فله في نفسه توقير وتقديس يقرب من التأليه باعتباره اعظم حكيم وطني صيني عاش على ارض الصين ٠

ـ وكذلك لاو ـ تسي الذي كان معاصرا لكونفوشيوس والذي يكبره في السن ولكنه لم يشتهر خارج الصين شهرة كونفوشيوس ٠ لم يكن هو الآخر صاحب مذهب او عقيدة دينية وأنما كان فيلسوفا التجأ الى الزهد والعزلة والتقشف والتأمل الهادىء في الطبيعة وكان يبشر بالحلم والصبر والرفق والعطف على الآخرين ويدعو الى التسامح ومقابلة الاساءة بالاحسان وكان يقول : (اذا لم تقاتل الناس

فان احدا على ظهر الارض لن يستطيع ان يقاتلك . قابل الاساءة بالاحسان . فانا طيب مع الطيبين وطيب ايضا مع غير الطيبين فبذلك يصير الناس كلهم طيبين . وانا مخلص للمخلصين ومخلص ايضا لغير المخلصين فبذلك يصير الناس كلهم مخلصين . ان الين الاشياء في العالم تصدم اصلبها وتتغلب عليها . وليس في العالم شيء الين ولا اضعف من الماء ولكن لا شيء اقوى من الماء في مغالبة كل ما هو صلب وقوى .

٨ ـ وبعد موت لاو ـ تسي بسنوات تحولت الداوية من اتجاه فلسفي الى ديانة لها معبوداتها وآلهتها وراح اتباعه يعبدون الفئران وأبناء آوى والثعابين .. وبمضي الزمن زاد اعتقادهم بالسحر والشعوذة ووجود الشياطين والمردة والجن ومصاصي الدماء والغيلان وكل ارواح الشر وهكذا عبد الصينيون (لاو ـ تسي) بعد ان جعلوا منه الها وشادوا له المعابد واغدقوا المال بسخاء على كهنتها ولا تزال اصول هذه الديانة وفلسفتها تهيمن على عقول الملايين في الصين حتى يومنا هذا.

٩ ـ ثم وفدت الديانة البوذية الى الصين مع التجار الصينيين العائدين من رحلاتهم في نيبال والهند .. ولقيت لها اتباعا .. واخذت تنافس وتغالب بهم اتباع كونفوشيوس ولاو ـ تسي حتى انتصرت وانتشرت في جميع انحاء الصين بسبب عقيدتها في الحياة بعد الموت (النيرفانا) فقد كان الصينيون تواقين الى معرفة مصيرهم ومصير اسلافهم الذين يعبدون ارواحهم تلك العقيدة التي خلت منها الداوية والكونفوشيوسية بل ان كونفوشيوس كان ينهى تلامذته عن التفكير في هذا الموضوع ويحثهم على التفكير في الحياة الدنيا وصرف همتهم لاصلاح احوال امتهم ويروى ان احد تلاميذه سأله عن مآل الارواح بعد الموت فأجاب (لم تقدر على خدمة الاحياء : فكيف تقدر على خدمة الاموات ولم نعرف الحياة فكيف نعرف الممات ؟) .

١٠ ـ كان بين لاو ـ تسي وكونفوشيوس اتفاق واختلاف :

اما الاتفاق فيتمثل في ان كلا منهما كان يبشر بالحلم والصبر والبر بالوالدين والعطف على الاقربين والغرباء وفي ان كلا منهما لم يغير عقائد قومه الدينية ولم يزد عليها شيئا وانما كان يشاركهم في طقوسها وشعائرها .

اما الاختلاف بينهما فمن اوجه :

آ – يرى (لاو – تسي) ان التفكير وشحذ العقل في محاولة اصلاح المجتمع الفاسد لا خير فيه وانه يضر الحياة اكثر مما ينفعها وان الخير كل الخير في الزهد والتقشف والعزلة والتأمل الهادىء في الطبيعة .

بينما يرى كونفوشيوس ضرورة الاختلاط بالناس ليصلح من حالهم وليس من مذهبه اعتزال الناس والزهد في الدنيا .

جاء في حوار كونفوشيوس للاو – تسي عندما التقيا وكان الأول شابا والثاني كهلا (اذا كان واجب كل شخص من آحاد الامة ان يعتزل في كهف من الكهوف فمن الذي يبقى في المدن يعمرها وفي الارض يفلحها ويزرعها وفي الصنائع يمهر فيها ومن الذي ينسل ويعمل ليبقى الكون عامرا ببني الانسان ؟ واذا كان الاعتزال مقصورا على الحكماء والفضلاء فمن الذي يربي الانسان ويؤدبه ؟ ام يترك الناس حائرين لا هادي ولا مرشد

ب – كان من مبادىء لاو – تسي العفو والتسامح ومقابلة الاساءة بالاحسان (قابل الاساءة بالاحسان .. انا طيب مع الطيبين .. وطيب ايضا مع غير الطيبين .. انا مخلص للمخلصين .. ومخلص ايضا مع غير المخلصين) .

بينما كان كونفوشيوس يرى ضرورة ان يأخذ العدل مجراه في كل الامور فمن العدل ان يعاقب المسيء على اساءته وليس من العدل العفو عن سيئته ولكن يعدل معه (لا ضرر ولا ضرار) .

جـ – يرى لاو – تسي ان (داو) هو البداية العظمى لجميع الاشياء في العالم ، وان اول واجب على الناس الذين يريدون ان يحيوا

حياة فاضلة سعيدة صحيحة هو الايمان بداو •• اى طريق الله
وان الدنيا هي التي ستعنى بنفسها بعد ذلك •

بينما كونفوشيوس كان لا يهتم بمعرفة شيء عن الله واسمائه وصفاته بل بذل جهده في اصلاح الناس واسعادهم في دنياهم وكان يقول : ان الله يمكن ان يعنى بنفسه •

١١ـ يوجد في الصين الان بالاضافة الى الديانات الثلاث (الكونفوشيوسية ـ الداوية ـ البوذية) الدين الاسلامي ويبلغ عدد أتباعه أكثر من ٣٠ مليونا والدين المسيحي بجانب الشيوعية التي اصبحت النظام الرسمي للصين •

المبحث الثالث

ديانة الشنتو اليابانية

CINTO

من المعروف ان اليابان كالصين من حيث كثرة الديانات وانتشارها حيث تنتشر فيها الشنتو والبوذية والكونفوشيوسية والمسيحية والاسلام ٠

الا ان الشنتو هي ديانة يابانية عريقة ٠٠ كانت في بدايتها ديانة بدائية. الا ان البوذية حين دخلت اليابان في القرن السادس الميلادي ساعدتها على النمو والارتقاء ورغم انها قد بنيت على مبادىء بدائية قديمة الا انها لاتزال تعيش في ظل شعب متحضر ومتطور في النواحي الاقتصادية والسياسية(٥٥) ٠

وقد كان اليابانيون القدماء يعبدون الشمس بصورة خاصة ويعبدون الظواهر الطبيعية الاخرى كالقمر والنجوم والجبال والانهار ٠٠ الخ ٠ ولقد عبدوا بجانب هذه الظواهر اباطرتهم وأبطالهم الحربيين ٠

اعتمدت تعاليم الشنتو على كتابين قديمين كانا معروفين في اليابان اسمهما كوجيكي وينهوجي ٠ ويتحدث الكتابان عن الخليقة والكون وقيام العالم ٠

وتعني الشنتو طريق الآلهة او (طريق الارواح الخيرة) و (شن) تعني الارواح الخيرة و (تاو) اسم الديانة الداوية التي جاء بها (لاو ـ تسي) في الصين ٠ فالارواح تشكل اساسا للعقيدة اليابانية(٥٦) ٠ واتخذت هذه العقيدة خمس قواعد يقوم عليها الدين وهي :

١ ـ الايمان بان النار مطهرة ٠

٢ ـ لا بد من التطهير الروحي بالخضوع للعقل ٠ ولا بد من التطهير الجسدي بالاحتراس من النجاسات ٠

---

(٥٥) The World's Religions (P. 153)

(٥٦) قصة الديانات / سليمان ص ٢٤٥ ٠

٣ ـ يجب تقديس الاعياد وضبط ايامها .
٤ ـ ضرورة الحج الى الاماكن المقدسة التي يربو عددها على ٢٢ معبدا .
٥ ـ يجب القيام بعبادة الآلهة في المعابد والهياكل[٥٧] .

ورغم ان اليابانيين يؤمنون بآلهة واحدة عليا الا انهم لا يقيمون لها اي وزن في تعبداتهم لانها لا تتدخل بشؤون البشر اليومية . اما الآلهة الثانوية الاخرى كالظواهر الطبيعية والامبراطور فانه من الواجب القيام بالصلاة لهم وأطاعة اوامرهم المتمثلة بأوامر الامبراطور وقوانين المملكة . اما الظواهر الطبيعية فانها تكون دائما ملتصقة مع البشر في كل ما تقدمه للكون من قضايا خير او شر .

وكذلك فان الظاهر ان العقيدة اليابانية تتخذ وجهين الأول ويسمى عقيدة الدولة (Stata Religion) ويقوم اليابانيون بعبادة الحاكمين والاسلاف الذين اسسوا الدولة وأقاموا بنيانها .

والوجه الثاني هو اتجاههم الى عبادة اسلاف القبائل ويسمى العقيدة المنزلية[٥٨] وكان كل امبراطور حتى الحرب العالمية الثانية يعتبر خليفة الله في الارض لذلك فان الكثير من ابناء الشعب ينتحر لدى وفاته ليرافقونه الى العالم الآخر اذ ان الاخلاص له يعتبر تدينا وعرفانا بالجميل لكن تلك النظرة تبدلت نحو الامبراطور بعد خسارة اليابان في الحرب الثانية واصبح ينظر له نظرة دنيوية خالصة وبذلك فقد تخلصت المعابد والكهنة من سلطة الدولة الموجهة لشؤونها[٥٩] .

اما رجال الدين والكهنة فلم تكن لهم في الديانة السابقة مكانة خاصة ممتازة بين طبقات الشعب كما في الديانات الاخرى..وكان الناس يعاملونهم كمعلمين روحانيين يتعيشون على صدقات زوار وحجاج المعابد . وكان الامبراطور فيما سبق رئيسا للكهنة في البلاد .

وتمتاز معابد الشنتو ببساطتها لو قورنت بمعابد البوذيين .

---

(٥٧) تاريخ الآلهة ـ الكتاب الثاني ـ جـ ٢ فاروق الدملوجي ص ٥٩ .
(٥٨) قصة الديانات ص ٢٤٦ والله للعقاد ص ٨٨ .
(٥٩) The World's Religions (P. 164 - 165)

وقد دخلت الديانة البوذية الى اليابان عن طريق كوريا في القرن السادس الميلادي ودخلت الكونفوشيوسية اليها ايضا وساعدت الاخيرة على خضوع الشعب التام للسلطان الحاكم ولذلك وجدت مرتعا خصبا لها هناك .

وفي كثير من الاحيان نجد في اليابانيين ما وجدناه في الصينيين حيث ان هناك الكثير من الناس من يؤمن بالاديان الثلاثة في آن واحد.. والجميع يردد ما جاء في العقيدة اليابانية (التفت الى وطنك الارض يا صديقي وحاول ان تؤدي واجبك نحوها حتى تموت)[٦٠] .

وفي نهاية هذا التعريف الموجز بديانة اليابان نقول :

يوجد تشابه كبير في اصول الديانات الصينية اليابانية .. حيث عبد الجميع الاسلاف والارواح، ومظاهر الطبيعة، واستوردوا البوذية والاسلام والمسيحية .. ومزجوا ديانة الشمس بديانة الاسلاف .. وعرفوا مبدأ التفريد (الاله الاعظم) وكان عند الصينيين (شانغ ـ تي) وعند اليابانيين (ازاناجي ـ نوميكوتو) فلا خلاف بين الصينيين واليابانيين في ذلك سوى غلو اليابانيين في تاليه اباطرتهم واعتدال الصينيين في تقديسهم كأعتدالهم في جميع الشؤون .

---

(٦٠) قصة الديانات ص ٢٧٢ .

المبحث الرابع

الديانات الفارسية

عبد الفرس القدماء قوى الطبيعة المؤثرة في الكون كأغلب الشعوب القديمة .. وكان ابرزها الاله الشمس الذي ينضج محاصيلهم وسموه (مثرا) والهة الخصب والارض وسموها (انينا) واله المطر الذي يروي حقولهم واله الريح ومجموعة كبيرة من الالهة التي كانت تساعدهم في الحصول على الرزق .. كأنبات الزرع وارواثه ورعايته ومدهم بمحصول وفير .. وسموا هذه الآلهة (دايفا) اي الارواح الخيرة . كما قدس الفرس البقرة والهوا الثور وسموه (هوما) .

وبمضي الزمن تعقدت هذه الديانة .. واخذ الفرس يؤمنون بالاضافة الى الارواح الخيرة بكثير من آالالهة المحلية (آلهة القبائل وآلهة العائلات) وبعدة انواع اخرى من الآلهة والارواح(٦١) .

وبعد ان كانوا يخرجون الى الطبيعة ويصعدون الجبال لشكر الالهة وتقديم القرابين لها اخذوا يشخصون آلهتهم على هيئة تماثيل واصنام منحوته من الصخر او مصنوعة من الخشب واحيانا من الذهب والفضة .. ووضعوها في المعابد التي شيدوها في جميع انحاء فارس ... وتخصصت فئة من الرجال بحفظ المراسيم والشعائر ومعرفة الطقوس الدينية .. وهكذا دان الفرس بتعدد الآلهة .. وعبادة الاصنام والاوثان ـ وانتشرت المعابد .. وكثر الكهنة الذين ادعوا انهم يعرفون كيف يرضون الآلهة الخيرة وانهم يملكون ان يجعلوها تفعل ما يريدون منها لهذا اعتقد الفرس ان الكهان خير الناس واخذوا ينظرون اليهم على انهم وسطاء بين الآلهة والبشر وصاروا يستعينون بهم في الحروب والملمات ويوسطونهم لدى الآلهة للحصول على الرزق الوفير والحظ السعيد والحياة الطيبة .. وعرف الكهان كيف

---

(٦١) انظر : مظهر / قصة الديانات ص ٢٧٦ ـ ٢٧٩ والمنوفي / الدين المقارن ص ١٠٩ وعبدالنعيم حسنين / حضارة مصر والشرق الادنى ص ٤٤٣ والهاشمي / الاديان في كفة الميزان ص ٣١ .

يستحوذون على عقول الفرس بالسحر والشعوذة وكيف يقفون بصلابة ضد اية دعوة تهدف الى اصلاح عقيدة الفرس .. وتخليصها من عبادة الاصنام .. وتعدد الآلهة .. والانتقال بالفرس من مبدأ التفريد (الاله الاعظم) الى عقيدة التوحيد (الاله الواحد) وكانت اول دعوة من هذا القبيل دعوة (زرادشت) .

١ ـ الزرادشتية او « المجوسية » :

ولد زرادشت حوالي ٦٦٠ وتوفي ٥٨٣ق.م ويقول الشهرستاني: ان اباه من اذربيجان وامه من الري[٦٢] . ويكاد يتفق المؤرخون على انه ولد في الناحية الغربية الشمالية من البلاد الفارسية على شاطيء نهر يسمونه في الكتب المجوسية (داريزا) وعرف اخيرا بأسم (أراس) [٦٣]. وعندما بلغ السابعة من عمره ارسل بعيدا ليدرس مع (بورزين ـ كوروس) الذي امتدت شهرته بالحكمة في جميع أنحاء ايران وظل زرادشت ثمانية اعوام مع الحكيم بورزين حيث لم تقتصر دراسته معه على العقيدة بل تعدتها الى الزراعة وتربية الماشية وعلاج المرضى[٦٤] .

وفي اعقاب الحرب التي نشبت بين الفرس والتورانيين ـ والتي تطوع فيها زرادشت وهو في حوالي الخامسة عشرة من عمره لمعالجة المرضى والجرحى من الجنود ـ انتشرت المجاعة واشتد المرض وازدادت الفاقة في جميع انحاء بلاد فارس بنفس الصورة التي كانت قائمة في وقت الحرب . ومن جديد تطوع زرادشت ليضع جهده وخبرته في خدمة المرضى والفقراء من ابناء وطنه .. وانقضت خمسة اعوام كرس فيها زرادشت كل وقته لذلك العمل النبيل الذي تطوع للقيام به .

عاد بعدها الى موطنه وتزوج ـ بناء على رغبة ابيه ـ من فتاة حسناء اسمها (هافويه) ورفض زرادشت رغبة أبيه في ان يستقر ويعمل فلاحا ومربي ماشية .. وواصل عمله في خدمة المرضى وتخفيف آلام الناس .. ومن خلال

---

(٦٢) الشهرستاني / الملل والنحل ج ٢ ص ٤١ وانظر : عبد النعيم حسنين / حضارة مصر والشرق الادنى ص ٤٤٦ .
(٦٣) العقاد / الله ص ٩٣ .
(٦٤) مظهر / قصة الديانات ص ٢٨٢ .

عمله هذا أحس ان آلام الناس واحزانهم لا تنتهي . ومن هنا بدأ يتساءل : من اين تجيء هذه الشرور الى العالم ؟ وراح زرادشت يتمنى لو انه يعرف مصدر ذلك العناء الذي يواجهه الناس .. اذن لاستطاع ان يحقق حلمه في جعل كل الناس سعداء[٦٥] .

استحوذت فكرة معرفة مصدر الخير والشر على عقل زرادشت وامتلكت كل جوارحه فلم يعد يطيق مواصلة عمله والاستقرار في بيته مع زوجته وبناته .. وقرر اعتزال الناس فترة من الوقت يعيش خلالها ناسكا يفكر في الخير والشر .. عله يقف على مصدرهما ويخلص الناس من العناء الذي يواجهونه في حياتهم .

وهناك في جبل (سابلان) ظل وحيدا يفكر .. ويحاول ان يفهم سر هذا العالم . فكر في كل ما تعلمه .. واستعرض جميع تجاربه بين الناس.. ولم يستطع بادىء الامر ان يجد في كل ذلك ما يفسر له عالم الخير والشر .. حتى كاد ييئس ويتخلى عن بحثه وينهي عزلته .. ويعود الى بيته .. ومع غروب الشمس وعندما اخذ الظلام يرخي سدوله .. انقدحت في ذهن زرادشت فكرة ابتهج لها ابتهاجا عظيما واعتقد انه وقف على مصدر الخير والشر وأحاط علما بسر الحكمة .

وجوهر فكرته هو : كما ان اليوم يتألف من نهار وليل .. نور وظلام فالعالم ايضا يتألف من الخير والشر .. وكما ان الليل والنهار لا يمكن ان تتغير طبيعتهما .. النهار منير والليل مظلم .. فكذلك لا يمكن ابدا للخير ان يصبح شرا ولا للشر ان يصبح خيرا .

(الخير لا بد ان يكون خيرا دائما .. والشر لا بد ان يكون شرا دائما)[٦٦] . واستنتج زرادشت من ذلك ان عبادة الاوثان والاصنام والتقرب لآلهة الخير لتوقع الشر والهزيمة بالاعداء ولآلهة الشر لتصنع لهم خيرا خطأ فآلهة الخير لا يمكن ان تصنع شرا . وآلهة الشر لا يمكن ان

---

(٦٥) انظر : المصدر السابق ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .
(٦٦) المصدر السابق ص ٢٨٥ وبرستيد / انتصار الحضارة ص ٦٠ ترجمة الدكتور احمد فخري .

تفعل خيرا .. وهكذا آمن زرادشت بأن العالم تحكمه قوتان : خير واحد وشر واحد وبأن (اهورا مزدا) هو قوة الخير .. و (اهرمان)(*) هو قوة الشر .. ولكن لماذا خلق الخير ولماذا خلق الشر : ؟ وما الذي يفعله الناس حتى يقضوا على الشر ؟ .

اخذ زرادشت يفكر في ذلك وتقول مصادر الزرادشتية انه حدث ذات يوم بينما هو واقف على الجبل يفكر ان احس بنشوة روحانية تجلى له فيها كبير الملائكة (فاهومانا) ـ واصطحبه في رحلة سماوية مثل فيها امام رب السماء نفسه .. وتلقى عنه كلمات الحق والحقيقة وتعلم اسرار الوحي واستمع الى امر النبوة .

نزل بعد ذلك من الجبل ليصدع بما امر ويجهر بدعوته للناس .وخلاصة ما جاء به من جديد في الديانة الفارسية انه انكر تعدد الآلهة وعبادة الاصنام وجعل الخير المحض من صفات الله ونزل باله الشر الى ما دون منزلة المساواة بينه وبين الاله الاعلى وبشر بالثواب وانذر بالعقاب وقال : بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد وقصر الربوبية على اله واحد موصوف بأرفع ما يفهمه ابناء زمانه من صفات التنزيه (٦٧) .

لم يصغ اهل فارس الى تعاليم زرادشت ولم يكن لديهم استعداد لتقبلها لانهم كانوا قد الفوا آلهتهم واصنامهم التي كان لها واقع محسوس بينما اله الخير وروح الشر اللذان يدعو اليهما زرادشت لا يدركهما الحس .. حتى اسرته وعشيرته لم تؤمن بالتعاليم التي جاء بها .. وتخلوا عنه وطردوه .. فترك بلدته واخذ يجوب البلاد بحثا عن مؤمنين به وكانت تسبقه الى كل بلد يتجه اليه شهرته التي تقول : انه رجل دعي يسب الدين والكهنة .. فينفر منه الناس .. وهكذا مرت بزرادشت عشرة اعوام صعاب

(*) اهريمان او اهرمن هو الشيطان في الديانات المنزلة .

(٦٧) انظر : العقاد / الله ص ٩٢ وبد جيري / المذاهب الكبرى في التاريخ ص١١٢ ترجمة ذوقان قرقوط والحيني / دراسات اسلامية في العقائد والاديان ص ١٦٣ وسنية قراعة / الرسالات الكبرى ص ١٥٠ ، ١٥١ والشهرستاني / الملل والنحل جـ ٢ ص٤٢ وعبد النعيم حسنين /حضارة مصر والشرق الادنى ص ٤٤٦ .

وهو يأمل ان يجد من يؤمن به ويصدقه دون جدوى .. وواصل البحث واستطاع ان يجد من يصدقه .. وكان ابن عمه (ميتيوماه) الذي قال له : ان تعاليمك شاقة جدا على فهم الناس ...فعليك ان تبدا بدعوة المتعلمين الذين تدربوا على فهم الافكار الصعبة .. واستحسن زرادشت الرأي وقصد مدينة (بلخ) حيث الملك (كشتاسب) .. ولم يكد يمثل امام الملك حتى ارتفع صوته في حزم رهيب : (انا زرادشت سبتاما نبي الاله الواحد الحكيم .. جئت اليك ايها الملك لاحول قلبك عن الاصنام الشريرة التافهة.. الى مجد اله حق خالد .. واستطاع زرادشت ان يتغلب على حكماء وكهنة الملك الذي جمعهم لمناقشة زرادشت فيما جاء به .. كما استطاع بعد فترة ان يشفي جواد الملك من مرض عضال الم به بعد ان عجز عن علاجه اطباء البلاط وكهنة القصر . اعتنق الملك (كشتاسب) تعاليم زرادشت وآمن بالاله الواحد الحكيم واعلن ان زرادشت هو النبي الحق لهذه العقيدة الجديدة واصدر امرا بكتابة تعاليمه بحروف من الذهب وسميت (افستا) وعين زرادشت كبيرا للكهنة في بلاط بلخ .

انتشرت انباء اعتناق الملك للعقيدة التي جاء بها زرادشت في جميع انحاء فارس واقبل الناس على الدين الجديد .. حتى اسرته التي رفضت ان تصغي اليه من قبل عادت تفخر به وتحييه وتعلن ايمانها به ..

وملأت السعادة نفس زرادشت .. فقد انتصر في النهاية على عبدة الاصنام والسحرة والكهان ووجد اتباعا عديدين يستمعون اليه ويقبلون تعاليمه وعقائده الجديدة . وأسر زرادشت الى كشتاسب بان تعاليم الاله الواحد قصد بها البشر جميعا ، وان عليهم ان ينشروها في كل مكـــان .

ووافق الملك .. انطلق الرسل ــ بعدها ــ الى جميع انحاء بـــلاد فارس وخارجها لنشر تعاليم « الافستا » الكتاب المقدس .. وسرعان مـــا انتشرت تعاليم الزرادشتية في جميع بلاد فارس وخارجها .. حتى وصلت الى توران بل والى اليونان والهند(٦٨) .

---

(٦٨) انظر : مظهر / قصة الديانات ص ٢٨٨ ــ ٣١٠ والحيني / في العقـــائـد والاديان ص١٦٤ وعبد النعيم حسنين / حضارة مصر والشرق الادنى ص ٤٤٦ والنشار / الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ١ ص ١٧٨ .

عقائد الزرادشتية :

١ ـ التوحيـــد : ـ

انكر زرادشت بعنف وشدة الوثنية المتمثلة في تعدد الآلهة وعبادة الاصنام ودعا الى الايمان باله واحد « اهورا مزدا » .. وقد وصفه بأرفع ما يعرفه الناس في زمانه من صفات التنزيه .. فهو قديم ازلي مجرد من جميع شوائب المادة منزه عن كل أدران النقص لم يولد ولن يموت وهو روح الارواح .. يرى ولا ينظر ولا تدركه عين او بصر وهو موجود في كل مكان ولكنه لا يرى في اي مكان وهو يعلم الحاضر والمستقبل ويعلم الغيب ويدرك دخائل النفوس وهو قدير على كل شيء لا يسمو عليه شيء قط . وهو معين من لا معين له وراعي الفقراء والاغنياء على حد سواء .. وهو مفرج الهموم ومانع الضر عن الناس .. وان اقوى الناس ليشعرون بضعفهم أمامه وهو القوة الغير المنظورة التي يتطلع اليها الناس لتشد من ازرهم وتقوى من نفوسهم(٦٩) .

واهم اسماء الله الحسنى عند زرادشت هي :

السر المسئول .. واهب النعم .. الكامل .. القدس .. الشريف.. الحكيم .. الخبير ، الغني .. المغني .. السيد .. المنعم .. الطيب .. القهار .. محق الحق .. البصير الشافي .. الخلاق .. مازدا « العليم »(٧٠)

ولما كان الاله في الديانة الزرادشتية قوة غيبية « غير محسوسة » كما هو الحال في الديانات المنزلة ـ يعجز عن ادراك حقيقته العقل البشري ولا يقوى على تصوره خيال انسان لجأ زرادشت ـ حتى يتمكن الناس من تصور هذه القوة ـ الى الرمز .. فرمز الى « اهورا مزدا » برمزين محسوسين حتى تقوى عقول البشر عن طريق التفكير فيهما على تصور صفات الاله وهما : الشمس .. والنار .

---

(٦٩) مظهر / قصة الديانات ص ٣١١ . وانظر : ويد جيري / المذاهب الكبرى في التاريخ ص ١١٢ .

(٧٠) انظر : العقاد / الله ص ٩٥ ـ ٩٦ وسنيه قراءة / الرسالات الكبرى ص ١٥١ .

« فالشمس في السماء تمثل روح اهورا مزدا » في صورة يستطيع الناس ادراكها لما امتازت به من صفات تشبه صفات المبدأ الأول ، اذ هي كائن مشرق متلالىء يفيض الخير على جميع الكائنات ويبعث فيها الدفء والنشاط وهي قوة لا تقاوم ولا تستطيع نزعات الشر الاقتراب منها والحط من قدرها والانتقاص من طهرها وصفائها .

« والنار في الارض هي العنصر الذي يمثل للناس تلك القوة العليا . فهي ليست عنصرا اوليا ساذجا ازليا فحسب ، بل هي ايضا قوة مطهرة مهلكة طاهرة نقية نافعة لا يمكن ان يتطرق اليها الفساد » .

وهكذا تبدو تلك الصورة التي يتصور الناس من اجلها ان اتباع زرادشت يعبدون النار بينما هم يؤكدون ان تلك الفكرة خطأ كبير .. فهم لا يعبدون النار او يتخذون منها الها ولكنهم يرونها الى جانب الشمس رمزا لقوة الاله الذي لا يراه احد .. ويعدون الوثنيه والشرك بالاله الواحد الخير الحق جريمة كبرى لانها تتضمن أنكار مبدأ وحدة الواحد اهورا مزدا .

ويقول الزرادشتيون : انهم يقدسون النار ولا يعبدونها لانها مقدسة كرمز[٧١] . فالله في دين زرادشت واحد لا شريك له وهو خير محض لا شر فيه وهو مصدر كل خير ومجد ونور وسعادة في العالم .. وهو المشرع القدسي والقاضي الاسمى العادل الرحيم .. وقوة الاله الخيرة هي التي ستنتصر في النهاية على روح الشر « اهرمن » الذي هو سبب كل ما في العالم من شرور وعناء . فالخير عند زرادشت غالب دائم والشر مغلوب منظور الى اجل .. وما زال اهرمن يهبط في مراتب القدرة والكفاية على هذا المذهب حتى عاد كالمخلوق الذي ينازع الخالق سلطانه ولا محيص له في النهاية من الخذلان[٧٢] .

---

(٧١) مظهر / قصة الديانات ص ٣١٢ وانظر : العقاد / الله ص ٩٦ والحيني / في العقائد والاديان ص ١٦٧ والدكتور يحيى هويدي / محاضرات في الفلسفة الاسلامية ص ٤٨ . والشهرستاني / الملل والنحل جـ٢ ص٦٠.
(٧٢) العقاد / الله ص ٩٥ .

قال الشهرستاني في عقائد زرادشت : « وكان دين زرادشت : عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروفوالنهي عن المنكر واجتناب الخبائث».

وقال : النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك يزدان «اهورا مزدا» واهرمن وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما . وحدثت الصور من التراكيب المختلفة .. والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما ، وهو لا شريك له ولا ضد ولا ند ، ولا يجوز ان ينسب اليه وجود الظلمة كما قالت الزروانية . لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث ، انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم وهما يتقاومان ويتغالبان الى ان يغلب النور الظلمة والخير الشر ، ثم يتخلص الخير الى عالمه والشر ينحط الى عالمه وذلك هو سبب الخلاص والبارى تعالى هو الذي مزجهما وخلطهما لحكمة رآها في التراكيب . وربما جعل النور اصلا وقال : وجوده وجود حقيقي ، واما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة الى الشخص فانه يرى انه موجود وليس بموجود حقيقة فأبدع النور وحصل الظلام تبعا لان من ضرورة الوجود التضاد ، فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الأول كما ذكرنا في الشخص والظل[٧٣] .

٢ ـ النبوة : ـ

يؤمن الزرادشتيون بالنبوة وببعض الانبياء ويزعمون ان زرادشت كان نبيا ورسولا الى الخلق اجمعين ، يوحى اليه وانه كان يناجي اهورا مزدا ويسمع جوابه يسأله سؤال المتعلم لمعلمه والمستهدي لهاديه .. هذا ما اسألك عنه .. فأصدقني الخبريا اهورا مزدا : من الذي رسم مسار الشموس والنجوم ؟ ومن الذي يجعل القمر يتزايد ويتضاءل ؟ ومن الذي اقر الأرض تحت .. والسماء من فوق .. وامسك السماء ان تقع ؟ ومن الذي سخر

---

(٧٣) الملل والنحل جـ٢ ص ٤٢ ، ٤٣ وانظر ، المنوفي / الدين المقارن ص ١١٥ والشيخ محمد الخضر حسين / محمد رسول الله ص ٢٥ .

للرياح والسحب سرعتها ؟ ومن الذي اخرج العقل الخير ؟ انه انت يا واحد .. يا اهورا مزدا(٧٤) .

وتنسب الزرادشتية الى نبيهم معجزات كثيرة :

منها : دخول قوائم فرس الملك كشتاسب في بطنه وكان زرادشت في السجن فاطلقه فأنطلقت قوائم الفرس .

ومنها : انه مر على اعمى فقال : خذوا نبتة ـ وصفها لهم ـ واعصروا ماءها في عينيه فانه يبصر .. ففعلوا فأبصر الاعمى(٧٥) .

٣ ـ المنقد : ـ

يؤمن الزرادشتيون بانه سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه (اشيزريكا) ومعناه الرجل العالم . يزين العالم بالدين والعلم ويحي العدل ويميت الجور ويرد السنن المغيّرة الى اوضاعها الاول وتنقاد له الملوك وتتيسر له الامور وينصر الدين والحق ويحصل في زمانه الامن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن(٧٦) . يملأ الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا .

٤ ـ المنقد

يؤمن الزرادشتيون بالبعث والقيامة والحياة الاخرى والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في جنة او نار ويقولون : ان روح الميت اذا فارقت الجسد استقبلها الديان في صورة فتاة حسناء .. تحف بها الازهار وتعبق حولها الروائح الطيبة هذا ان كان الميت صالحا ، والا استقبلها في صورة فتاة قبيحة جدا .. وهناك تلقى « رشنوه » ملك العدل و « ميترا » رب النور قد نصبا الميزان .. وتوزن اعمال الانسان .. فاذا رجحت عنده

---

(٧٤) علق استاذنا العقاد على مثل هذه المناجاة بقوله ص٩٧ / الله : لا يبعد ان زرادشت كان من اصحاب الطبائع التي تغيب عن الوعي او تسمع في حالة وعيها اصواتا خفية من هاتف ظاهر او محجوب كما روى عن سقراط وامثاله من الموهوبين والملهمين .

(٧٥) لا ننسى انه كان عارفا بالطب وانه قضى سنين طويلة في ممارسة هذه المهنة وكان عارفا بالادوية ايضا فشفاؤه للجواد كان بالعلاج الطبيعي تدليك قوائم الجواد التي اصابها ضمور وعلاجه للاعمى ان دل على شيء فانما يدل على معرفته بخصائص الحشائش والنباتات وليس هذا وذاك من المعجزات في شيء كما يقول الشهرستاني في الملل والنحل جـ٢ ص٤٣ .

(٧٦) انظر : الشهرستاني / الملل والنحل ص ٤٤ جـ٢ .

اعمال الخير صعد الى الى اسماء وعاش في نعيم ٠ واذا رجحت عنده اعمال الشر هبط الى الهاوية وعاش في عذاب واذا تعادلت عنده الكفتان ذهب الى مكان لا عذاب فيه ولا نعيم ، الى ان تقوم القيامة ويتطهر العالم كله بالنار المقدسة ثم يرفعون جميعا في حضرة مزدا في نعيم مقيم[٧٧] ٠

٥ ـ القيامـــة : ـ

وتحدث القيامة عند الزرادشتين عندما يصطدم كوكب ناري بالارض وتميد بالناس وتخر الجبال هدا ، وتذوب العناصر وينصهر النحاس ويسيل الى جهنم فيفنى اهرمان وانصاره ويغسل الناس ثلاثة ايام في منصهر النحاس .. ويجد الصالحون ذلك بردا وسلاما وبعد هذا يجمع مـزدا الخلائـق ويجازيهم باعمالهم[٧٨] ٠

٦ ـ الصـــراط : ـ

ويؤمن الزرادشتيون بالصراط وهو ممتد فوق جهنم .. فالرجل الصالح تصحبه اعماله حتى يجتاز الصراط الى الجنة فيستقبله ملك جالس على كرسي من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول له : ادخل سالما آمنا وتمتع بحياة هنيئة ٠

واما الرجل الطالح فيقع في النار بحكم مزدا ليذوق العذاب الاليم .. يستمر الحال هكذا حتى تبدل الارض غير الارض .. ويفنى اهرمان وجنده وجميع من في الوجود من الاحياء ويبقى مزدا وجميع قوى الخير[٧٩] ٠

٧ ـ الشـــفاعة : ـ

يعتقد الزرادشتيون بأن حق تقرير المصير لاخطاء البشر موكول الى نبيهم زرادشت فمن يشفع له من الخطاة ينجو من العذاب هذا ما يقرره النص الوارد في « الياسنا » رقم ٤٤ ٠ « قل لي على التحقيق .. وابلغني يقينا .. فانا اتوسل اليك ايها الملك المقدس .. عندما تنبلج اسمى الحياة عند مدخل مماكتك ٠ هل من مقدرات المحكمة السماوية اعطاء كل امرىء حقه ؟

---

(٧٧) انظر : العقاد / الله ص ٩٢ و٩٧ ٠
(٧٨) انظر : المنوفي / الدين المقارن ص ١١١ ٠
(٧٩) انظر : المصدر السابق ص ١١١ ـ ١١٢ ٠

حقا انه هو ـ النبي المرسل ـ الذي توضع لروحه الساهرة كل خطايا البشر[٨٠] ..

مصادر الزرادشتية : ـ

المصدر الرئيس للديانة الزرادشتية هو « الزند افستا » وهو كتابهم المقدس والكلمة مركبة من « زند » ومعناها : شرح و « افستا » ومعناها : نص فيكون معنى « الزند افستا » النص والشرح .

ويتضمن هذا الكتاب التاريخ الادبي لامة الفرس لمدة طويلة من الزمن ككتاب اليهود المقدس « العهد القديم » كما يتضمن عقائد وشرائع وطقوس وشعائر الديانة الزرادشتية وقد قسم موارد التكليف وهي حركات الانسان ثلاثة اقسام : اعتقاد ، وقول ، وعمل فاذا جرى الانسان في هذه الحركات على مقتضى الامر والشريعة فاز الفوز الاكبر ... واذا قصر فيها خرج عن الدين والطاعة .[٨١]

وقد ظل هذا الكتاب قرونا عديدة يعتمد على الرواية الشفوية قبل التدوين ، وعلى ذلك فالوصول الى النص الاصلي امر لايمكن القطع به . يضاف الى ذلك انه غير مرتب ترتيبا زمنيا[٨٢] .

وقد ترجم الاستاذ « شبيغل » ـ Spiegel ـ الزند أفستا الى الانكليزيةفي فصول تمثل « الفنديداد Vendidad الفصل الاول منه وفيه يتحدث « اهورا مزدا » الى زرادشت ويمنحه اوامر الشريعة ويأتي بعد الفنديداد الفسبرد Vispered والياسنا ʁusɐʎ وهما للطقوس الدينية وفيهما : تراتيل وكتاب صلوات وهما خاصان برجال الدين .

وتتضمن الياسنا (الجاثات Gathas) التي ينظر اليها الآن على انها اجزاء الافستا الوحيدة ، التي تنسب الى زرادشت نفسه ويتلو هذه « خوردن افستا » اي الافستا الصغيرة ـ التي تتضمن « الياشاتYashts »

---

(٨٠) انظر : الحيني / في العقائد والاديان ص ١٦٨ .

(٨١) انظر : الشهرستاني / الملل والنحل ج ٢ ص٤٣ وعبد النعيم حسنين / حضارة مصر والشرق الادنى ص ٤٤٩ . وابو الحسن العامري/ الاعلام بمناقب الاسلام ص ١٥٩ ، ١٨١ .

(٨٢) انظر : الحيني / في العقائد والاديان ص ١٦٤ .

وفيها تمجيد لبعض الملائكة وصلوات خاصة وبعض المقطوعات عن الشعائر الدينية •

والمصدر الذي يراه الباحثون المحدثون هاما في تصوير الديانة الزرادشتية هو الياسنا ، وهي تتضمن خمس مجموعات من التراتيل تسمى الجاثات وعدد التراتيل سبع عشرة • ويرى الباحثون ان الجاثات تتضمن العناصر القديمة للديانة الزرادشتية التي يضمها كتاب الزند افستا ويقولون: انها احتفظت ببعض اقوال زرادشت وعلى ذلك فهي من خير المصادر لديانته[٨٣] •

تحريف عقائد زرادشت : ـ

لم تسلم عقائد زرادشت من التبديل والتحريف والتغير شأنها في ذلك شأن كثير من العقائد والديانات الاخرى فلم تبق تعاليمه وعقائده كما وضعها •• عندما سئل زرادشت عما اذا كان الاله الواحد هو وحده صانع الخير في العالم اجاب : ان الاله له مساعدوه السماويون الذين يسمون الملائكة وقال : ان اهمهم سبعة •• العقل الخيّر والنور والحكمة والخير والتقوى والخلود والامر الصالح •

واضح من كلام زرادشت انه انما كان يعني بهذه الاسماء •• انها عبارة عن صفات ومظاهر رئيسة ومميزات متعددة للاله الواحد ولم يكن يعني انها شخصيات حقيقية شريكة للاله الواحد في صنعه الخير وابداعه العالم والا لما دعا الى الايمان باله واحد حكيم •

ولكن كهنة ايران وشعبها كانوا عبدة اوثان •• وهم وان قبلوا تعاليم زرادشت •• فان عقولهم كانت لا تزال عقول عبدة اوثان • ولذا فقد فهموا من كلامه •• وجود شخصيات سماوية كثيرة حقيقية تطير هنا وهناك : تساعد الرب في اعماله وتشاركه في صنع الخير ، وتسيطر على العالم وتحكمه بأمر من اهورا مزدا اله الآلهة أو (الاله الاعظم) •• وبذلك حرفوا عقيدة التوحيد الى التعدد •• ولم يمض وقت طويل حتى اطلقوا اسماء على الف ملاك يعيشون في السماء و ٩٩٩٩ شيطانا اسود يساعدون روح الشر في الجحيم تحت الارض وتسعى بزعامة اهرمن الى اغواء البشر على الارض

---

(٨٣) انظر : المصدر السابق ص ١٦٤ ـ ١٦٥ •

بارتكاب الآثام والشرور وهي لذلك في حرب دائمة مع آهورا مزدا وبهذه الطريقة فعل الايرانيون مالم يكن زرادشت يريد منهم ان يفعلوه ، عبدوا الاوثان القديمة بعد ان غيروا اسماءها باسماء جديدة .. وجعلوا لله شريكا في صنعه وسيطرته على العالم وهبطوا بعقيدة التوحيد الى التفريد فالتعدد(٨٤) .

وفي القرن الثالث قبل الميلاد . اى بعد موت زرادشت بحوالي ثلاثمائة عام غزا الاسكندر الاكبر ارض فارس .. وحطم الافستا .. والغى الزرادشتية .. واقام بدلها ديانة اليونان الوثنية .. ولكن الفرس لم يتخلوا عن ديانتهم واخذوا يتعبدون بها ويعلمونها لابنائهم سرا .. حتى استقلت فارس عن الحكم الاجنبي في اوائل القرن الثالث الميلادي . اى بعد حوالي خمسمائة عام .. حين قامت الدولة الساسانية في ايران .. ورأت ان في احيائها لدين زرادشت وانتصارها له ما يدعم ويثبت كيانها .. فأخذ رجال الدين يجمعون ما وجدوه من الاجزاء القديمة من الافستا في كتاب واحد وقاموا بترجمتها الى اللهجة البهلوية ... ولكن صاحب هذه الترجمة تشويه للنصوص الاصلية ، واضافات كثيرة هي شروحهم لهذه النصوص (الزندا) فضلا عن تأثرهم بوجه من الوجوه بالفكر اليوناني الذي انتقل الى فارس .. ومن ثم يصعب الادعاء بان الترجمة والشروح والاضافات الكثيرة تمثل تعاليم زرادشت تمثيلا صادقا . وفي القرن السابع الميلادي أي بعد حوالي اربعمائة عام .. فتح العرب المسلمون بلاد فارس .. واخذوا يدعون

---

(٨٤) مظهر / قصة الديانات ص ٣١٦ والحيني / العقائد والاديان ص ١٧٤ حيث قال :
(.. ولكن التحريف شوه بعض معالمها واساء اليها لانها ظلت قرونا طويلة لتنتقل من جيل الى جيل بالرواية الشفوية حتى دونت اخر الامر بعد ان عمل فيها الخيال وما الف الناس) . وعبد النعيم حسنين/حضارة مصر والشرق الادنى ص٤٤٨ و ٤٥٠ حيث يقول : (غير ان اتباع زرادشت ـ الذين كانوا من قبل يعبدون آلهة متعددة ـ مثلوا صفاتها في صورة كائنات خالدة مقدسة تخلق العالم وتسيطر على تنظيمه وحكمه بامر من اهورا مزدا اله الالهة او الاله الاعظم وبدلا كتحـول مذهب التوحيد الى فكرة التعدد . والدكتور احمد عبدالحميد غراب / هامش كتاب الاعلام بمناقب الاسلام ص ١٣٣ حيث يقول : (لم يمض وقت طويل على موت زرادشت حتى عاد كثير من الالهة القديمة الى الزرادشتية في صورة ملائكة .

الى الدين الاسلامي •• فأقبل الكثير من الزرادشتيين على الدين الجديد وهرب بعض الى خارج فارس •• وبقي آخرون على دينهم القديم •

واليوم لم يبق من معتنقي ديانة زرادشت في ايران الا نحو ٤٠٠ عائلة يعيشون في نواحي يزد من جنوبي خراسان •

اما اكثر معتنقي هذه الديانة فيعيشون في الهند ويسمون (البارسيين) او الفارسيين حيث هربوا اليها عند الفتح الاسلامي •• ويقدر عدد معتنقي الديانة الزرادشتية اليوم في جميع انحاء العالم بحوالي ١٢٠ الف نسمة •

ومما هو جدير بالذكر ان العرب كانوا يسمون معتنقي الديانة الزرادشتية (المجوس) وقد ورد ذكرهم بهذا الاسم في القرآن الكريم •

قال تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا •• ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد »[٨٥] •

وقد اختلف الفقهاء المسلمون في المركز التشريعي للمجوس في الدولة الاسلامية فرأى البعض انهم من اهل الكتاب[٨٦] •• فيعاملون معاملة الكتابيين وذهب جمهور الفقهاء الى انهم ليسوا من اهل الكتاب •• وقد عدهم الشهرستاني ممن لهم شبهة كتاب[٨٧] • الا ان جميع الفقهاء اتفقوا على انهم يعاملون معاملة الكتابيين[٨٨] لقول الرسول (ص) في المجوس(سنوا بهم سنة اهل الكتاب) و (من اقام على يهودية او مجوسية فعليه الجزية) لهذا لم يجبر العرب المسلمون المجوس على ترك دينهم والدخول في الاسلام

---

(٨٥) الحج / ١٧ •

(٨٦) الكتابي : هو كل من اعتقد دينا سماويا وله كتاب منزل كالتوراة والانجيل والذمي : هو من يقيم في دار الاسلام من اهل الكتاب ،والاصل في الاسلام هو تمتع الذميين بجميع الحقوق العامة في الدولة الاسلامية. والحقوق العامة هي : الحقوق اللازمة للانسان باعتباره عضوا في مجتمع ولا يمكنه الاستغناء عنها وهذه الحقوق مقررة لحماية الانسان في نفسه وحريته وماله كالحق في التنقل وفي الاعتقاد وحرمة المسكن وغيرها • انظر : عبد الكريم زيدان / احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ص ١١ و ٨٦ و٨٧ •

(٨٧) انظر : الملل والنحل جـ١ ص ٣٦ وجـ ٢ ص ٣٤ •

(٨٨) انظر : زيدان / احكام الذميين ص ١٥ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ •

فالاسلام لا يجبر الناس على ترك دينهم (لا اكراه في الدين) وأدل دليل على ذلك بقاء فئة كبيرة من المجوس في فارس تقيم شعائرها وتوقد النار في المعابد في كل ولاية فارسية تقريبا حتى بعد الفتح الاسلامي بنحو ثلاثة قرون .. بل حتى اليوم .

وفي نهاية بحثنا للديانة الزرادشتية نسجل الملاحظات التالية :

١ ـ التقى الفرس الاقدمون مع الهند في عبادة (مثرا) اله النور ولكنهم اختلفوا في تمثيله لقوى الخير والشر .. فجعله الفرس من ارباب الخير والصلاح .. وجعله الهنود من ارباب الشر والفساد .

٢ ـ تأثرت عقائد الفرس القديمة بالديانة البابلية .. فأخذت منها سنة التسبيع في عدد الآلهة وجعلوا اهورا مزدا على رأس سبعة من ارباب الحكمة والحق وقوى الطبيعة ... واعتقد الفرس ان (زروان) ابو اله النور واله الظلام .. ومن المرجح ان (زروان) هذا صنو لاله البابليين (نون) او القدر الذي يتسلط على الآلهة كما يتسلط على المخلوقات .

٣ ـ آمن الفرس بالعالم الآخر كما آمن به المصريون وآمنوا كذلك بالثواب والعقاب في الدار الآخرة وقالوا : بقيامة الموتى ونهاية العالم وبعث الارواح للحساب .. وبذلك جمعوا بين عقيدة الهند في نهاية العالم وعقيدة المصريين في محاسبة الروح ووزن الاعمال في موقف الجزاء[٨٩] .

٤ ـ طور زرادشت عقيدة الفرس القديمة .. واهم ما جاء به من جديد هو انكار الوثنية والدعوة الى اله واحد حكيم .. **موصوف** باشرف صفات الكمال والتبشير بالثواب والانذار بالعقاب الا انه ـ كما يقول استاذنا العقاد ـ كان خليقا به ان يسمو بعقيدة الفرس الى مقام اعلى من ذلك المقام في التنزيه .. وان يسقط باهرمن من منزلة الند الى منزلة المارد المطرود .. لولا ان وجود اهرمن كان لازما لبقاء الكهانة الفارسية في عهود المحن والهزائم التي منيت بها الدولة .. فلو قال الكهنة للمؤمنين بأهورا مزدا انه الاله المنفرد

---

(٨٩) العقاد / الله ص ٩١ ـ ٩٢ .

في الكون بالتصريف والتقدير ربما يكفرون بدينهم .. ولهذا اكبروا من قوة اهرمن وجعلوا انتصاره عقوبة للنـــاس على تركهم للخـير وحبهم للشر ... ثم يبشرونهم بغلبة الاله الحكيم الرحيم بعد الهزيمة فتهدأ وساوسهم الى حين ... على ان زرادشت قد استخلص مـن اخلاط المجوسية عقيدة وسطا بين العقيدة الوثنية الاولى والعقيــدة الالهية الحديثة سواء في تصحيح الفكرة الالهية او في مسائل الاخلاق ومسائل الثواب والعقاب[٩٠] .

٥ ـ من المرجح ان زرادشت لم يكن نبيا وان ديانته من وضـعه هـو وليست منزلة عليه كما يزعم اتباعه لان الاله الذي دعا الى توحيده وهو اهورا مزدا ثبت انه ليس من ابتداعه وانه كان موجودا بهذا الاسم من قبل مع اختلاف يسير في الحروف كما ثبت ذلك بالنقوش الآشورية التي هي ابعد في القدم منزرادشت ومعناه في النقـوش (الله ـ الواحد الحكيم)[٩١] .

٢ ـ الثنويــة

١ ـ المانويــة : ـ

اشهر العقائد واكثرها اتباعا في بلاد فارس بعد عقيــدة زرادشــت . والمانوية نسبة الى (ماني بن فاتك) الفيلسوف الفارسي الذي ولــد عام ٢١٥ م زمن حكم الملك سابور بن اردشير .

وقد درس ماني ديانة قومه القديمة وديانة زرادشت كما درس الدين المسيحي وتأثر به .. حتى قال بنبوة عيسى ـ عليه السلام ـ .. احدث ماني ديانة تقوم على العقائد الفارســية والمســيحية حتى وصــفها بعض المؤرخين بأنها « زرادشتية ـ متنصرة »[٩٢] .

وتمتاز ديانته بالقول بان العالم نشأ عن اصلين : النور والظلمة .. وان هذين الاصلين ازليان قديمان .. وبهذا خالف زرادشت الذي كـان

---

(٩٠) المصدر السابق ص ٩٤ ، ٩٥ : عبدالنعيم حسنين / حضـارة مصــر والشرق الادنى ص ٤٤٨ .
(٩١) انظر : الحيني / في العقائد والاديان ص١٦٦ .
(٩٢) انظر : المنوفي / الدين المقارن ص ١٩٢ .

يقول بقدم النور وحدوث الظلام ولهذا وضعت المانوية بانها (ثنوية) أي تقول بنشوء العالم عن اصلين مختلفين : النور .. والظلام .. فعن النور نشأ كل خير في العالم .. وعن الظلام نشأ كل شر في العالم وان الخير قد امتزج بالشر امتزاجا تاما .. وانهما في صراع وامتزاج حتى قيام الساعة ومن هنا زهد ماني في الوجود .. وكان يود الفرار منه .. ويتعجل الفناء لنفسه وللناس . فحرم الزواج حتى ينقرض النوع البشري .. وشرع الصيام سبعة ايام من كل شهر ليضعف الجسم وفرض صلوات كثيرة .. ونهى عن ذبح الحيوان .

واليك ما قاله الشهرستاني في ماني والمانوية فهو خير من تحدث عن تعاليمه وفلسفته وعقائده .. انه (احدث دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى ـ عليه السلام ـ .

حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق ، وكان في الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم : ان الحكيم ماني زعم ان العالم مصنوع مركب من اصلين قديمين : احدهما نور والآخر ظلمة . وانهما ازليان لم يزالا ولن يزالا وانكر وجود شيء الا من اصل قديم فزعم انهما لم يزالا قويين حساسين ، داركين سميعين بصيرين وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان .. وفي الحيز متحاذيان .. تحاذى الشخص والظل ..) .

ثم ذكر امثلة من الاختلاف بين جوهر النور وجوهر الظلمة فقال : ان جوهر النور حسن فاضل ، كريم ، صاف ، نقي ، طيب الريح ، حسن المنظر .. وان جوهر الظلمة قبيح ناقص ، لئيم ، كدر ، خبيث ، منتن الريح ، قبيح المنظر .. وان اجناس النور خمسة : اربعة منها ابدان والخامس روحه . فالابدان هي : النار والنور والريح والماء وروحه النسيم .. وان اجناس الظلمة خمسة ايضا : اربعة منها ابدان والخامس روحها .. فالابدان هي : الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان ..) .

وبعد ان بين اوجه الاختلاف بين كل من النور والظلمة في الجوهر والنفس والفعل والحيز والجنس والصفات .. اخذ يبين آراء المانوية في

امتزاج الخير بالشر وسببه وكيفيته . وبعدها اخذ يشرح عقيدتهم في تخليص وتمييز كل منهما عن الآخر .. واخيرا ذكر اهم تعاليم ماني وتشريعاته وعقائده فقال : (وقد فرض ماني على اصحابه العشر في الاموال كلها والصلوات الاربع في اليوم والليلة والدعاء الى الحق .. وترك الكذب ، والقتل ، والسرقة والزنا ، والبخل ، والسحر ، وعبادة الاوثان ، وان يأتي على ذي روح ما يكره ان يؤتى اليه بمثله .

واعتقاده في الشرائع والانبياء : ان اول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم ابو البشر . ثم بعث شيتا بعده ثم نوحا بعده ثم ابراهيم بعده ـ عليهم السلام ـ ثم بعث بالبددة(*) الى ارض الهند وزرادشت الى ارض فارس . والمسيح ـ كلمة الله وروحه ـ الى ارض الروم والغرب . وبولس بعد المسيح اليهم ثم يأتي خاتم النبيين الى ارض العرب)[٩٣] .

تلك هي اهم عقائد ماني واصول ديانته وقد اتهم من اجلها بالزندقة وقتل عام ٢٧٤ م قتله الملك بهرام بن هرمز بن سابور .. ولكن المانوية انتشرت في منطقة البحر الابيض المتوسط جميعها[٩٤] على الرغم مما لقي معتنقوها من مذلة واضطهاد وكان لهم وجود حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي[٩٥] .

بين زرادشت وماني :

قال كل من زرادشت وماني بوجود قوتين في الكون : قوة الخير (اهورا مزدا) وقوة الشر (أهرمن) .. الا ان زرادشت لم يجعل روح الشر (أهرمن) ندا وشريكا لله .... فالله ـ عند زرادشت ـ واحد ، حكيم خالق ، مبدع .. هو الذي مزج النور والظلام واوجد العالم منهما .. وهما في صراع ولكن قوة الخير ستنتصر .. وقوة الشر ستندحر ...

(*) اختلف في معنى البددة وهي جمع بد واصل معنى بد هل هو صورة الباري أو هو صورة رسوله أو صورة بوذا .

(٩٣) الملل والنحل جـ٢ ص ٤٩ ـ ٥٣ وانظر عبدالقاهر البغدادي / الفرق بين الفرق ص ٢٧١ .

(٩٤) انظر : ويد جيري / المذاهب الكبرى في التاريخ ص ١١٥ .

(٩٥) انظر : المنوفي / الدين المقارن ص ١١٣ .

ويعيش الناس في سلام ورفاه في ظل (مزدا) الواحد الحكيم الرحيم .. القاضي ، العادل .

ولهذا كان زرادشت يدعو الناس الى سبيل الحياة الطيبة ويستحثهم على عمل الخير كالحرث والزرع واصلاح الارض وتربية الماشية .. وغير ذلك ويرغبهم في الزواج والتناسل حتى تستمرالحياة ويدوم الكفاح وينتصر مزدا على اهرمن .

واما ماني فقد قال بقدم وألية القوتين او الاصلين اللذين نشأ منهما العالم .... وبذلك قال بالثنوية .. وجعل لله ندا وشريكا .. وانهما في صراع ابدى لا خلاص منه الا بفناء العالم .

ولهذا كان ماني زاهدا في الوجود يود الفرار منه .. ويتعجل فناء العالم ينفر الناس من العمل والانتاج .. ويرغبهم في الزهد والتقشف .. ويحثهم على التبتل (ترك الزواج) حتى لا يجنوا على ذراريهم .. وحتى يتعجل انقراض النوع البشري .

وبالجملة فقد كان زرادشت متفائلا جدا يبسم للحياة ويترقب الخلاص بانتصار الخير على الشر . بينما كان ماني متشائما يائسا يرى انه لا خلاص الا بالموت والفناء ..

٢ ـ المزدكية : ـ

من مذاهب الثنوية او الثنائية التي شاعت في بلاد فارس (المزدكية) نسبة الى مزدك الفيلسوف الفارسي النيسابوري الذي ظهر في ايام حكم قباذ والد انو شروان حوالي عام ٤٨٧ م . وقتله انو شروان لزندقته وفسقه عام ٥٢٨ م .

جاء مزدك بمذهب جديدغايته اصلاح التنظيماتالسياسية والاجتماعية للفرس في زمانه .. فكان ينهي الناس عن البغض والحسد والقتال .. ولكنه تطرف عندما رأى ان سبب ذلك هو النساء والاموال وان العلاج هو : ان يبيحهما للناس جميعا .. فأحل النساء واباح الاموال وجعلهما شركة شائعة بين الناس جميعا .. فكما يشترك الناس في الماء والنار والكلا والهواء يشتركون كذلك في النساء والاموال .

الا ان مزدك غلف فلسفته تلك بالدين . وقال كماني بنشوء العالم عن اصلين ازليين مختلفين : النور والظلام .. وكان يقول بان النور يفعل عن قصد واختيار ، والظلام يفعل عن خبط واتفاق (مصادفة) .

انتشر مذهب مزدك واعتنقه كثير من الفقراء والمعدمين وعشاق اللذة الجنسية ولم يكتفوا بتطبيق مذهبهم على انفسهم .. بل اخذوا يتعرضون لاموال غيرهم ويتحرشون بنسائهم وبناتهم .. حتى ان مزدك نفسه طلب من (قباذ) ان يبعث بامرأته ليتمتع بها المزادكة مما دفع انو شروان ان يطلب من والده ان يخلي بينه وبين مزدك واتباعه .. فناظره مناظرة شكلية تهدف الى التغلب عليه فكريا وبيان فساد مذهبه .. فلما أفحمه قتله واتباعه[٩٦]

ومن استطاع الفرار من اتباعه فقد اعتصم في جبال اذربيجان وارمينية وغيرها ... واليك ما قاله الشهرستاني في المزدكية : (حكى الوراق ان قول المزدكية كقول كثير من المانويه في الكونين والاصلين . الا ان مزدك كان يقول: ان النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمةتفعل على الخبط والاتفاق. والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى وان المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار وكذلك الخلاص انما يقع بالاتفاق دون الاختيار وكان مزدك ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال ، احل النساء واباح الاموال . وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ وحكي عنه انه امر بقتل الانفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة[٩٧] .

٣ ـ الديصانية :

ظهر في بلاد فارس مذاهب كثيرة قامت على الثنائية ايضا كالمانوية والمزدكية منها (الديصانية) نسبة الى ابن ديصان الفيلسوف الفارسي وقد اثبتوا اصلين : نورا وظلاما وقالوا : ان النور يفعل قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا .

---

(٩٦) انظر : هويدي : محاضرات في الفلسفة الاسلامية ص ٥١ والنشار / نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ١ ص ١٨٥ والخضر حسين/محمد رسول الله ص ٢٦ .

(٩٧) الشهرستاني / الملل والنحل جـ ٢ ص ٥٤ وانظر البغدادي / الفرق بين الفرق ص ٢٦٦ .

والفرق بين المانوية والديصانية هو : ان المانوية يقولون : ان النور والظلمة حيان ، قادران ، حساسان . واما الديصانية فيقولون : ان النور حي قادر حساس . والظلام ميت عاجز ، جماد[٩٨] .

٤ ـ المرقيونية : ـ

ومن المذاهب الثنوية (المرقيونية) اصحاب (مرقيون) وقد اثبتوا اصلين قديمين متضادين : احدهما النور والآخر الظلام . واثبتوا اصلا ثالثا وهو المعدل الجامع . وهو سبب المزاج فأن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان الا بجامع . وقالوا : ان الجامع دون النور في الرتبة وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم[٩٩] .

خاتمــة : ـ

كانت تلك اهم المذاهب التي تندرج تحت الديانات الفارسية وهناك غيرها مما يندرج تحت مذهب الثنوية او الاثنينية . والحق ان بلاد فارس هي بلاد فلسفة الثنوية .

وقد اصاب الشهرستاني حين قال : ان هذه الثنوية هي الزم سمات المذاهب المجوسية لانها تترأى في كل مذهب بلا استثناء[١٠٠] .

واكثر المذاهب المجوسية اعتدالا مذهب زرادشت الذي قال بوجود اله واحد حكيم خالق مبدع لا شريك له ولا ند له ولا مثيل له وهو فوق الخير والشر ولا ينسب اليه الا الخير والصلاح وما الشر والفساد الا اثر لضرورة امتزاج النور بالظلمة . وما النور والظلمة الا مبدآن حادثان وضدان مخلوقان .

فالنور صفة للاله الواحد الحكيم . والظلام صفة للمادة الفانية وبامتزاج النور والظلمة خلقت موجودات هذا العالم وحصلت من تراكيبه المختلفة .. وحدثت الصور والالوان والانواع من هذا التركيب .

---

(٩٨) انظر : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٥ وهويدي / محاضرات في الفلسفة الاسلامية ص ٥١ والنشار / نشاة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ١٧٣ ـ ١٨٠ .

(٩٩) انظر : المصادر السابقة والباقلاني / التمهيد ص ٦٤ .

(١٠٠) انظر : الملل والنحل جـ ٢ ص ٤٩ ودى بور / تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٥١ .

المبحث الخامس

الديانة الصابئية(*)

أ ـ الصابئة في اللغة :

توجد عدة آراء حول الفعل الذي اشتقت منه كلمة الصابئة او الصابئين ، نستعرضها بايجاز ثم نشير الى ما يترجح منها •

١ ـ يرى كثير من الباحثين ان الصابئة او الصابئين (جمع صابئي) مأخوذة من كلمة « صبأ » العربية بمعنى خرج من دين الى دين •

قال ابن منظور :(١٠١) صبأ يصبأ •• خرج من دين الى دين آخر كما تصبأ النجوم أى تخرج من مطالعها •

قال ابو اسحاق الزجاج في قوله تعالى : والصابئين(١٠٢) • معناه : الخارجين من دين الى دين •

يقال : صبأ فلان يصبأ اذا خرج من دينه •• وفي حديث بني جذيمة كانوا يقولون لما اسلموا : صبأنا •• صبأنا •

وكانت العرب تسمي (النبي ـ ص ـ) الصابيء لانه خرج من دين قريش الى الاسلام ويسمون من يدخل في دين الاسلام مصبّوا(١٠٣) • ويسمون المسلمين الصباة)(١٠٤) •

وقال الفيومي :(١٠٥) وصبأ من دين الى دين يصبأ خرج فهو صابيء

(*) سنفصل القول في هذا الدين اكثر من الاديان السابقة بالنظر لمعايشة اهله لنا في العراق وجهل اكثر المواطنين بحقيقة دينهم .

(١٠١) لسان العرب مادة (صبا) .

(١٠٢) البقرة / ٦٢ والحج / ١٧ .

(١٠٣) بابدال الهمزة واوا لان العرب كانوا لايلفظون الهمزة .

(١٠٤) بغير همزة كانه جمع الصابي كقاض وقضاة وغاز وغزاة .

(١٠٥) المصباح المنير مادة (صبا) .

٢ ــ ويرى العالم اللغوي « جنيوس » ان كلمة صابئي مشتقة من « صبأوث » العبرية بمعنى جند السماء دلالة على انهم يعبدون الكواكب(١٠٦) .

٣ ــ ويرى آخرون ان اسم الصابئة مشتق من كلمة (ص ب ع) العبرية ، بمعنى غطس ثم اسقطت العين اشارة الى شعيرتهم الرئيسة وهي التعميد او الغطس في الماء الجاري(١٠٧) .

٤ ــ والرأى الذي ترجح لدى كثير من الباحثين امال : نولدكه ، والاب الكرملي ، والاستاذ اوليرى ، والليدى دراور والاستاذ العقاد ان كلمة (صابئي) مأخوذة من الفعل « صبا » الارامي ومعناه يرتمس ، يغتسل ، يتعمد(١٠٨) ..

ولعل الرأى الاخير ارجح الآراء واقربها من الصواب وذلك لما يأتي :

١ ــ لمطابقة معنى الفعل « صبا » المندائي الآرامي(١٠٩) لما عليه الصابئة حتى اليوم من الارتماس والاغتسال في الماء الجارى .

٢ ــ لورود هذه الكلمة بهذا المعنى في كثير من طقوسهم الدينية فهم يقولون في الاذان « كل انش صابي ابمصبتا شلمى » اى كل من يتعمد بالمعمودية يسلم كما يقولون في التعميد « صبينا ابمصبتا اد

---

(١٠٦) من مقالة للقس صموئيل زويمر في مجلة المقتطف ج ٧٣ ص ٨٧ لسنة ١٨٩٩ نقلا عن كتاب « الصابئون » لعبدالرزاق الحسني ص ٢١ سن

(١٠٧) انظر دائرة المعارف الاسلامية ج ١٤ ص ٨٨ مادة (الصابئي) .

(١٠٨) انظر الصابئون ص ٢١ للحسني والصابئة المندائيون ج ١ ص ٨ ، الليدى دراور ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي وابو الانبياء للعقاد ص ١١٢ .

(١٠٩) يتكلم الصابئة الحاليون اللغة المندائية وهي لغة سامية قريبة من السريانية ولكن حروفها غير الحروف السريانية نحوها وصرفها مستقلان وكانت مشهورة في قديم الزمان ولا يوجد بين افراد الصابئة اليوم من يتقن كتابة هذه اللغة الا نفر قليل لان رجال دينهم يحرصون على عدم ايقاف ابناء الطائفة على اسرار الديانة حتى لا يفلت الامر من ايديهم اما لغة المعاملات والمخاطبة مع الناس فهي اللغة العربية .

بهرام ربه » اي تعمدنا بعماد ابراهيم الكبير . وترد كلمة المصبتا في غير ما ذكرنا كثيرا في طقوسهم[110] .

٣ ـ لاطلاق بعض المؤرخين والباحثين ـ قديما وحديثا ـ اسم المغتسلة عليهم وهو اسم يترجم عن حالهم وفي الوقت نفسه يطابق معنى الفعل « صبا » الآرامي ويقترب من معنى الفعل « صبع » العبرى ويبعد عن معنى الفعل « صبأ » العربي و « صبأوث » العبرى .

قال ابن النديم : وكان بنواحي دست ميسان[111] قوم يعرفون بالمغتسلة وبتلك النواحي والبطائح بقاياهم الى وقتنا هذا[112] .

وقال الاستاذ العقاد : سموا بالصابئة لكثرة الاغتسال في شعائرهم وملازمتهم شواطىء الانهار من اجل ذلك ، ولكنهم هم يطلقون على ملتهم « منداني »[113]

واشتقاق اسمهم من السبح ارجح من نسبة الاسم الى « الصبأوث » العبرية بمعنى الجنود ـ جنود السماء ـ اى الكواكب التي اشتهروا بعبادتها[114] .

وقال احد ابناء الصابئة المعاصرين[115] ان كلمة صابئي تعني « المتعمد » لان التعميد شعار كل صابئي ، وبالتعميد يرتسم الصابئي بصابئيته . وكلمة صابئي مشتقة من فعل « صبا » المندائي الآرامي ويعني الفعل « تعمد » او « اصطبغ »

---

(١١٠) انظر الصابئة المندائيون ص ٨ .

(١١١) ميسان او العمارة احدى محافظات العراق الجنوبية ولا تزال تلك المحافظة موطن سكنى الصابئة الرئيسة حتى يومنا هذا .

(١١٢) الفهرست ص ٤٧٧ .

(١١٣) تعني كلمة مندايي باللغة الارامية « العارف » من الفعل « مدعا » اي عرف او علم (تاريخ الادب السرياني) للدكتور مراد كامل نقلا عن الصابئة المندائيون ص ٨ .

(١١٤) ابو الانبياء ص ١١٢ .

(١١٥) غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص ١٤ .

والذي اود التنبيه عليه اخيرا ان تسمية هذه الطائفة بالصابئة انما جائتهم من الاقوام المجاورة لهم اشارة الى اهم شعائرهم الدينية (الاغتسال او التعميد بالماء) وانهم ـ كما اشار الى ذلك الاستاذ العقاد في النص الذي نقلناه عنه ـ يسمون انفسهم « مندايي »(١١٦)

ولكن لما نزل القرآن الكريم وسماهم « الصابئين »(١١٧) وعدهم ضمن الديانات الكتابية • وميزهم في المعاملة عن الوثنيين واعترف بهم المسلمون كأصحاب دين •• عندئذ حرصت هذه الطائفة على تسميتهم بالصابئين او الصابئة المندائيين ، بل لقد سعت بعض الطوائف الوثنية ـ كما سيأتي في قصة المأمون مع اهل حران ـ لاطلاق اسم الصابئة على انفسهم حتى ينعموا بالسماحة التي اظهرها القرآن الكريم لأهل الكتاب، وحتى يتمتعوا بالحقوق التي منحها الاسلام للصابئة كأهل دين(١١٨) •

وظل الحال هكذا الى ان وقعت العراق تحت الاحتلال فالانتداب البريطاني اثر هزيمة تركيا في الحرب العالمية الاولى وسقوط الخلافة العثمانية فكان يحلو لبعض الصابئة ان يسمي نفسه « مسيحي من اتباع

---

(١١٦) وقالت الليدي دراور في كتابها الصابئة المندائيون جـ ١ ص ٣٩ ، ان التسمية الاكثر رسمية لجنسهم ودينهم والتي يستعملونها فيما بينهم هي « مندايي » او المندائيون وقال مترجما الكتاب في مقدمته وهما من ابناء الصابئة : اسم الصابئين كاسم لهذه الطائفة غير معروف عندهم دينيا فهم يعرفون انفسهم باسم « مندايي » .

(١١٧) ورد ذكر الصابئين في ثلاث آيات من القرآن الكريم وهي :

١ ـ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من [illegible] منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . البقرة ٦٢ .

٢ ـ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . المائدة ٦٩ .

٣ ـ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد . الحج ١٧ .

(١١٨) انظر مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص ٨ وهي لاثنين من ابناء الصابئة .

يوحنا المعمدان » ولكن سرعان ما اختفى هـذا الاسم بتأسيس الحكـم الوطني في العراق[119] .

٢ ـ حقيقة دين الصابئة :

كما اختلف العلماء والباحثون في الفعـل الذي اشتقت منه لفظـة الصابئة او الصابئين وفي معناه ، فقد اختلفوا اختلافا اكثر في حقيقـة دين الصابئة[120] .

وبالنظر الى ان القرآن الكريم قد اشار الى هذا الدين فقد رأيت ان استعرض آراء المفسرين في دين الصابئين ثم اردفهـا ببيـان آراء العلمـاء والمؤرخين ثم اشير الى ما ترجح منها .

اختلفت آراء المفسرين في تفسير كلمة « الصابئين » التي وردت فـي القرآن الكريم اختلافا كبيرا . وقد اورد ابن كثير في[121] تفسيره جملة آراء من سبقه ومن عاصره من المفسـرين وقـد جاءت ـ باعتباره من المفسـرين المتأخرين ـ[122] كثيرة ومختلفة نوجزها فيما يلي :

قال مجاهد : الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين .

---

(١١٩) انظر الصابئة المندائيون ص ٤١ .

(١٢٠) ترجع كثرة الاختلافات حول حقيقة دين الصابئة الى عدة اسـباب واهمهـا :

١ ـ ان رجال الدين الصابئي لا يقرون علنية الدين ذلك يتعـارض وباطنيته وحتى يبقى تفسيره وقفا عليهم .

٢ ـ قلة من يعرف لغة كتبهم الدينية لانها مكتوبة باللغة المندائية وهي احدى فروع اللغة الارامية قريبة من السريانية .

٣ ـ انطواء الصابئة على انفسهم وعدم مخالطتهم لغيرهم .

٤ ـ كون ديانتهم ليست ديانة تبشيرية .

(١٢١) تفسير القرآن العظيم انظر جـ ١ ص ١٠٤ .

(١٢٢) ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشـقي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ .

وقال ابو العالية ، والربيع بن انس ، والسدى ، وجابر بن زيـد ، والضحاك ، واسحاق بن راهوية : الصابئون فرقة من اهل الكتاب يقرؤن الزبور[١٢٣] ولهذا قال ابو حنيفة واسحاق لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم . وروى عن الحسن البصري انه قال فيهم : انهم كالمجوس وفي رواية اخـرى عنه انه قال : هم قوم يعبدون الملائكة .

وقال ابو جعفر الرازي : بلغني ان الصابئين قوم يعبدون الملائكـة ويقرؤن الزبور ويصلون للقبلة .

واخبر ابن ابي الزناد ان اباه قال فيهم : هم قوم مما يلي العراق وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون من كل سنة ثلاثين يوما ويصـلون الى اليمن كل يوم خمس صلوات .

وسئل وهب بن منبهعن الصابئين فقال: الذي يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا .

وقال عبدالرحمن بن زيد : الصابئون اهل دين من الاديـان كانـوا بجزيرة الموصل يقولون : لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي الا قول لا اله الا الله .

قال : ولم يؤمنوا برسول فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي (ص) واصحابه : هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم يعني في قوله : لا الـه الا الله .

وقال الخليل : هم قوم يشبه دينهم دين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون انهم على دين نوح ـ ع ـ

وحكى القرطبي : انهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجـوس ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نسـاؤهم .

---

(١٢٣) المزامير : عدة ابواب من التوراة ينسب ٧٣ منها الىداود ـ ع ـ ولذلك عرفت بمزامير داود وقد وردت في القرآن الكريم بلفظ الزبور قـــال تعالى : « وآتينا داود زبورا » النساء / ١٦٣ .

وقال ايضا : والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلماء : انهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم وانها فاعلة ٠

واختار الرازي ان الصابئين قوم يعبدون الكـواكب بمعنى ان الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء او بمعنى ان الله فوض تدبير امر هذا العالـم اليها ٠

قال : وهذا القول هو المنسوب الى الكشرانيين الذين جاءهم ابراهيم ـ ع ـ رادا عليهم ومبطلا لقولهم ٠

وبعد ان اورد ابن كثير هذه الآراء وغيرها رجح رأى مجاهد ومتابعيه ورأى وهب بن منبه وهو : انهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وانما هم قوم باقون على فطرتهم ولا ديـن مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ٠

قال : ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابىء أي أنه قد خرج عن سائر اديان أهل الارض اذ ذاك ٠

وقال الطبرسي في تفسيره :(١٢٤)

« والصابئون جمع صابىء وهو من انتقل الى دين آخر وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره سمي في اللغة صابئا ٠

قال ابو زيد : صبأ الرجل في دينه يصبأ صبوءا ، اذا كان صابئا وصبأ ناب الصبي يصبأ صبئا اذا طلع ، وصـبأت عليهم تصـبأ صـبئا اذا طلعت عليهم ٠٠ فكان معنى الصابىء التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره كما ان الصابيء على القوم تارك لارضه ومنتقل الى سواها والدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها ٠

قال قتادة : هم قوم معروفون ولهم مذهب ينفردون به ومن دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصانع ، وبالمعاد ، وببعض الانبياء ٠٠

---

(١٢٤) مجمع البيان في تفسير القرآن جـ ١ ص ١٢٦ ٠

ثم اورد آراء كل من مجاهد ، والحسن والخليل وابن زيد ، التي سبق ذكرها من تفسير ابن كثير[125] .

وقد تفرد سيد قطب في تفسيره[126] برأي مخالف لكل الآراء السابقة حيث قال : والصابئون : الارجح انهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الاصنام فبحثوا لانفسهم عن عقيدة يرتضونها فأهتدوا الى التوحيد وقالوا : انهم يتعبدون على الحنيفية الاولى ، ملة ابراهيم واعتزلوا عبادة قومهم دون ان تكون لهم دعوة فيهم . فقال عنهم المشركون : انهم صبأوا ـ اى مالوا عن دين آبائهم ـ كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ومن ثم سموا الصابئة وهذا القول ارجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير .

تلك هي مجمل آراء المفسرين في التعريف بالصابئين وهي كما ترى متضاربة متناقضة لا يستطيع الباحث ان يخرج منها بفكرة واضحة عن حقيقة دين الصابئين الذين عناهم القرآن الكريم ولكن الذي يتأمل النص القرآني نفسه مع غض النظر عن آراء المفسرين يستطيع ان يستلهم منه ان الصابئة او فريقا منهم لم يكونوا مشركين .

تأمل في قوله تعالى : ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ، ان الله على كل شيء شهيد » تجد ان النص قد فرق بينهم وبين المشركين وهذا واضح من عطف الذين اشركوا على ما قبله وفيهم الصابئون والعطف يقتضي المغايرة كما هو معروف في اللغة كما انهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولا مجوسا للسبب نفسه وكذلك ليسوا هم تلك الطائفة من مشركي العرب التي ساورها الشك في عبادة الاصنام فبحثوا لانفسهم عن عقيدة يرتضونها فأهتدوا الى التوحيد لأن اول من سن للعرب عبادة الاصنام هو عمرو بن لحي سنة ٤٠٠ قبل الاسلام ٢٠٠ م[127] .

---

(١٢٥) انظر : المصدر السابق وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠٤ .
(١٢٦) في ظلال القرآن جـ ١ ص٩٤ .
(١٢٧) انظر كتاب الاصنام لابن الكلبي / ص ٦ ، ٨ تحقيق احمد زكي والدين المقارن لابي الفيض المنوفي / ص ١٤٦ .

والصابئية كدين كانت معروفة قبل الميلاد بزمن طويل[١٢٨] . نعم هناك فئة من مشركي العرب زهدوا في عبادة الاصنام فتهود بعض وتنصر بعض آخر وبحث بعض لانفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا الى التوحيد ملة ابراهيم ودعوة اسماعيل كورقة بن نوفل وزهير بن ابي سلمى وعبدالله القضاعي . فالتقوا مع الصابئة الحنفاء[١٢٩] وهذا لا يعني ان كل الفرق الدينية التي حملت اسم الصابئة او الصابئين هم حنفاء .

وتأمل ايضا في قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . تجد ان الله ــ تعالى ــ قد طمأن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من الصابئين . وهذا اشارة واضحة الى ان الصابئة او فريقا منهم ليسوا كفرة وليسوا ملحدين وانما هم مؤمنون بالله واليوم الآخر . فمن هم الصابئة الموحدون الذين عناهم القرآن الكريم ؟ وهل لهم وجود الآن ؟ وما سبب الاختلاف الكبير في اقوال المفسرين ؟ هذا ما سيتضح لنا من ثنايا البحث .

آراء فقهاء الاسلام في الصابئين : ــ

كما اختلف المفسرون في تفسير كلمة (الصابئين) وفي حقيقة دينهم كذلك اختلف الفقهاء في المركز التشريعي للصابئة نتيجة اختلافهم في حقيقة دينهم بعد ان فرق الاسلام في المعاملة بين الطوائف الدينية غير الاسلامية التي لها دين سماوي تدين به وكتاب منزل تعمل به كاليهود والنصارى، وبين الطوائف التي ليس لها دين ولا كتاب كعبدة الاوثان ، والكواكب والدهرية[١٣٠] .

---

(١٢٨) سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن اصل الصابئة .

(١٢٩) الحنفاء جمع حنيف وهو المؤمن بآله واحد والحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام . « وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ، قل : بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .

(١٣٠) الدهرية او الدهريون هم الذين ينكرون وجود الله وينكرون الخلق ويردون كل ما يحدث في العالم الى فعل القوانين الطبيعية وقد عبر القرآن الكريم عن فلسفتهم بقوله ــ تعالى ــ وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يلكنا الا الدهر الجاثية / ٢٤ .

فروى عن ابي حنيفه انه[131] عدهم من اهل الكتاب ، وقال ابو يوسف ومحمد :[132] ليسوا من اهل الكتاب .

ووضح ابو الحسن الكرخي[133] سبب اختلاف ابي حنيفة وصاحبيه بقوله : الصابئون الذين هم عند ابي حنيفة من اهل الكتاب انما هم قوم ينتحلون دين المسيح ويقرأون الانجيل واما الصابئون الذين يعبدون الكواكب فأنهم ليسوا بأهل كتاب عندهم جميعا .

وروى عن احمد بن حنبل[134] انهم جنس من النصارى كما روى عنه انهم من اليهود وقال : ابن قدامة المقدسي :[135] ينظر فيهم فان كانوا يوافقون احد اهل الكتابين في نبيهم وكتابهم فهم منهم والا فليسوا من اهل الكتاب .

وروى عن الحسن البصري [136] انهم بمنزلة المجوس كما روى عنه انهم قوم يعبدون الملائكة وروى عن الاوزاعي[137] ومالك[138] انهم قوم

---

(١٣١) هو النعمان بن ثابت الكوفي صاحب المذهب الحنفي (٨٠ ـ ١٥٠هـ).

(١٣٢) ابو يوسف ومحمد صاحبا ابي حنيفة وابو يوسف هو يعقوب بن ابراهيم الانصاري (١١٣ ـ ١٨٢هـ) كان من اصحاب الحديث ثم غلب عليه الراي اخذ الفقه عن ابي ليلى ثم عن ابي حنيفة ، اما محمد فهو محمد بن الحسن الشيباني (١٢٩ ـ ١٨٧هـ) .

(١٣٣) ابو الحسن الكرخي هو عبيدالله بن الحسين بن دلال بن دلهم احد فقهاء الاحناف .

(١٣٤) احمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) صاحب المذهب الحنبلي ومن ائمة الحديث .

(١٣٥) هو عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (٥٤١ ـ ٦٢٠هـ) .

(١٣٦) هو الحسن بن يسار من فقهاء التابعين وشيخ اهل البصرة توفي سنة ١١٠هـ .

(١٣٧) الاوزاعي هو ابو عمرو عبدالرحمن بن عمرو الشامي (٨٨ ـ ١٥٧هـ) كان امام اهل الشام في عصره .

(١٣٨) هو مالك بن انس صاحب المذهب المالكي (٩٣ ـ ١٧٩هـ) .

من المشركين بين اليهود والنصارى وليس لهم كتاب[١٣٩] . وروى عن جعفر الصادق[١٤٠] انهم ليسوا من اهل الكتاب[١٤١] .

آراء علماء الملل والنحل والمؤرخين في الصابئين

ان الاختلاف الكبير الذي وجدناه عند المفسرين والفقهاء في حقيقة دين الصابئة او الصابئين نجده كذلك عند علماء الملل والنحل والمؤرخين . فقد بين لنا الامام فخرالدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ : ان « في الصابئية قوم يقولون ان مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة . فهم عبدة الكواكب . ولما بعث الله ابراهيم ـ ع ـ كان الناس على دين الصابئية فأستدل ابراهيم عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله : « لا احب الآفلين »[١٤٢] .

ثم بين لنا الرازي كيف تطورت عقيدة الصابئة من عبادة الكواكب والنجوم مباشرة الى عبادة الهياكل التي اقاموها وكانوا يختلفون اليها للعبادة فترة غروب تلك الكواكب والنجوم فقال : « واعلم ان عبادة الاصنام احدث من هذا الدين لانهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها ولما ارادوا ان يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من ان يصوروا الكواكب صورا ومثلا : فصنعوا اصناما واشتغلوا بعبادتها فظهرت من هنا عبادة الكواكب[١٤٣] .

في هذا النص نجد الرازي قد جعل عبدة الكواكب من الصابئة هم عبدة الاصنام في حين نجد الشيخ شمس‌الدين الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٧ هـ قد جعلهم قسمين حيث قال : ان الصابئة قسمان : احدهما القائلون

---

(١٣٩) انظر احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٣٢٨ وج ٣ ص ٩١ واحكام الذميين والمستأمنين ص ١٣ للدكتور عبدالكريم زيدان .
(١٤٠) جعفر الصادق بن محمد الباقر صاحب المذهب الجعفري (٨٣ ـ ١٤٨هـ) من ائمة آل بيت الرسول ـ ص ـ .
(١٤١) انظر مجمع البيان للطبرسي جـ ١ ص ١٢٦ .
(١٤٢) الانعام / ٧٦ .
(١٤٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠ مراجعة وتحرير علي سامي النشار .

بالهياكل ، وهم عبدة الكواكب والآخرون ــ القائلون بالاشخاص وهم عبدة الاصنام .

اما القائلون بالهياكل فانهم يزعمون أنهم اخذوا ذلك عن عاذيمون وهو شيت النبي ــ ع ــ وعاذيمون اخذه عن اخنوخ(*) وهو هرمس الهرامسة (ادريس النبي ــ ع ــ) .

واما الآخرون فيزعمون ان الاصنام صور روحانية الكواكب .

وفي الصابئية من اعتقد وجوب (عبادة) الكواكب لدورانها وهم القائلون بالاكوار والادوار . وهؤلاء زعموا ان المعبود واحد وكثير . اما الواحد والوحدانية ففي الذات والازل ، وأما الكثرة فلأنه يكثر بالاشخاص في رأى العين[١٤٤] .

وقد بين لنا الشهرستاني (٤٧٩ ــ ٥٤٨ هـ) كيف نشأت الصابئية والفرق بينها وبين الحنيفية حيث قال :

« وكانت الفرق في زمان ابراهيم الخليل ــ ع ــ راجعة الى صنفين: احدهما الصابئة والثاني : الحنفاء .

فالصابئة كانت تقول : أنا نحتاج في معرفة الله ــ تعالى ــ ومعرفة طاعته واوامره واحكامه الى متوسط لكن ذلك المتوسط يجب ان يكون روحانيا لا جسمانيا وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الارباب . والجسماني بشر مثلنا : يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، يماثلنا في المادة والصورة . قالوا : « ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون »[١٤٥] .

(*) لعل العكس هو الصحيح فان شيت سابق في الوجود من ادريس فيكون الصحيح انهم اخذوا ذلك عن اخنوخ (ادريس) وهو هرمس الهرامسة واخنوخ اخذه عن عاذ يمون (شيت) فاسم ادريس هو : ادريس بن يارد بن مهائيل بن قينان بن انوش بن شيت بن آدم .

(١٤٤) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٤٠ نقلا عن كتاب الصابئون ص ١٢ للحسني .

(١٤٥) المؤمنون / ٣٤ .

والحنفاء كانت تقول : انا نحتاج في المعرفة والطاعة الى متوسط من جنس البشر تكون درجته في الطهارة والعصمة والتأييد والحكمة فوق الروحانيات ، يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية فيتلقى الوحي بطرف الروحانية ويلقى الى نوع الانسان بطرف البشرية وذلك قوله تعالى : « قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد »(١٤٦). وقال عز ذكره : قل : « سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا »(١٤٧) . اذن فقد كانت نشأة الصابئية في رأي الشهرستاني نشأة روحية خالصة ولم يكن هناك من فرق بينها وبين دين الحنفاء سوى ان الصابئة ينكرون نبوة احد من البشر ، ويعتقدون بمتوسط روحاني للهداية والتعليم لأن الله لا يخاطب احدا من البشر في اعتقادهم فخلق الروحانيات اي الملائكة ، ثم تلبست هذه الروحانيات بالكواكب النورانية(١٤٨) . واما الاحناف فيدركون معرفة الله ومعرفة طاعته عن طريق من ابتعثهم الله من عباده للاصلاح والهداية والبشارة والنذارة : رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل(١٤٩) . ولكن الشهرستاني عاد ليبين ان الصابئة لم تستمر على هذا الاتجاه الروحي الذي كانت عليه في اول عهدها بل انحدر فريق منهم الى عبادة الكواكب وفريق الى عبادة الاصنام . حيث قال : « ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البحتة والتقرب اليها باعيانها والتلقي عنها بذواتها فزعت جماعة الى هياكلها، وهي السيارات السبع وبعض الثوابت .

فصابئة النبط والفرس والروم : مفزعها السيارات . وصابئة الهند: مفزعها الثوابت ... وربما نزلوا عن الهياكل الى الاشخاص التي لاتسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئا . والفرقة الاولى : هم عبدة الكواكب والثانية : هم عبدة الاصنام وكان الخليل مكلفا بكسر المذهبين على الفرقتين وتقرير الحنيفية السمحة السهلة(١٥٠) .

---

(١٤٦) الكهف / ١١٠ .
(١٤٧) الاسراء / ٩٣ .
(١٤٨) انظر ابو الانبياء ص ١١٠ .
(١٤٩) النساء / ١٦٥ .
(١٥٠) الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٥ ، ٣٦ .

اما العلامة ابن خلدون (المتوفى ٨٦٨ هـ) فقد عرف الصابئة وبين معتقدهم وصلتهم بالاحناف ثم ذكر اصنافهم وطوائفهم واشار الى معتقد كل طائفة حيث قال : ان الصابئة هم القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضية وانكار النبوات وهم اصناف ، وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة ، وتولدت عن مذاهبهم الحكمة الملطية ومنهم اصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب واصنامهم التي عملت على تمثالها •

اما الحنفاء فهم القائلون بان الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ومنها ما وجودها بالفعل • فما هو بالقوة يحتاج الى ما يوجده بالفعل ويقرون بنبوة ابراهيم ، وانه منهم وهم طوائف منها : الكاظمية اصحاب كاظم بن تارح ، ومن قوله : ان الحق بين شريعة ادريس ، وشريعة نوح ، وشريعة ابراهيم •

ومنها البيدانية اصحاب بيدان الاصغر ، ومن قوله : اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وان النبوة من الاسرار الالهية •

ومنها : القينانية اصحاب قينان بن ارفكشاد ، ويقر بنبوة نوح •

ومنها : اصحاب الهياكل ، ويرون الشمس اله كل اله •

والحرانية : ومن قولهم المعبود واحد بالذات ، وكثير بالاشخاص في رأى العيان وهي المدبرات السبع من الكواكب والاشخاص الارضية الخيرة العالمة الفاضلة(١٥١) •

يتضح مما ذكره العلماء والمؤرخون ان اسم الصابئة او الصابئين ليس خاصا بطائفة معينة ، وأنما هو اسم عام يندرج تحته عدة فرق لكل فرقة معتقدها الخاص بها • وان بعضهم ذكر عقائد الصابئة باجمال ؛ وبعضهم قد تطرق الى ذكر اسماء تلك الفرق وبين ما لكل فرقة من معتقد، وما تمتاز به من عبادة •

---

(١٥١) نقلا عن كتاب الصابئون ص ١٣ للحسني .

وحاصل ما ذكروه من عقائد فرق الصابئة : انهم جميعا يؤمنون بوجود اله خالق ، وانهم متفقون على وجوب ثلاث صلوات ، والاغتسال من الجنابة ، ومس الميت ، وعلى تحريم لحم الخنزير والكلب ، والجزور والحمام وما له مخلب من الطير ، والسكر والاختتان . وأمروا بالتزويج بولي وشهود ونهوا عن الجمع بين امرأتين وعن[١٥٢] الطلاق الا بحكم حاكم شرعي[١٥٣] . ولكنهم افترقوا فيما عدا ذلك .

ففريق منهم قد غالى في الاعتماد على الروحانيات « الملائكة » فاعتبروهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الذات العلية ، وسمى هؤلاء « اصحاب الروحانيات » وعرفوا بالمندائية .

وفريق آخر قد غالوا في الاعتماد على هياكل الروحانيات ، فاعتبروها آلهة وارباباً ، وجعلوا الله ــ تعالى ــ رب الارباب ، واعتقدوا ان التقرب الى الهياكل تقرب الى الروحانيات وان التقرب الى الروحانيات تقرب الى رب الارباب وسمي هؤلاء « اصحاب الهياكل » .

وفريق ثالث قد انحدروا الى عبادة الاصنام التي صوروها على صور الهياكل واتخذوها وسيلة الى الهياكل التي هي وسيلة الى الروحانيات التي هي بدورها وسيلة الى الله ــ تعالى ــ وسمي هؤلاء «اصحاب الاشخاص»

وفريق رابع قد عبدوا الكواكب باعتبارها هي المدبرة للعالم السفلي واعتقدوا ان الله واحد في ذاته ، متكثر بالاشخاص في رأي العين لانه

---

(١٥٢) يبدو ان النهي عن الجمع بين امرأتين فاكثر في آن واحد عند الصابئة ليس للتحريم وانما للكراهة فقط لان كثيرا من المعاصرين ومن رجال الدين يجمعون اكثر من امراة بل لقد لاحظت الليدي دراور التي قامت بدراسة ميدانية لصابئة العراق وايران المعاصرين ان اكثر علمائهم كانوا متزوجين باثنتين فاكثر في الوقت نفسه . انظر الصابئة المندائيون جـ١ ص ١١٧ .

(١٥٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ١٦٥ والصابئون للحسني ص ٢٧ وعلم الاجتماع الديني للخشاب ص ٢٩٨ .

يظهر في الكواكب السبعة[١٥٤] . ويتشخص باشخاصها وسمي هؤلاء « اصحاب الحلول » وعرفوا بالحرنانية[١٥٥] .

فرق الصابئة : ـ

اشرت الى ان اشهر فرق الصابئة اربعة :

١ ـ اصحاب الروحانيات

٢ ـ اصحاب الهياكل

٣ ـ اصحاب الاشخاص

٤ ـ اصحاب الحلول

وسأقصر البحث بعد ذلك على الفرقة الاولى لانها اهم فرق الصابئة واقربها الى الصابئة الاقدمين ، ولعلها هي الأصل الذي تفرع عنه باقي فرقهم ، ولان من المرجح انها هي الفرقة المعاصرة « المندائيون » التي يعيش اصحابها اليوم في العراق وايران .

ويرى بعض الباحثين انها الفرقة المشار اليها في القرآن[١٥٦] .

واما الفرق الاخرى فلم يعد لها وجود ، ولكن قبل البحث في فرقة (المندائية) لابد من الحديث عن فرقة « الحرانية » لانها آخر الفرق الاخرى انقراضا[١٥٧] . وربما كان بينها وبين المندائية نوع تأثر وتأثير ، ثم لما احتلته هذه الفرقة من اهمية بحكم مبادئها الدينية ، ولما خرج من بين

---

(١٥٤) وهي الطوالع : الشمس والقمر والمريخ والمشتري وزحل وعطارد والزهرة .

(١٥٥) نسبة الى مدينة حران على غير قياس ، والقياس « الحرانية »وسيأتي التعريف بحران واهلها .

(١٥٦) انظر نعيم بدوي وغضبان رومي في مقدمتهما لكتاب الصابئة المندائيون ص ١٢ . ودائرة المعارف الاسلامية جـ ١٤ ص ١٨٩ .

(١٥٧) خربت مدينة حران عام ١٠٨٢م حيث لم يبق منها غير الهيكل العظيم للاله القمر وزارها ابن جبير عام ١١٨٣ م ووجد ابو الفداء عام ١٣٣٢م في محلها قرية مهدومة . انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٧ ص ٣٥٥ جـ ١٤ ص ٩١ .

اتباعها من علماء[١٥٨] . لهذا لابد من التعريف بهذه الفرقة حتى نستطيع الموازنة بين عقائدهم وعقائد المندائية ، وتتبين ما يخص كل فريق من معتقد لان كثيرا من الباحثين خلطوا بين عقائد الفرقتين ونسبوا لكل منهما ما تعتقده الاخرى ، وحتى تتبين مدى صدق « المندائية » في نفي عبادة الكواكب عن انفسهم ونسبتها الى « الحرانيين »[١٥٩]

الصابئة الحرانية : (١٦٠)

اشتهرت مدينة حران في تاريخها كله بانها مقر عبادة « سين » الالـه القمر الذي زين معبده اكثر من ملك من ملوك الآشوريين ، ولم تتغير الاحوال في المدينة على اثر انتهاء سلطان الكلدانيين وقيام دولة الفرس وقد

---

(١٥٨) من هؤلاء العلماء : هلال بن ابراهيم بن زهرون وكان طبيبا ماهرا في خدمة الامير توزون توفي عام ٣٢٤هـ وثابت بن ابراهيم بن زهرون (٢٨٣ ــ ٣٦٥هـ) وكان طبيبا ايضا وابو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون (٣١٣ ــ ٣٨٤هـ) كان ماهرا كشان افراد اسرته في الطب والفلك والرياضيات . والمحسن بن ابراهيم « ابو علي » وهو الذي نقل الينا كتب سنان بن ثابت بن قرة . وهلال بن المحسن (٣٥٩ ــ ٤٤٨هـ) وهو حفيد ابراهيم بن هلال وامه اخت الطبيب والمؤرخ ثابت بن سنان بن قرة ، وكان هلال اول من خرج من افراد اسرته عن دينه القديم ودخل في الاسلام ٣٩٩هـ ، وثابت بن قرة بن زهرون (٨٣٦ ــ ٩٠١م) وكان عالما بالرياضة والطبيعة والفلسفة وكان لثابت مقام رفيع في بلاط المعتضد انتفع به الصابئة في حران وغيرها من البلدان انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ١٤ ص ٩١ .

(١٥٩) انظر مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص ١٧ حيث جاء فيها : ان الكثير من الحرانيين الصابئين والصابئين الحقيقيين قد عملوا في مقر الخلافة العباسية كمترجمين واطباء وفلكيين : فليس بغريب والحالة هذه ان يخلط المؤرخون العرب المسلمون حين يتحدثون عن دين الصابئين ، بين صابئة حران الوثنيين ، وبين الصابئة الحقيقيين ذوي الدين التوحيدي.

(١٦٠) حران : مدينة قديمة لا تزال معروفة باسمها القديم وموقعها في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود السورية التركية داخل حدود تركيا على منابع نهر البليخ احد روافد الفرات العليا تقع على بعد ٤٠كم الى الجنوب الشرقي من اورفه ، وزهاء ٨٠كم من مصب البليخ في نهر الفرات كانت مركزا هاما على الطرق التجارية الرئيسة بين العراق وسوريا وفلسطين وقد اشتهرت في كونها مركزا لعبادة الاله

استقر في شمال الجزيرة منذ عهد الاسكندر عدد كبير من المقدونيين فعرفت هذه الناحية باسم « مقدونيا » واطلق على الآلهة التي تعبد في حران اسماء يونانية .. وعامل اباطرة الرومان الاولون اهل حران معاملة سمحة،ولم تبذل الجهود للقضاء على دين اهلها الا بعد ان اصبحت النصرانية دين الدولة ، واعتبر آباء الكنيسة حران مدينة وثنية ، ولكن تلك الجهود لم تحقق اهدافها وبقيت حران على دينها حتى بعد ان دخلت في حكم الدولة الاسلامية ، الا ان اهلها اضطهدوا اضطهاداً شديدا في ايام الرشيد ، وكانت سنة ٨٣٠ م هي السنة التي خير المأمون فيها الحرانيين بين الاسلام او اي دين من الاديان التي ورد ذكرها في القرآن ، وبين القتل عن آخرهم ، فزعموا انهم من الصابئة .

وقد روى ابن النديم المتوفى ٣٨٥ هـ قصة المأمون مع الحرانيين وفيها كثير من الامور التي تكشف عن عاداتهم وتقاليدهم وحقيقة دينهم ، ووضح من خلالها انهم لم يكونوا في بدء امرهم صابئة حيث قال : ان المأمون اجتاز في آخر ايامه بديار مضر يريد بلاد الروم للغزو فتلقاه الناس يدعون له ، وفيهم جماعة من الحرانيين وكان زيهم اذ ذاك لبس الاقبية وشعورهم طويلة بوفرات .. فأنكر المأمون زيهم وقال لهم : من انتم من الذمة ؟

فقالوا : نحن الحرنانية

فقال : أنصارى انتم ؟

القمر « الاله سين » وهي المدينة التي توجه اليها ابراهيم الخليل ـ ع ـ بعد خروجه من اور الكلدانية وذهب منها الى كنعان ، فتحها عياض بن غانم سنة ٦٣٩م في خلافة عمر بن الخطاب وكانت وقتئذ قصبة ديار مضر وكانت المقام المختار لمروان اخر الخلفاء الامويين (٧٤٤ ـ ٧٥٠م) وقد وصف المقدسي حران حوالي القرن العاشر بانها مدينة جميلة تحميها قلعة مبنية من الحجر المنحوت وكانت تعرف بسلطان صلاح الدين عندما زارها ابن جبير عام ١١٨٤م كما كان اهلها مشهورين باكرام الغريب وما ان حل عهد ابي الفداء المتوفي (١٣٣٢م) حتى كانت المدينة قد ذهب ريحها وتشير الى موقعها اليوم قرية مبنية من اكواخ واطلال مباني قديمة كانت مشيدة من البازلت ، انظر كتاب العرب واليهود للدكتور احمد سوسة ص ٤٦٦ ودائرة المعارف الاسلامية ج ٧ ص ٣٥٥ وج ١٤ ص ٩٠ .

قالوا : لا

قال لهم : افلكم كتاب ام نبي ؟

فجمجموا في القول •

فقال لهم : فأنتم اذن الزنادقة عبدة الاوثان واصحاب الرأس في ايام الرشيد والدي ، وانتم حلال دماؤكم ، لاذمة لكم •

فقالوا : نحن نؤدي الجزية •

فقال لهم : انما تؤخذ الجزية ممن خالف الاسلام من اهل الاديان الذين ذكرهم الله ـ عز وجل ـ في كتابه ولهم كتاب ، وصالحهم المسلمون عن ذلك ، فأنتم ليس من هؤلاء ولامن هؤلاء فاختاروا الآن احد امرين :

اما ان تنتحلوا دين الاسلام ، او دينا من الاديان التي ذكرها الله في كتابه والا قتلتكم عن آخركم • فاني قد انظرتكم الى ان ارجع من سفرتي هذه ، فان دخلتم في الاسلام او في دين من هذه الاديان التي ذكرها الله في كتابه ، والا امرت بقتلكم واستيصال شأفتكم • ورحل المأمون يريد بلاد الروم فغيروا زيهم وحلقوا شعورهم وتركوا لبس الاقبية وتنصر كثير منهم ولبسوا زنانير ، واسلم منهم طائفة ، وبقي منهم شرذمة بحالهم •

وجعلوا يحتالون ويضطربون حتى انتدب لهم شيخ من اهل حران فقيه فقال لهم : قد وجدت لكم شيئا تنجون به ، وتسلمون من القتل •• اذا رجع المأمون من سفره فقولوا له : نحن الصابئون • فهذا اسم دين قد ذكره الله ـ جل اسمه في القرآن فانتحلوه ، فأنتم تنجون به •

وقضى ان المأمون توفي في سفرته تلك بالبذندون ، وانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت لأنه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة •

فلما اتصل بهم وفاة المأمون ارتد اكثر من كان تنصر منهم ورجع الى الحرانية وطولوا شعورهم حسب ما كانوا عليه قبل مرور المأمون بهم على انهم صابئون •• ومن اسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفا من ان يقتل فأقاموا متسترين بالاسلام •

ثم بين ابن النديم انه لا يزال في حران كثير من الاسر بعض اهلها حرنانيون وبعضهم مسلمون ، وبعضهم نصارى حيث قال :

وبحران منازل كثيرة .. بعض اهلها حرانية ممن كان اقام على دينه في ايام المأمون وبعضهم مسلمون، وبعضهم نصارى،ممن كان دخل فيالاسلام وتنصر في ذلك الوقت الى هذه الغاية مثل قوم يقال لهم بنو ابلوط ، وبنو قيطران وغيرهم مشهورين بحران[١٦١] . هذا ما قاله ابن النديم عن صابئة حران ، وقد نقل كلامه هذا كل من تأخر عنه من الباحثين واكتفى عدد كبير منهم به ولم يحاولوا ان يناقشوه ، ولم يفرقوا بين الصابئة الحقيقيين الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، وبين الحرانيين الذين انتحلوا اسم الصابئة انتحالا لينجوا من القتل ، وينعموا بالسماحة التي اظهرها القرآن لاهل الاديان الكتابية ويتمتعوا بالحقوق التي منحها الاسلام للصابئة كأهل دين .

وقد علق احد الباحثين المعاصرين[١٦٢] علىالنص الذي اثبته ابنالنديم بقوله : والذي يظهر من اسئلة المأمون لهؤلاء القوم الذين صادفهم في سفره، والذين لم يكن على علم بهم مع ما كان عليه من سعة العلم ، وواسع المعرفة، والاطلاع على مختلف الاديان والنحل ، حيث كان يجتمع في مجلسه العلمي رؤساء المذاهب والاديان على اختلافها ـ انهم لم يكونوا في بدء الامر صابئة ، وليس لهم علاقة بالصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن . يدلنا على ذلك انهم فكروا في الامر مليا ، وانهم اضطروا الى ان يستشيروا فقهاء حران ، وعلماءها وشيوخها في الامر ، فلو انهم من فرق الصابئة لما اشكل هذا الامر عليهم ، ولما احتاجوا الى ان ينتحلوا هذا الاسم انتحالا .

وكانت وفاة المأمون في عام ٢١٨ هـ (آب ٨٣٣ م) فيكون الحرانيون قد انتحلوا هذا الاسم من ذلك الوقت ، ولم يكن بحران قوم يسمون اويعرفون بالصابئة قبل هذا العام .

---

(١٦١) الفهرست ص ٣٢٠ .

(١٦٢) السيد عبدالرزاق الحسني / الصابئون ص ٣٢/٣١ .

على اننا نعرف من تاريخ الصابئة الحاليين وهم اقرب الى الصابئة الاقدمين من غيرهم انهم يعيشون على ضفاف الانهر : كدجلة والفرات وشط العرب وكارون ، وانه لا اثر لديانة الصابئة في حران ، ولا معبد مقدس لهم هناك ، وما شوهد من طقوسهم الدينية وطرز معيشتهم وعبادتهم وانتسابهم الى الارض التي يسكنونها دون العبادة التي يعبدونها . كل ذلك يدلنا على ان « الحرانية » دين قديم اراد اصحابه الابقاء عليه فانتحلوا له اسم « الصابئة » انتحالا .

عقائد الحرانية : ـ

كل من كتب في الملل والنحل وتاريخ الاديان قرر ان الحرانية فرقة وثنية(١٦٣) وانهم كانوا يقولون : ان صانع هذا العالم ، ومصوره ومدبره ونافعه وضاره هي الكواكب السبعة(١٦٤) .

ولم يفت المؤرخون ذكر اسماء واشكال هياكلهم واوثانهم ، ولون حليها ، والمادة التي صنعت منها وطبيعة الاضاحي التي تختلف باختلاف السيارات(١٦٥) .

وقد بين لنا الشهرستاني عقائد الصابئة الحرانية في الصانع ـ تعالى ـ وصنعه وابداعه وحلوله او تشخصه والتناسخ او القيامة ، والثواب والعقاب(١٦٦) .

---

(١٦٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٧ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ومقدمة الصابئة المندائيون ص ١٣ .

(١٦٤) انظر التمهيد للباقلاني ص ٤٨ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٩٠ .

(١٦٥) انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٤ ص ٩٠ والملل والنحل للشهرستاني وقد ذكر في جـ ٢ ص ١١٥ عددا من اسماء واشكال هياكلهم حيث قال: « واما الهياكل التي بناها الصابئة على اسماء الجواهر العقلية الروحانية واشكال الكواكب السماوية فمنها : هيكل العلة الاولى ودونها هيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت مدورات الشكل . وهيكل زحل مسدس وهيكل المشتري مثلث وهيكل المريخ مربع مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن .

(١٦٦) الملل والنحل جـ ٢ ص ١١٢ ـ ١١٥ .

ا ـ عقيدتهم في الصانع :

قالوا ان الصانع المعبود واحد وكثير

اما واحد ففي الذات ، والاول ، والاصل ، والازل .

واما كثير فلانه يتكثر بالاشخاص في رأى العين وهي المدبرات السبعة والاشخاص الارضية الخيرّة العالمة الفاضلة ، فانه يظهر بها ويتشخص باشخاصها ولا تبطل وحدته في ذاته .

ب ـ عقيدتهم في كيفية حلول الصانع او تشخصه :

« وربما يكون ذلك بحلول ذاته ، وربما يكون بحلول جزء من ذاته ؛ على قدر استعداد مزاج الشخص ؛ وربما قالوا : انما تشخص بالهياكل السماوية كلها وهو واحد ، وانما يظهر فعله في واحد واحد بقدر آثاره فيه وتشخصه به .

فكأن الهياكل السبعة اعضاؤه السبعة . وكأن اعضاءنا السبعة هياكله السبعة فيها يظهر فينطق بلساننا ، ويجيء ويذهب بارجلنا ، ويفعل بجوارحنا .

ج ـ عقيدتهم في صنعه وابداعه :

« قالوا : هو ابدع الفلك وجميع ما فيه من الاجرام والكواكب وجعلها مدبرات هذا العالم وهم الآباء والعناصر امهات ، والمركبات مواليد؛ والآباء احياء ناطقون ، يؤدون الآثار الى العناصر . فتقبلها العناصر في ارحامها فيحصل من ذلك المواليد . ثم من المواليد قد يتفق شخص مركب من صفوها دون كدرها . ويحصل له مزاج كامل الاستعداد فيتشخص الاله به في العالم .

وزعموا ان الله ـ تعالى ـ اجل من ان يخلق الشرور والقبائح والاقذار والخنافس والحيات والعقارب . بل هي كلها واقعة ضرورة من أتصالات الكواكب سعادة ونحوسة واجتماعات العناصر صفوة وكدرة .

فما كان من سعد وخير وصفو ، فهو المقصود من الفطرة ، فينسب الى البارى تعالى . وما كان من نحوسة ، وشر وكدر ، فهو الواقع ضرورة

فلا ينسب اليه بل هي اما اتفاقيات، وضرورات ، وأما مستندة الى اصل الشرور والاتصال المذموم .

د ـ **عقيدتهم في التناسخ او القيامة :**

قالوا : « ثم ان طبيعة الكل تحدث في كل اقليم من الاقاليم المسكونة على رأس كل ست وثلاثين الف سنة واربعمائة وخمس وعشرين سنة : زوجين من كل نوع من اجناس الحيوانات ذكراً وانثى ، من الانسان وغيره فيبقى ذلك النوع تلك المدة ثم اذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الانواع : نسلها وتوالدها . فيبتدىء دور آخر ويحدث قرن آخر من الانسان والحيوان والنبات وكذلك ابد الدهر .

قالوا : وهذه هي القيامة الموعودة على لسان الانبياء ـ ع ـ والا فلا دار سوى هذه الدار : وما يهلكنا الا الدهر(١٦٧) .

ولا يتصور احياء الموتى ، وبعث من في القبور : أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون ؟ هيهات هيهات لما توعدون(١٦٨) . وهم الذين أخبر التنزيل عنهم بهذه المقاله .

هـ ـ **عقيدتهم في الثواب والعقاب :**

قالوا : والثواب والعقاب فيهذه الدار لافي دار اخرى،لا عمل فيهاوالاعمال التي نحن فيها انما هي اجزية على اعمال سلفت منا في الادوار الماضية . فالراحة والسرور ، والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة على اعمال البر التي سلفت منا في الادوار الماضية . والغم والحزن ، والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة على اعمال الفجور التي سبقت منا وكذا كان في الأول وكذا يكون في الآخر .

و ـ **عقيدتهم في النبوة :**

والحرانيون ينكرون نبوة احد من البشر ولكنهم اذا ما سئلوا من اين جاءوا بعقائدهم تلك .. ؟ ادعوا اخذها عن اربعة انبياء : عاذيمون « شيت » وهرمس « ادريس » واعيانا وأذاى .

---

(١٦٧) الجاثية / ٢٤.
(١٦٨) المؤمنون / ٣٥ ، ٣٦ .

قالت السيدة سنيه قراعة :

اما الصابئة من عبدة الكواكب والاصنام فعندما دعاهم ابراهيم الى دين الحنيفية اتخذوا من دراسة ادريس للكواكب ومعرفته لبروجها وتنقلاتها ومدلول هذه التنقلات وارتباطه باحوال الجو وما يتبعها واتباعهم لهذه الدراسة اتباعا بلغ حد التقديس ثم العبادة ، عذرا ينتحلونه مدعين في ذلك انهم يتبعون تعاليم ادريس النبي . وقامت مجادلات بين الحنيفية والصابئة ظهر منها كذب ادعائهم على ادريس[١٦٩] .

أصحاب الروحانيات
او الصابئة المندائيون

في العراق وعلى ضفاف الرافدين وبخاصة في المناطق السفلى من النهرين فيما يسمى « البطائح »[١٧٠] .. وفي ايران وعلى ضفاف نهرى كارون والدز تعيش طائفة من الناس ــ يقدر عدد افرادها بخمس عشرة الف نسمة ــ لها لغة دينية خاصة ، وتعاليم دينية تستقل في بعضها وتشارك في كثير منها اهل الاديان الاخرى ، يطلق عليها من جاورهم ــ قديما وحديثا ــ اسم « الصابئين او الصابئة او الصبة » وتسمى نفسها « مندائي او مندايي »[١٧١] .

وعلى الرغم من ان طائفة المندايي تقيم في هذه المناطق منذ زمن بعيد فان المتنعم في سماتهم العامة كطول القامة وقوة البدن واسبال شعر الرأس وارخاء اللحى وانفرادهم عن الاقوام المجاورين لهم في العادات والتقاليد يدرك

---

(١٦٩) الرسالات الكبرى ص ٣٢ .

(١٧٠) البطائح : جمع البطيحة تطلق على مسيل الماء المتسع الذي على المجرى الادنى للرافدين دجلة والفرات فيما بين واسط شمالا والبصرة جنوبا ويقال احيانا : بطائح واسط او بطائح البصرة نسبة الى هاتين المحافظتين المتقاربتين .

(١٧١) مندائي او مندايي : كلمة مشتقة من كلمة مدعا او مندا الارامية وتعني « العارف » ومنها جاءت كلمة مندا ادهيي وهي اسم احد الملائكة الصالحين عند المندائيين ويعتقدون انه اول من نطق بجملة اكه هيي ، واكه ماري ومعناها : يوجد حي يوجد آله انظر : غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص ٨ .

انهم شعب غريب نزح الى هذه المناطق واستوطنها ، واحتفظ بمميزاته وتقاليده .

فمن هم المندائيون ؟ ومن اين جاؤا ؟ وما هي حقيقة دينهم ؟ وما اهم عقائدهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية ، وكيف يتعبدون ؟ ارجو ان نوفق في الاجابة على هذه التساؤلات من خلال هذا البحث .

١ ـ اصل الصابئة المندائيين ونشاة دينهم ومصدره :

لم نعثر على مصدر يبسط لنا الحديث في تاريخ الصابئة وفي نشأة دياتهم ومصدرها وتطوراتها وانما وجدنا اشارات مقتضبة جدا مبثوثة في بطون الكتب وهي في الوقت نفسه لم تخل من التناقض والاختلاف مما يصعب معه الوقوف على اصلهم وموطنهم وحقيقة دينهم ومصادره الاولى .. ولكن المحقق من امرهم انهم يرجعون الى اصل قديم ، لأن استقلالهم باللغة الدينية ، والكتابة الابجدية لم ينشأ في عصر حديث[١٧٢] .

يقول الصابئة « ان دينهم من اقدم الاديان ان لم يكن اقدمها وينسبون كتابهم المقدس « كنزه ربه » ومعناه : الكنز العظيم الى آدم عليه السلام ويعتقدون ان سام هو جدهم الاعلى[١٧٣] .

والواقع ان لهذا القول ما يبرره ويشهد له فقد قيل ان تعاليم «هرمس او ادريس » ـ الذي هاجر واتباعه من بابل الى مصر وهو يحمل عقيدة التوحيد ـ قد اثمرت وصار له اتباع هناك وانهم كانوا يسمون « الصابئة »[١٧٤] وقيل ان كلمة صابئة قد اطلقت على الذين حرفوا تعاليم

---

(١٧٢) العقاد / ابو الانبياء ص ١٠٨ وانظر غضبان رومي / مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص ٢٠ .

(١٧٣) انظر : غضبان رومي / مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص ١٢ .

(١٧٤) اختلف العلماء في مكان ولادة ادريس .. فقيل انه ولد في مصر بمدينة « ادفو » وقيل في « منف » وقيل انه ولد في بابل ـ وهو الارجح ـ وقالوا: انه اخذ بتعاليم « شيت » ابن آدم جد جد ابيه .. فهو ادريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيت بن آدم .. وانه قد بلغ في الحكمة والعلوم الالهية والطبيعية والفلك مبلغا عظيما حتى ان بعض الامم الهته فيما بعد . انظر : عبدالوهاب النجار / قصص الانبياء ص ٢٥ وسنية قراعة / الرسالات الكبرى ص٢٢ والهاشمي الاديان في كفة الميزان ص ٢١ .

ادريس واصطنع فريق منهم عبادة الكواكب وفريق عبادة الاصنام[١٧٥] . وفي كتاب « حران كويثا »[١٧٦] اى حران السفلى او الداخلية ـ اشارة الى ان اسلاف الصابئين الاوائل قد انحدروا من مصر الى جبل « ماداى » او « ميديا » في منطقة حران .

فهل الصابئة مصريون اصلا قد هاجروا من مصر الى فلسطين ثم الى حران .. ثم الى البطائح في جنوب العراق ؟

ام انهم عراقيون اصلا قد هاجروا مع ادريس الى مصر .. ثم عادوا من حيث نزحوا مارين بفلسطين فحران ؟

وهل ان ادريس عليه السلام هو مؤسس دياناتهم ؟

الاحتمال الاخير غير وارد بالمرة لانهم ينسبون كتابهم المقدس (كنزا ربه) الى آدم وليس الى ادريس .. والحق انه ليس للدين الصابئي مؤسس معروف ، ولم يدّعوا هم نسبته الى واحد معين وان اقرب ما تشبه به هذه الديانة انها ـ كما يقول استاذنا العقاد ـ « كالحوض الذي تصب فيه مسارب الماء من كل مورد ، فاذا اخذت ماءه وحللته وجدت فيه أثرا من كل مسرب ، ولكنها توجد فيه على امتزاج ولا بد من الجهد لتصفيتها والرجوع بكل جزء من اجزائها الى ينبوعه الذي صدر منه في اصله البعيد[١٧٧] .

---

(١٧٥) يعتقد الصابئون المعاصرون بان المصريين القدماء كانوا على دينهم ومن اللطيف جدا انهم ما زالوا يقيمون وجبة طقسية سنوية على ارواح المصريين الذين غرقوا في البحر الاحمر وهم يتبعون النبي موسى واليهود في قصة خروج اليهود من مصر المعروفة وهم يعتقدون بان بين اولئك الذين غرقوا قسما كبيرا يدين بالديانة الصابئية . انظر : اساطير صابئية ص ٢٧ .

(١٧٦) اسم كتاب صابئي باللغة المندائية وقد ترجمته الليدي دراور الى الانكليزية وهو كتاب المفروض فيه انه تاريخي غير ان الحكاية فيه مزيج من التاريخ والاسطورة والنبوة وهو احد الكتب المقدسة عند المندائيين وقد احتفظوا به مكتوبا لصفته الجدالية .

(١٧٧) ابو الانبياء ص ١١٤ .

واما الاحتمال الأول والثاني فقائمان ولعل في قصة ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ما يوضح هذين الاحتمالين ويشد من ازر الاحتمال الثاني .. فكل من تكلم عن عهد ابراهيم من علماء التاريخ والآثار والاديان أشار الى وجود الصابئة في عصره وانه اصطدم بهم وجادلهم طويلا ، ولم يتبعه الا القليل منهم واما اكثرهم فقد تمسكوا بصابئيتهم متذرعين بانهم انما يتبعون تعاليم ادريس(١٧٨) .

وقد مر بنا نص الشهرستاني وهو : « كانت الفرق في زمان ابراهيم الخليل راجعة الى صنفين : احدهما الصابئة ، والثاني : الحنفاء» ونص الفخر الرازي : « لما بعث الله ابراهيم ـ ع ـ كان الناس على دين الصابئة فاستدل ابراهيم عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله : « لا احب الآفلين »(١٧٩) .

فاذا عرفنا ان عصر الخليل يرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وانه ولد ونشأ في « اور » تلك المدينة التي لا تزال آثارها قائمة في نفس المنطقة التي كانت وما زالت موطن الصابئة الرئيس وانه واتباعه اضطروا الى الرحلة الدائمة من اور الى آشور الى فلسطين الى مصر ثم الى فلسطين الى صحراء شبه الجزيرة العربية ثم الى فلسطين حيث استقر(١٨٠) .

اذا عرفنا ذلك ترجح لدينا انهم اصلا من هذه المنطقة وان جنس اسلافهم قد غادروها لاسباب متعددة ثم عاد خلفهم اليها ، وانهم لانطوائهم وانعزاليتهم وتشددهم في نقاوة دمائهم وانسابهم بعدم الزواج من غير جنسهم او تزويجهم قد حافظوا على سماتهم المميزة وعاداتهم الخاصة

---

(١٧٨) انظر : المصدر السابق ص ٢٢٨ وقراءة / الرسالات الكبرى ص ٣٢.

(١٧٩) الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٥ ، ٣٦ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠ .

(١٨٠) انظر العقاد / ابو الانبياء ص ١٠٨ ، ٢٢٢ والدكتور احمد سوسه / العرب واليهود في التاريخ ص ٢٥٦ وتؤكد احدى اساطير الصابئة على ان ابراهيم كان صابئا ... لقد كان ابراهيم على ملتنا ، وندعوه « بهرام » اجل لقد كان من المندائيين بل كان ناصورائي ص ٢٨ من اساطير وحكايات شعبية صابئية / الليدى دراور .

وتقاليدهم الموروثة في حين تطور من حولهم من اقوام وتحضروا . لهذا يبدو الصابئة غرباء في موطنهم .

ولكن هذا الترجيح يبدو ضعيفا نتيجة رفض المندائيين الاعتراف بان موطنهم الاصلي هو جنوب العراق ، واعتقادهم انهم جاءوا من الشمال ، وقد يكون هذا الرفض وذلك الاعتقاد راجعين الى سبب ديني ، وهو اعتقاد المندائيين بان الشمال موطن الاسلاف الالهيين وانه مصدر النور والمعرفة .. يستقبلونه في صلاتهم ويوجهون اليه بعد مماتهم واما الجنوب فهو مصدر الشر والظلام جاء في كتابهم المقدس « كنزه ربه » .. ان عوالم الظلام تقع في الارض المنخفضة في الجنوب .. واولئك الذين يسكنون في الشمال هم بيض البشرة .. اما اولئك الذين يسكنون في الجنوب فهم سود البشره ومظهرهم قبيح كالشياطين[١٨١] ..

واذا صح ان جنوب العراق ــ حيث يقيمون اليوم ــ ليس موطن المندائيين الاصلي وانهم قدموا من الشمال .. فيكونون عندئذ غرباء حقا .. غرباء في السمات ، غرباء في العادات والتقاليد .. ولكن متى ، ولماذا ، وكيف وفدوا الى هذه المنطقة ؟

اجاب كتاب « حران كويثا » على هذه الاسئلة وافاد ان المندائيين كانوا يقيمون في فلسطين وانهم اضطروا ــ بعد وفاة يحيى ــ ع ــ بستين عاما ــ الى الهرب من اضطهاد اليهود لهم في اورشليم .. فأخذوا يبحثون لهم عن مأوى في جبال « ميديا » ومدينة حران في تلك الجبال .. وفي حران وجدوا اخوانا لهم في الدين « الصابئة الحرانية » ثم من هناك بدأت هجرتهم الثانية تحت رعاية الملك « اردوان » الى القسم الادنى من بلاد مابين النهرين حيث اقاموا لهم مراكز بين واسط وخوزستان في مكان يسمى « الطيب » ــ في الجنوب الشرقي من مدينة العمارة ــ وفي الكتاب اشارة الى الفتح العربي الاسلامي لتلك المنطقة وذكر ان وفدا من المندائي برئاسة احد كبار كهنتهم يدعى « دانقا » قد ذهب لمقابلة القائد العربي وعرض عليه امر الصابئة ، وان القائد العربي قد اقرهم على دينهم واعطاهم الامان

(١٨١) الليدى دراور / ومقدمة الكتاب السابق ص ١٣ .

وتكمن اهمية هذه الوثيقة التاريخية في تأكيدها للرواية الشفوية التي يتناقلها المندائيون اليوم وهي : انهم هاجروا الى موطنهم الحالي في العراق من حران وكانوا قبل ذلك في فلسطين(١٨٢) .

يبدأ الكتاب بالتالي :

« .. واستقبلتهم حران المدينة التي كان فيها « الناصورائي »(١٨٣) ولهذا فليس من سبيل لملك اليهوطايي « اليهود » .. وكان على رأسهم الناصورائي ـ ملك اردوان ـ وقد عزلوا انفسهم عن العلامات السبع(١٨٤) ودخلوا في جبل ماداي ، حيث اصبحوا احرارا من تسلط جميع الاجناس ، وقاموا المنادي(١٨٥) وسكنوا هناك بأمر الحي وبقوة ملك النور السامي ..

ويشير المخطوط الى ولادة يسوع باختصار فيقول :

« لقد حرف كلمات النور وابدلها بالظلام ، وغير دين اولئك الذين كانوا على ديني ، وبدل جميع الشعائر ..

وبعد ذلك تحدث عن ولادة يحيى وتنشئته في « الجبل الابيض » وتعميده وتعليمه وادخاله الكهنوتية في جبل ماداى ، ثم الاتيان به الى مدينة اورشليم حيث توجد مجموعة من سكان جبل ماداى :

---

(١٨٢) انظر بدوى وورومي / مقدمة الكتاب السابق ص ١٣ .

(١٨٣) الناصورائي : تطلق على المتمكن من امور الدين والعالم باسراره الخفية وليس له صفة كهنوتية .

(١٨٤) لعل العلامات السبع هي ابناء الروهة ـ روح الشر ـ السبعة وهي الكواكب السبعة التي كان يعبدها الحرانيون وهي : الشمس والقمر والمريخ والمشتري وزحل وعطارد والزهرة .

(١٨٥) المنادى : جمع مندى ، والمندى هو بيت عبادة الصابئة الذي تحفظ فيه كتبهم المقدسة وتعقد في بهوه مجالسهم الروحية ويجرى عنده تعميد رجال الدين وهو يقوم عادة على الضفاف اليمنى من الانهر الجارية ويبنى من حزم القصب والبواري ويطلى من داخله بالطين الحر ويحاط بسياج من قصب وطين وتكون له نافذتان وباب واحد يقابل الجنوب ليستقبل الداخل اليه نجم القطب القائم تحت عرش الرب في عالم الانوار ولايجوز لغير رجال الدين الدخول اليه خلال ساعات العمل الديني ويدعي الصابئة ان المندى قديم قدم الصابئة وانه كان معروفا منذ عهد آدم عليه السلام وكان يبنى من البلور فلما طردوا من القدس صاروا يبنونه من القصب والبواري .

(ثم جاء به « أنوش اوثرا »[186] الى مدينة اورشليم حيث الجماعة التي اوجدتها « الروهه »[187] وكلهم كان من اتباعها واتباع ابنائها عـدا اولئك الذين هم في جبل ماداى) .

ويصف المخطوط يحيى ـ ع ـ بانه معلم ، ومعمد ، وشاف :

« لقد علم حواريين وجعل الكسيحين يسيرون على ارجلهم .. »

ثم ذكر اضطهاد اليهود للناصـورائي مما اضـطر من بقي منهـم الى الهرب واللجوء الى جبال ميديا ، واشار الى معاقبة مضطهديهم من اليهود بواسطة ملك النور السامي « وذهب انوش اوثرا واحرق مدينة اورشليم وخربها ، وقتل بني اسرائيل وكهان اورشليم وجعلها اكواما من الخرائب .

ثم ارخ المخطوط استيطان الناصورائي للطيب ـ جنـوب مدينـة العمارة في جنوب العراق ـ وبعد ذلك تحدث عن فتح العرب وذكر قدوم الوفد الصابئي على الملك العربي « الرسول » واوضح له ان لدى الصابئة كتبا مقدسة ودينا قديما « وهكذا حصل الصابئة على الامان » وعاشوا في ظل المسلمين كأهل كتاب « لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » وقد علقت الليدي دراور ـ التي كان لها فضل ترجمة هذه المخطوطة من اللغة المندائية الى اللغة الانكليزية ـ على هذه الوثيقة التاريخية بقولها :

« ومهما كان الامر فالاسطورة والتقليد وحران كويثا كلها تذهـب باتجاه واحد هو انه في زمن ما كانت جماعة لها نفس عقائد الصابئين تقريبا قد استوطنت بلادا جبلية شمالية وان هذه البلاد لها ما يربطها بحران وان فئة دينية من اورشليم هاجرت بعد ذلك الى الجنـوب وكان لهـا نفس المعتقدات وان لفظ الماداى او المندائي لا علاقة له بالدين[188] . وهناك حكاية يتناقلها الصابئة المندائيـون ، وهي خليـط من كـتـاب « دراشـة اديهيا »[189] وكتاب « كنزه ربه » وكتاب « حران كويثا » تذهب الى ابعد

---

(186) انوش اوثرا : ملك النور السامي الخير .
(187) الروهة : الروح ـ ملك ـ الشريرة التي تجسد المادة والحياة الطبيعية.
(188) الليدى دراور / الصابئة المندائيون ص ٤٥ ـ ٥١ .
(189) قصة وتعاليم يحيى ـ ع ـ .

من تاريخ الصابئة في مصر وانتقالهم الى فلسطين ثم هروبهم الى جبل ماداى في حران وهجرتهم بعد ذلك الى جنوب العراق حيث استقروا حتى يومنا هذا . والجديد في الحكاية انها تجعل موطن الصابئة الأول هو جزيرة سيلان .

وخلاصة هذه الحكاية هي : ان المندائيين الأول كانوا يعيشون في جزيرة سرنديب « سيلان » وقد قضى عليهم جميعا الطاعون ما عدا زوجا وحدا هما « رام » و « رود » وتكاثروا من جديد ولكن نارا اشتعلت وقضت عليهم ما عدا زوجا واحدا ايضا هما « شوربي » و « شرحبيل » و « صار لهذين ابناء وتكاثروا واصبحوا شعبا مرة اخرى » حتى عصر الطوفان . (واخيرا اوصلت الريح السفينة الى مصر حيث رست .. نزل سام وعانق زوجته واباه وحمد « بيت الحياة » على سلامتهم . ثم انه خرج وبنى بيتا من الطين ليسكنه هو وزوجته بينما ذهب نوح يمتع نفسه بالدنيا وجاءت « الروهة » وشاهدت نوحا وتنكرت له بزي زوجته وحيته قائلة «انا زوجتك انهوريتا » فاحتضنها بحملت منه وولدت ثلاثة ابناء هم : حام ويام ويافث . وكان هؤلاء آباء للجنس البشري فقد اصبح حام ابا للسود ويام ابا للشعوب البيضاء ولابراهيم ولليهود ويافت ابا للغجر . الا ان سام وزوجته « انهر » هما اللذان انجبا المندائيين .. وفي اورشليم شاركت « الروهة » موسى نبي اسرائيل بمملكتها وكان موسى عدوا للمندائيين وكان يتنازع معهم حين كانوا في مصر وكان الملك « أردوان » المندائي قد رأى رؤيا سمع فيها صوتا آتيا من « بيت الحياة » يقول : انهض واترك هذا المكان من اجل سلامتك ، فنهض واخذ معه المندائيين وخرجوا من مصر .. حتى وصلوا اخيرا الى « طوره اد مدائي »(١٩٠) .

هذا جل ما عثرنا عليه من تاريخ الصابئة المندائيين ولعله يكفي في القاء ضوء على التعريف بهم وبأصلهم وموطنهم وتنقلاتهم وعلاقاتهم السياسية والدينية بأهل الاديان الاخرى . وقد وضح من خلال وثائقهم واساطيرهم وحكاياتهم ان اليهود كانوا اشد الناس عداوة لهم فهم يصفونهم

---

(١٩٠) الليدى دراور / اساطير وحكايات شعبية صابئية ص ٢٠ ـ ٢٢ والصابئة المندائيون ص ١٥٤ .

كلما مر ذكرهم بانهم « خبثاء » وانهم كانوا حليفي « الروهـة » ـ روح الشر والظلام ـ بل انهم جندها المطيعون .. كان المصريون على ديننا وقد تعلم موسى الذي تربى مع الملك فرعون[١٩١] شيئا من معارفنا وكان اليهود بصفة عامة يعبدون الروهة وابناءها وبخاصة « يوريا »[١٩٢] ويجهلون النور وتعاليم ابناء النور[١٩٣] .

واما المسيح عليه السلام فان المندائيين يعتقدون انه كان على دينهم ولكنه حرف كلمات النور وابدلها بالظلام وغير دين اولئك الذين كانوا على ديني ، وبدل جميع النعام واقام هو واخوانه في جبل سيناء ، ودعوا لانفسهم جميع الناس وجلبوهم لدينهم واطلقوا عليهم اسم « كريستيانا » وسموا على اسم مدينة الناصرة[١٩٤] .

واما محمد ـ عليه السلام ـ فان المندائيين يحترمونه ويلقبونه بملك العرب وبالقائد العربي . وذلك لعدم اعتقادهم بالنبوة والانبياء ، وانما يعتبرونه ـ ص ـ ومن اخذوا عنهم كشيت وادريس وابراهيم ويحيى ـ عليهم السلام ـ عبادا صالحين .. وصلوا برياضة النفس والاخلاص في العبادة الى مقام الزلفى والالهام .. كما يحترمون بيت الله الحرام في مكة ويعتقدون ان ادريس هو الذيانشأه اول مرة وانه بيتزحل اعلى الكواكب السيارة[١٩٥] .

---

(١٩١) اشار الشهرستاني الى ان فرعون كان على دين الصابئة ثم صبا عنه ودعا الى نفسه قائلا :

انا ربكم الاعلى « النازعات آية ٢٤ » ما علمت لكم من اله غيري « القصص / ٣٨ وانظر : الملل والنحل جـ ٢ ص ٩٢ .

(١٩٢) يوربا : قوة من قوى عالم الظلام وهو الذي منح اليهود قوتهم في اعتقاد المندائيين . انظر الليدى دراور / الصابئة المندائيين ص ٢٧ .

(١٩٣) انظر المصدر السابق ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(١٩٤) انظر المصدر السابق ص ٤٦ وهامش اساطير وحكايات شعبية صابئية ص ٣٠ .

(١٩٥) العقاد / ابو الانبياء ص ١١١ وغضبان رومي / مقدمة الصابئة المندائيون ص ١٥ .

ويتضح من جميع ما سبق ان المندائيين لم يكونوا هودا ولا نصارى، كما انهم ليسوا بمسلمين لأن دياناتهم اسبق ظهورا من هذه الاديان ، وتتميز ببعض العقائد والطقوس التي لا توجد فيها الا ان احتكاك هذه الاديان بدين الصابئة ومخالطة اهلها لهم قد تركا اثرا بالغا في طقوس المندائيين وشعائرهم الدينية ــ سيأتي بيانه •

والواقع انني خلال جمعي للمادة التي تكون منها هذا البحث ارتأيت ان المندائيين هي الفرقة التي ترسم خطى الصابئة الذين استجابوا لدعوة ابراهيم الخليل والذين انضووا تحت لواء الحنيفية • والذي حملني على هذا الرأى هو النصوص التالية :

١ ــ من جملة ما يقوله المندائي حتى اليوم في التعميد وفي الرشامة « الوضوء » بالذات واثناء رش الماء على الرأس : « انا •• صبنىنا ابمصبته اد بهرام ربه ، روربي مصبتي تناطرى ، وتشق لريش اشمه ادهيي واشمه اد مندا ادهيي مدخرالي » •

ومعناه : انا ــ فلان بن فلانه ــ تعمدت بعماد بهرام ــ ابراهيم ــ الكبير ابن القدرة وعمادى يحرسني لارتفع به الى العلا اسم الحي واسم مندا اد هيي ــ ملك صالح ــ منطوقان علي[196] •

٢ ــ ومن جملة ما يقوله المندائي حتى اليوم ايضا في البراخة «الصلاة» :

« اسوثه وزكوثه نهو يلخ ملكا مندا اد هيي يرنيضبتون »

اسوثه وزكوثه نهو يلخ ملكا هيبل زيوا »

اسوثه وزكوثه نهو يلخ بهرام ربه[197]

ومعناه : السلام عليك ايها الملاك الذي عرفنا بالحي

السلام عليك ايها الملاك جبريل

السلام عليك يا سيدي بهرام العظيم •

---

(١٩٦) غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص ٢٤ ــ ٢٦ •

(١٩٧) المصدر السابق ص ٢٨ ــ ٣٣ •

٣ ــ تتردد كثيرا في كتب المندائيين وحكاياتهم الشائعة بينهم عبارة ان ابراهيم كان على ملتهم ، وانه كان ناصورائيا •

ولكن بعد ما عثرت على النص الكامل للحكاية التي ترد فيها تلك العبارة وجدتهم يقولون : ان ابراهيم قد خرج عن ملتهم واخذ يناصبهم العداء وانه تحالف مع « يوربا » احد قوى الظلام واستمد منه قوته(١٩٨) •• بعد ذلك تبخر هذا الرأي من ذهني بل كدت اميل الى ان الصابئة المندائيين يقفون في الطرف المقابل للحنيفية وانه ليس المقصود ببهرام الذي يرد اسمه في الوضوء والصلاة ابراهيم الخليل وانما احد الملائكة المقربين • والحق أنه من الصعب جدا القطع برأي حول تحديد مصدر دين الصابئين وانني اصبحت اميل الى انه ليس دينا منزلا وانما هو مذهب « غنوصي » وانما يمكن ان نتفهمه اكثر اذا نظرنا اليه من خلال فكر المذاهب الغنوصية

---

(١٩٨) تتلخص هذه الحكاية في ان ابراهيم كان من المندائيين وكان اخوه رئيس القوم وملكهم وكانت عائلتهم عائلة كهنوتية وان ابراهيم ابتلى بدمل اضطر معه الى اجراء عملية ختان لنفسه وتالم كثيرا لذلك فهو والحالة هذه لا يستطيع ان يقوم بعملية الذبح ولا ان يصبح كاهنا لان المندائيين يعتبرون ناقص الاعضاء والمشوهين غير طاهرين .. ولما اكتشف اخوه ما حدث قال له : في عقيدتنا انك لا يمكن ان تصبح كاهنا بعد الان باي حال من الاحوال ومما لا شك فيه ان منشأ مرضك كان من عالم الظلام وانك قد اقترفت ذنبا فالطاهر النقي لا يمكن ان يصيبه مرض . قال ابراهيم لاخيه : من الاحسن ان اذهب بعيدا عنكم الى البراري ..وهكذا غادر ابراهيم البلد واقام له مركزا في الصحراء وذهب معهجميع الانجاس من بين الصابئين : المجذومين ومبتوري الاعضاء واسرهم وبدا ابراهيم بعبادة « يوربا » وجاء اليه يوربا مع الريح وشرع يوجهه وقومه بما يجب عليهم عمله وكانوا مطيعين لاوامره وتكاثر قوم ابراهيم وقويت شوكتهم . لقد منح يوربا السلطة في هذه الدنيا فمنح هو ابراهيم القوة السحرية يقهر بها النار فلا تحرقه .. وقال ابراهيم للمندائيين : تعالوا معنا وكونوا على ملتنا والا فهي الحرب بيننا .. واعلموا ان لدي قوة مستمدة من يوربا استطيع بها قهر اعدائي . اجاب المندائيون : نحن لا نحارب لان قتل الانفس حرام . قال لهم ابراهيم : اذن سناخذكم عنوة . وصار يلقي القبض عليهم في الطرقات والبراري ويختنهم عنوة وبهذا يجعلهم ناقصي القيمة انجاسا واذا ما قاوموا قتلهم .. » .
انظر : الليدى دراور / اساطير وحكايات شعبية صابئية ص ٢٨ ــ ٢٩ .

(الديانات القديمة غير المنزلة التي فرغنا من بحثها وبخاصة المجوسية « الزرادشتية ») . فان الصلة بين دين الصابئة وتلكم المذاهب تبدو اوضح من الصلة بينه وبين الاديان المنزلة لانها جميعا قد نهلت من مصدر واحد هو « الغنوص »(١٩٩) بينما الاديان المنزلة تلتقي في الاصل لانها نهلت من منهل واحد مخالف هو « الوحي » او « النبوة »

واعتقد أن من المسلم به القول : بانه كما توجد نقاط التقاء او تشابه . ونقاط اختلاف او تعارض بين الاديان الكتابية المنزلة في العقائد والطقوس والشعائر ، كالتوحيد والنبوة والبعث .. وانواع العبادات والمعاملات ، وأحكام الاسرة من زواج وطلاق وميراث ووصايا توجد كذلك نقاط التقاء او تقارب ونقاط اختلاف او تباعد بين الاديان الغنوصية في العقائد والطقوس والشعائر ايضا .. كالتفريد أو التوحيد والمعرفة او الالهام والقيامة أو التناسخ وانواع الحلال والحرام .

كما انه توجد نقاط تشابه ونقاط اختلاف بين الاديان المنزلة والاديان الغنوصية في كثير من العقائد والتعليمات .. كالاعتقاد بوجود كائن اعلى لا يدركه العقل .. واجب الوجود منه استمد الوجود وجوده ، والاعتقاد بالحلال والحرام والقدسي وغير القدسي وبان الغاية هي تنظيم علائق الناس في حياتهم وتعريفهم بمصيرهم بعد مماتهم .

بعد ذلك نقول : انه من الطبيعي ان يكون في دين الصابئة المندائيين ـ الذي هو من عائلة الاديان الغنوصية ـ تشابه مع الاديان الاخرى ـ منزلة وغير منزلة ـ في كثير من الطقوس والشعائر . وان يكون له ما يميزه ويكون شخصيته كدين .

---

(١٩٩) الغنوص او « الغنوسيس » كلمة يونانية الاصل معناها « المعرفة » غير انها اخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيا هو : التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا او تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بان تلقى فيه القاء فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقلية .. وقد اعتبر الغنوصيون عقائدهم اقدم عقيدة في الوجود ، وان الغنوصية اقدم وحي اوحى الله به . علي سامي النشار / نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ١ ص١٧٠.

وقد اصاب استاذنا العقاد الحقيقة عندما قال : « يشتركون مع اصحاب الاديان في شعائر كثيرة ولا يعرف دين من الاديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في احدى الشعائر .. فهم يشبهون البراهمة والمجوس والاورفيين « اصحاب النحل السرية » .. كما يشبهون اليهود والنصارى والمسلمين .. والفلاسفة واصحاب المذاهب العقلية في تفسير الوجود والموجودات . وهم كما يشبهون الجميع يخالفون الجميع[٢٠٠] .

وفي رأيي ان هذا التشابه والاشتراك في كثير من الشعائر مع اهل الاديان الاخرى هو سبب اضطراب كثير من الباحثين ـ قديما وحديثا ـ في تعريف الصابئة[٢٠١] . والحاقهم تارة بهذا الدين او المذهب واخرى بذاك ..

فمن اطلع من الباحثين على احدى شعائر الصابئة التي يشتركون فيها ـ مثلا ـ مع المجوس كتوجههم في العبادة الى قطب الشمال والى الكواكب عامة . قال : ان الصابئة مجوس أو فرقة من المجوسية .

ومن رأى احترامهم وتعظيمهم للكواكب لما فيها من ملائكة ـ حسب اعتقادهم ـ قال عنهم : انهم عبدة كواكب كالحرانية سواء بسواء .

ومن لحظ شعيرتهم التي يشتركون فيها مع البراهمة .. كتحرجهم من ملامسة غيرهم وتطهرهم عندما يلمسون غريبا في حالة من حالات العبادة قال عنهم : انهم براهمة او فرقة من البرهمية ومن شاهد شعيرتهم التي يشتركون فيها مع النصارى وهي التعميد والصوم واحترام يحيى ـ ع ـ قال عنهم : انهم فرقة من المسيحية .

---

(٢٠٠) العقاد / ابو الانبياء ص ١٠٩ .

(٢٠١) يضاف الى ذلك ما ذكرت في بداية البحث من ان رجال الدين الصابئي لا يقرون علنية الدين حتى يبقى تفسيره وقفا عليهم وكتمانهم الشديد لكتبهم الدينية ، وقلة من يعرف لغتها لانها مكتوبة باللغة المندائية التي هي احدى فروع اللغة الارامية قريبة من السريانية وانطواء الصابئة على انفسهم وعدم مخالطتهم لغيرهم وكون ديانتهم ليست تبشيرية .

ومن ادرك التشابه بينهم وبين اليهود في تعليمات الذبائح وشعيرتهم في العيد الكبير الذي يكرصون فيه في منازلهم ويحرمون العمل فيه حتى اعداد الطعام وغسل الاواني والملابس قال عنهم : انهم فرقة من اليهود .

ومن ركز على الجانب الآلهي في التفكير الصابئي المندائي ورأى انهم يميلون الى التوحيد وينبذون الشرك وعبادة الاصنام وانهم لا يعبدون الكواكب وانما يعظمونها فقط وادرك ان هذا التعظيم لا لذات الكواكب وانما باعتبارها مقرا للملائكة وعلم انهم يحترمون ابراهيم ـ ع ـ ويعظمونه في بعض شعائرهم قال عنهم : انهم احناف او كالاحناف . ومن لحظ اشتراكهم في بعض الشعائر بين اكثر من دين قال عنهم : انهم بين هذا الدين وذاك . كمجاهد الذي قال : الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى[٢٠٢] . والقرطبي الذي قال : انهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس[٢٠٣] .

والغريب في الامر ان الصابئة : علماء ومثقفين يلتزمون الصمت ـ قديما وحديثا ـ تجاه تلكم الآراء فلا يدحضون ما يرونه مخالفا لعقيدتهم منها كما انهم لا يؤيدون او يصححون ما يستحق التأييد او التصحيح منها . متذرعين بان ما يقال عنهم وعن دينهم ـ سواء كان صوابا ام خطأ ـ لا يهمهم ما داموا يتمتعون بالحرية الدينية التي تمكنهممن ممارسة شعائرهم حيث يعيشون كما هو واقع الحال .

وقد وعد اثنان من الباحثين المندائيين المعاصرين[٢٠٤] بنشر كتاب يعطينا فكرة صحيحة ويزودنا بمعلومات دقيقة وافية عن دينهم : عقيدة وطقوسا وشعائر . ولكن يبدو انهما اكتفيا بترجمة كتاب « الصابئة المندائيين » الذي الفته المستشرقة الانكليزية الليدى دراور ورغم ان الكتاب قيم وفيه معلومات دقيقة قد افدنا منه ومن مقدمتهما له وتعليقاتهما عليه كثيرا . ورغم صدور عدة كتب وابحاث بلغات اجنبية وعربية عن الصابئين:

---

(٢٠٢) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ١٠٤ .

(٢٠٣) نفسه .

(٢٠٤) هما السيدان : نعيم بدوي وغضبان رومي .

حرانيين ومندائيين فاننا ما زلنا بحاجة الى المزيد من المعلومات التاريخيـة والدينية عنهم .

لذلك نأمل ان يبر الباحثان الفاضـلان بوعدهما وان نرى الكتاب قريبا .

٢ ـ اصول الدين الصابئي :

عرفنا ان الصابئية دين قديم له ميزاته وفلسفته الخاصة وان لاتباعه طقوسهم وشعائرهم المميزة ولغتهم الدينية المستقلة . وان اشتراك هؤلاء الاتباع مع اصحاب الديانـات الطبيعيـة ـ الوضعيـة ـ كالمجوسـية والهندوسية في كثير من الشعائر والطقوس لا يعني تبعيـة دينهم لهـذه الديانات او تفرعه عنها او عن احداها . وان التقى معها ـ في نظرنا ـ في المصدر وهو « الغنوص » .

وعرفنا ايضا ان تشابه بعض شعائرهم مع كثير من شعائر اصـحاب الاديان المنزلة كالحنيفية « ملة ابراهيم » واليهودية والمسيحية والاسلام امر طبيعي لتجاورهم وتعايشهم ولكنه لا يعني اندراج دين الصابئة تحتها او تبعيته لهااولاحدها او تفرعه عنها او عن احدها .

فقد اتضح لنا انه اقدم منها جميعا رغم تأثره بها جميعا وليس ببعيد ان يكون بعضها قد تأثر به ايضا .

وبهذا يتضح لنا خطأ كثير من الباحثين الذين الحقوا الصابئة بأهـل تلكم الاديان والمذاهب الطبيعية او المنزلة ودعواهم ان دين الصابئة قـد تفرع عن هذا الدين او ذاك ، او تركب من هذا الدين وذاك .

واصدق دليل على ذلك هو القرآن الكريم : « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى والمجوس والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد[٢٠٥] .

---

(٢٠٥) الحج / ١٧ وانظر الآية ٦٢ من سورة البقرة وآية ٦٩ من سورةالمائدة.

فان من ينعم النظر في هذه الآية الكريمة يدرك ان الله ــ تعالى ــ قد اعتبر الصابئية دينا مستقلا .. حيث لم يلحقه بغيره من الاديان الخمسة المذكورة في الآية وانه ــ سبحانه ــ قد فرق بين الصابئة كأهل دين وبين اهل الاديان الاخرى ، طبيعية كالمجوس والشرك « الذين اشركوا » ومنزلة كالمسلمين « الذين آمنوا » واليهود « الذين هادوا » والنصارى .

وقد يستنتج من الآية ان المقصود بالصابئين فيها هم « المندائيون » لا ندراج « الحرانيين »(٢٠٦) تحت الذين اشركوا . وان الصابئين المندائيين ليسوا مشركين للمغايرة نفسها ، وللعطف بالواو الذي يقتضيها في اللغة .

ومما يقوى هذا الاستنتاج استقبال الرسول ــ ص ــ لوفد المندائيين الذين عرضوا عليه دينهم ، واخبروه بما في كتبهم واعطاؤه الامان لهم ، وايصاؤه بهم خيرا فيما يروى عنه « سنوا بهم سنة اهل الكتاب » وايضا تميز المسلمين بينهم وبين المشركين في المعاملة واجماع فقهائهم على اعتبارهم من اهل الذمة ، رغم اختلافهم في اعتبارهم من اهل الكتاب ، فأبو حنيفة اعتبرهم من اهل الكتاب ولم يعتبرهم جعفر الصادق منهم . واعتبرهم الاوزاعي ومالك بين اليهود والنصارى وقال الحسن البصري : انهم بمنزلة المجوس والامام احمد : انهم من النصارى أو اليهود(٢٠٧) .

واما اصول الدين الصابئي : فهي ــ كما هو مدون في كتبهم الدينية ــ تتلخص في انهم يؤمنون بالله وينزهونه غاية التنزيه ويصفونه بارفع الصفات .ويؤمنون باليوم الآخر والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في عالم النور او عالم الظلام . ويعتقدون بالملائكة وبانهم مخلوقون لله وان مقرهم الكواكب ولذا يعظمون تلك الكواكب ويؤمنون بانه لا بد من متوسط روحاني « ملك » يهدى الناس الى الحق ويكون شفيعا ووسيطا لهم عند الله ــ تعالى ــ وهم يتطهرون ويصلون ويصومون عن اكل اللحوم

---

(٢٠٦) وضح لنا من خلال عرض عقائد الصابئة الحرانيين في القسم الاول من هذا البحث انهم وثنيون حيث اشركوا في عبادة الله عبادة الكواكب .

(٢٠٧) انظر : الدكتور عبد الكريم زيدان / احكام الذميين والمستامنين في دار الاسلام ص ١٢ ــ ١٥ .

حوالي خمسة اسابيع متفرقة ايامها على طول السنة ، ولهم طقوس كثيرة اهمها :الارتماس في الماء الجارى ولاجله التزموا الاقامة على ضفاف الانهر وبقرب المياه الجارية ولهذا ايضا سماهم من جاورهم «المغتسلة والسابحة» اشارة الى تلك الشعيرة المهمة .

وقد بين لهم دينهم الحلال والحرام في القول والفعل والعمل وشرع لهم احكام الاسرة من زواج وطلاق وميراث(٢٠٨) .

كان ذلك مجمل عقائد المندائيين واصول دينهم وقبل ان ابدأ بعرضها بشيء من التفصيل سأعرض ما كتبه الشهرستاني عنهم فهو افضل وادق من كتبوا في هذا الموضوع من علماء الملل والنحل ومؤرخي الاديان .

يقول الشهرستاني تحت عنوان « مذهب اصحاب الروحانيات»(٢٠٩) ومذهب هؤلاء : ان للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا ، من سمات الحدثان . والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين اليه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة .

اما الجوهر . فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرؤن عن القوى الجسدانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية . قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون »(٢١٠) .

« يقولون : وقد ارشدنا الى هذا معلمنا الأول عاذ يمون وهرمس « شيت وادريس » ــ ع ــ فنحن نتقرب اليهم ونتوكل عليهم وهم اربابنا

---

(٢٠٨) انظر العقاد / ابو الانبياء ص ١١٢ والسيد عبدالرزاق الحسني / الصابئون ص ٣٥ والدكتور يحيى هويدي / محاضرات في الفلسفة الاسلامية ص ٤٦ والشيخ محمد الخضر حسين / محمد رسول الله ص ٢٤ وبدوي وورومي / مقدمة الصابئة المندائيين ص ٢١ والليدى دراور / الصابئة المندائيون ص ٢٧ .

(٢٠٩) الملل والنحل جـ ٢ ص ٦٤ ــ ٦٦ وانظر : محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين جـ ٥ ص ٤٢٦ .

(٢١٠) التحريم / ٦ .

وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله وهو رب الارباب واله الآلهة ، رب كل شيء ومليكه •

فالواجب علينا ان نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذب اخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات • فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم ، ونعرض احوالنا عليهم ونصبو في جميع امورنا اليهم ، فيشفعون لنا الى خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم ، وهذا التطهير والتهذيب ليس يحصل الا باكتسابنا ورياضتنا وفطامنا انفسنا عن دنيات الشهوات استعدادا من جهة الروحانيات •

والاستعداد هو التضرع والابتهال بالدعوات واقامة الصلوات وبذل الزكوات والصيام عن المطعومات والمشروبات وتقريب القرابين والذبائح وتبخير البخورات وتعزيم العزائم فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة •

قالوا : والانبياء امثالنا في النوع واشكالنا في الصورة يشاركوننا في المادة يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب ويساهموننا في الصورة ، أناس بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم ؟ وبأية مزية لهم لزمت متابعتهم ؟ ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون(٢١١) •

وأما الفعل : فقالوا : الروحانيات هم الاسباب المتوسطون في الاختراع والايجاد وتصريف الامور من حال الى حال وتوجيه المخلوقات من مبدأ الى كمال • يستمدون القوة من الحضرة القدسية ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية : فمنها مدبرات الكواكب السبعة السيارة في افلاكها وهي هياكلها • فلكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ، ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ، ومديره •

وكانوا يسمون الهياكل : اربابا وربما يسمونها آباء • والعناصر : امهات ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في

---

(٢١١) المؤمنون / ٣٤ •

المركبات فيتبعها قوى جسمانية ويركب عليها نفوس روحانية مثل انواع النبات وانواع الحيوان . ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمع جنس المطر ملك ومع كل قطرة ملك .

ومنها مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجو :

مما يصعد من الارض فينزل مثل : الامطار والثلوج والبرد والرياح ومما ينزل من السماء مثل : الصواعق والشهب .

ومما يحدث في الجو : من الرعد والبرق والسحاب والضباب وقوس قزح وذوات الاذناب والهالة والمجرة .

ومما يحدث في الارض مثل : الزلازل والابخرة ..

ومنها متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات ومدبرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات حتى لا نرى موجودا ما خاليا من قوة وهداية اذا كان قابلا لهما .

واما الحالة : فاحوال الروحانيات من الروح والنعمة واللذة والرائحة والبهجة والسرور في جوار رب الارباب : كيف يخفى ؟

ثم طعامهم وشرابهم : التسبيح والتقديس والتهليل والتمجيد والتحميد وانسهم بذكر الله تعالى وطاعته ..

٣ ـ عقائد المندائيين :

لا شك في وجود صلة ما وتشابه او اشتراك في بعض العقائد والشعائر بين صابئة حران « الحرانيين » وصابئة بطائح العراق « المندائيين » اذ لم يكن من قبيل المصادفة ان يشير ذلك الشيخ الحراني على بني قومه ان يقولوا: نحن صابئون وذلك عندما شدد عليهم المأمون الخناق وخيرهم بين احد امرين :

اما ان ينتحلوا دين الاسلام او دينا من الاديان التي ذكرها الله في القرآن او يتعرضوا للقتل عن آخرهم(٢١٢) . وكذلك لم تكن من قبيل

---

(٢١٢) انظر : ابن النديم / الفهرست ص ٣٢٠ .

المجاملة تلك العبارة التي وردت في كتاب المندائيين المقدس « حران كويثا » وهو يؤرخ خروج المندائيين من فلسطين الى جبال ميديا •• وفي حران وجدوا اخوانا لهم في الدين » •

ولعل اهم تشابه بينهما هو تعظيم الكواكب •• ولكن مع فارق جوهري فبينما نجد الحرانيين يعبدون الكواكب مباشرة لتشخص الله فيها ـ عندهم ـ ويبنون لها الهياكل ويجعلونها مدبرات هذا العالم • نجد المندائيين يحترمونها فقط لكونها مقرا للملائكة فالتعظيم والاحترام اذن انما هو للملائكة لا للكواكب ذاتها •

والواقع ان هذا التشابه مع عدم تحسس ذلك الفارق الجوهري دفع الكثير من الباحثين قديما وحديثا الى التسوية بين الفرقتين في الحكم ونعت الصابئة عموما بعبادة الكواكب •

والحق ان شعائر المندائيين المعاصرين لم تخل من تقديس الكواكب كالاتجاه الى نجم القطب في العبادة وممارسة بعض رجال الدين منهم التنجيم • وقد انصف استاذنا العقاد وهو يتحدث عن عقيدتهم ويصف الصابئة بانها ملتقى التوحيد القديم والوثنية القديمة « فان بقايا التنازع بين المعتقدات ظاهر في العقائد الصابئية يكاد بعضها ان يكون ردا على البعض الآخر فلا وثنية ولا ايمان بالكواكب من جهة ولا خلاص في الوقت نفسه من الوثنية والايمان بالكواكب على صورة من الصور »(٢١٣) •

ا ـ عقيدتهم في الله :

يعتقد المندائيون ان الله واحد ازلي ابدي لا اول لوجوده ولا نهاية له منزه عن عالم المادة والطبيعة لا تناله الحواس ولا يفضي اليه مخلوق وانه لم يلد ولم يولد وهو علة وجود الاشياء ومكونها(٢١٤) •

---

(٢١٣) ابو الانبياء ص ١١٤ وانظر : بدوي وورومي / مقدمة الصابئة المندائيين ص ٢١ •

(٢١٤) السيد عبدالرزاق الحسني / الصابئون ص ٤٣ ومجلة العربي العدد ١١٢ عام ١٩٦٨ •

وقد اجاب احد المندائين المعاصرين على سؤال : من هو الله ؟ بقوله : هو الحي الازلي خالق السموات والارضين وكل ما فيها وما عليهـا ورب الجميع .

ومن صفاته : انه ملك عالم الانوار السامي رب الحق ذو الحول الشامل، الذي لا شبيه له النور النقي الذي لم ير ، ولم يسمع الغفور التواب الرحمن الرحيم العارف بكل شيء الحكيم العليم لا شريك له بسلطانه(٢١٥) .

ب ـ عقيدتهم في الروحانيات :

يعتقد المندائيون بان الملائكة مخلوقون لله وانهم منزهون عن المادة قد فطروا على الطهارة وجبلوا على التقديس والطاعة ويعتقدون ان فريقـا من جنسهم قد اوكل اليهم مساعدة الخالق ـ تعالى ـ في عملية الخلق وتدبير الكون وأدارة ـ شؤون العالـم . منهم : « هيبـل زيوا » و « اباثـر » و «بثاهيل » وان هؤلاء يعلمون كل شيء ويعرفون الغيب ولكل منهم مملكة في عالم الانوار « المى دنهورا » ولذلك فهم يلون الله في المنزلة والاهميـة والاجلال والتعظيم(٢١٦) .

ويعتقد المندائيون بالارواح الخبيثة ويسمونها « مولخون » ويقولون انها مختلفة الاديان فمنها صابئة ومنها يهود ونصارى ومسلمون ومن هـذه الارواح ما هو موكل بعذاب النفوس في « المطرائي » ومنهـا ما هـو مغرى بتجربة البشر واستدراجهم الى المعصية ومنها ما دأبه الحاق الاذى بالناس . فهم بمنزلة الجن عند غيرهم من اصحاب الاديان الاخرى(٢١٧) .

ج ـ عقيدتهم في النبوة :

النبوة بمعنى ان يزود الله انسانا بالدين والمعرفة وينزل عليه صحفا او كتبا او يوحى اليه بشرع ويبعثه ليعلم الناس ويهديهم ويرشدهم الى الشرع

---

(٢١٥) غضان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص ٩ .

(٢١٦) انظر : الليدى دراور / الصابئة المندائيون ص ١٣٣ واساطير وحكايات شعبية صابئية ص ١٠ والحسني / الصابئون ص ٤٣ .

(٢١٧) الحسني / الصابئون ص ٤٤ والليدى دراور / الصابئة المندائيـون ص ٢٧ .

والدين مرفوضة عند المندائيين لان الله لا يكلم احدا من البشر ولان المبعوث مشارك للمبعوث اليه في المادة والصورة فمن اين لنا طاعته ؟ وبأي مزية لزمت متابعته ، قالوا : ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون .

وهم في الوقت الذي ينفون فيه نبوة احد من البشر يقولون : لا بد من مخلوق متوسط بين الروحانية والمادية يهدي الناس الى الحق .. يستمد المعرفة من الحضرة القدسية ويفيض على الموجودات السفلية فكلام الله لا يصل الى الناس الا بواسطة مخلوق بين النور والتراب . ويذهبون الى ان الانسان الذي يطهر نفسه ويهذب اخلاقه ويروض نفسه على الطاعة والعبادة يحصل لنفسه استعداد واستمداد من غير واسطة ويكون حكمه حكم من يدعي الوحي « النبي » على وتيرة واحدة . ومن هذا القبيل ــ في نظرهم ــ آدم وشيت وادريس ويحيى ــ ع ــ فهم ليسوا انبياء بالمفهوم المعروف للنبوة عند اهل الاديان المنزلة وانما هم اناس طهروا انفسهم عن دنس الشهوات وراضوها على الطاعات حتى توصلوا بنوع من الكشف الى المعارف العليا . وتذوقوا تلك المعارف تذوقا مباشرا ولذلك يصفونهم في كتبهم المقدسة بانهم معلمون معرفون .. واذا ما وصفوهم بالانبياء فانما يقصدون ذلك أي انهم معلمون يستمدون معارفهم بطريق الكشف والتذوق المباشر لا بطريق الوحي ولا بواسطة الاستنتاج والاستدلال . والتشريعات والكتب التي ينسبها المندائيون الى هؤلاء المعرفين لم يدعوا انها منزلة عليهم من الله وانما هي من معارفهم بواسطة الكشف والفيض الالهي ليس غير .

قالت المستشرقة الكبيرة الليدى دراور في عقيدتهم في يحيى ــ ع ــ : « الصابئيون لا يدعون بان دينهم او شعائرهم التعميدية قد جاء بها يوحنا ، بل ان كل ما ينسب اليه هو انه كان معلما عظيما وانه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن وان تغييرات دينية معينة تنسب اليه كتقليل اوقات الصلاة ــ وعددها ــ من خمسة الى ثلاثة يوميا فهو كان بالنسبة لتعاليم الصابئين « ناصورائيا » اى ضليعا في العقيدة ، ذا معجزات تعالج بصورة رئيسة شفاء ابدان الناس وارواحهم فهو بفضل عمله « ناصورائه » لا يفله الحديد ولا تحرقه النار ولا يغرقه الماء . وعيسى ــ ع ــ بالنسبة للاهوتيين الصابئين

« ناصورائي » ايضا الا انه خرج على الدين وقاد الناس الى دين آخر وباح بالعقائد الباطنية وجعل الدين اكثر يسرا(٢١٨) .

وجاء في كتاب « حران كويثا » ان المسيح كان على ملة الناصورائين المندائيين وانه بعد ان تعمد على يد « يوحنا المعمدان » خرج على ملتهم واتخذ له ملة جديدة(٢١٩) .

ومر بنا انهم يقولون : ان ابراهيم الخليل ـ ع ـ كان على ملة المندائيين (بل قد كان ناصورائيا) وانه خرج على ملتهم واخذ يناصبهم العداء .

وجاء في كتاب « كنزا ربه » انه كان قبل ظهور يحيى ملك يسمى «دارا ملكه » ولما مات تشتت الصابئة وتبعثرت كتبهم بفعل الحروب التي دارت بينهم وبين اليهود ، فلما ظهر يحيى جمع ما تبقى من هذه الكتب وصنف كتبا اخرى وزعها على اتباعه كما استعاد الصابئين الفارين من ظلم اليهود وامرهم بالرجوع الى كتبهم القديمة فمنهم من لبى الطلب ومنهم من رفضه(٢٢٠) .

ولعدم تركيز وتعويل الصابئة المندائيين على النبوة والرسالة واعتبارهم عددا من الانبياء ناصورائيين مندائيين وكذلك لعدم نسبة دينهم وشرعهم الى واحد معين من هؤلاء ... واصرارهم على ضرورة وجود متوسط روحاني للهداية والارشاد وتوجههم الى الفيض الالهي كمصدر للدين والمعرفة . كانت قناعتي بان الدين الصابئي دين معرفي ينتسب الى عائلة الاديان والمذاهب الغنوصية وليس هو من ارومة الاديان المنزلة .

وقد وجدت في عبارات بعض الباحثين منهم ما يؤكد هذه القناعة فقد جاء في مقدمة كتاب (الصابئة المندائيون) : « ان اعتقاد الصابئين بالله يشبه الى حد كبير اعتقاد الفئات الغنوصية « المعرفيين » حيث انهم يدركونه عن طريق الفيض الالهي ومن مظاهر الخليقة التي ابدعها »(٢٢١)

ولكن للانصاف نقول : ان كتب المندائيين لم تخل من كلمتي النبوة والرسالة وانها وصفت بعض الناصورائيين بهما . فقد جاء في كتاب « حران

---

(٢١٨) الصابئة المندائيون ص ٢٤ .
(٢١٩) بدوي وورومي / هامش اساطير وحكايات شعبية صابئية ص ٣٠ .
(٢٢٠) الحسني / الصابئون ص ٦٤ .
(٢٢١) بدوي وورومي / مقدمة الصابئة المندائيون ص ١٩ .

كوشا » و « دراشه اديهيا » ان يوحنا كان نبيا ورسولا ومثل هذا الوصف ووجود هاتين الكلمتين في كتبهم يساعد المندائيين على مجاراة اهل الاديان المنزلة المعايشين لهم على ادعاء ان لهم انبياء ورسلا كما لغيرهم وان دينهم ذو جذور سماوية ومما يقوى ادعاءهم هذا ايمانهم باله واحد •

والحق ان المندائيين لم يقصدوا من هاتين الكلمتين معناهما المعروف وانما ارادوا المعني الذي اشرنا اليه قبل وهو ان الموصوف بهما « معلم » ضليع ، ملهم وانه قد ادى مهمته على اكمل وجه •

ومما يؤيد هذا ويدعمه تعليق بعض الباحثين المندائيين على النص السابق الذي ورد فيه وصف يحيى بالنبوة والرسالة : وهو (يقصد الصابئون من كلمة رسول « شليهة » انه جاء الى الدنيا بامر من الرب وبمهمة خاصة لا بمعنى الرسول الذي يأتي بدين جديد[٢٢٢] •

د ـ عقيدتهم في الموت والحياة الاخرى والجنة والنار :

يعتقد المندائيون ان الموت انتقال من العالم المادي ـ الذي بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح التي سرعان ما تتحرر بالموت وتنتقل ـ الى العالم الروحي وتخلد هناك ، لأن عندهم الجسد فان والروح خالدة ولكن بعد ان تحاسب حسابا عسيرا بان توزن اعمال صاحبها فان رجحت حسناته فان روحه تذهب الى عالم الانوار « الجنة » وتتنعم هناك بما يتنعم به القديسون والروحانيون • وان رجحت سيآته فان روحه تقاد الى المطهر « المطراثه » في عالم الظلام « النار » حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوته الى ان تتطهر من ذنوبها ثم ترسل الى عالم الانوار[٢٢٣] •

٤ ـ عبادة المندائيين :

الصابئة المندائيون من اكثر الامم تعبدا واشدها تدينا ومحافظة على طقوسهم وشعائرهم وعاداتهم وتقاليدهم الصابئية لذلك لا نستبعد ان تكون صلاتهم وصيامهم اول كيفية عرفها البشر للصلاة والصوم •• وتشتمل اقامة

---

(٢٢٢) نفسه / هامش الصابئة المندائيين ص ٤١ •
(٢٢٣) انظر : غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص ١٠ وبدوي ورومي / مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص ١٩ والحسني / الصابئون ص ١٣٠ و ١٣٨ •

هذه الصلاة على رسوم وطقوس اضيفت اليها على توالي الازمنة تبدأ بالطهارة وتنتهي بتأدية الصلاة .

١ ـ الطهارة :

أ ـ الوضوء « الرشامة » :

حين يقترب المندائي من النهر يقول : « باسم الحياة العظمى لك الشفاء والطهر أبي وأباهم ملكا برياويز ، اليردنة العظمى للماء الحي » . ثم يشد حزامه ويجلس على شاطيء النهر متجها نحو الجدي ويتلو النية بلغته وترجمتها : « السلام عليك ايها الماء الجاري من تحت عرش الرب الذي يحيي بك كل مافي الارض » . ثم يشرع في الوضوء مبتدئا بغسل اليدين الى المرفقين « ثلاثا » وهو يقول : « باسم الحياة العظمى اطهر يدي بالصلاح وشفتي بالايمان لينطقا كلام النور وليجعل وضوئي حسنا بأفكار النور » . ثم يغسل وجهه «ثلاثا» وهو يقول : « تبارك اسمك وسبحان اسمك ربي الحي ، تجري هذا ، حمدا لسيماء الجلال الاعظم الذي قام من ذاته » .

ثم يبل يده بالماء ويجمع اصابع يده اليمنى ويمررها على جبهته من مبدأ صدغه الايمن حتى نهاية صدغه الايسر « ثلاثا » وهو يقول : « انا ـ فلان بن فلانه ـ ارسم برسم الحياة اسم الحي واسم مندا اد هيي منطوق علي : نطقنا بكلام النور وضمائرنا نقية مؤمنة بافكار النور ابارك اسمك واسبح اسمك . الهي عارف الحياة « مندا اد هيي » مبارك ومسبح انت ذا السيماء العظيمة . سيماء الجلال يا من انبعث من ذاته .

ثم يدخل سبابتيه في اذنيه « ثلاثا » وهو يقول : « اذناى يصغيان لصوت الحي » ثم يستنشق « ثلاثا » ويقول : « انفي يشم رائحة الحي » .

ثم يرش قليلا من الماء على ركبتيه « ثلاثا » ويقول : ركبتاى تنثنيان وتسجدان للحي ربي ثم يرش قليلا من الماء على رجليه « ثلاثا » ويقول : رجلاي سالكتان طريق العهد والايمان « وبعد ذلك يقول : » رسمي لدي انه ليس من عبدة النار « المجوس » ولا من اتباع موسى « اليهود » ولا من اتباع المسيح انه مرسوم بالماء الجارى الرباني ماء الحي الذي لا يجحد الانسان قدرته اسم الحي واسم مندا اد هيي مذكور علي »

ثم يرش قليلا من الماء على رأسه ويقول : انا ــ فلان بن فلانه ــ تعمدت بعماد بهرام الكبير ابن القدرة وعمادي يحرسني لارتفع به الى العلا اسم الحي واسم مندا اد هيي منطوقان علي »

يقوم بعدها ويغمس اطراف اصابع رجليه في الماء ويقول : يرفع عن يدي ورجلي تسلط الشياطين والجن اسم الحي واسم مندا اد هيي منطوقان علي[٢٢٤] .

نواقص الوضوء :

الاشياء التي تفسد الوضوء عند المندائيين هي : البول والغائط وخروج الريح ولمس الحائض والنفساء واللحم الاجنبي والاكل قبل الصلاة . والوضوء ــ عندهم ــ فرض لكل صلاة فلا يجوز الجمع بين صلاتين بوضوء واحد ــ كما هو الحال عند المسلمين ــ .

الغسل « الطماشة » : ــ

الاغتسال فرض عند المندائيين ويشترط ان يكون بالماء الحي ، ولكن بعد ان اضطر كثير من الصابئين الى العيش في المدن بعيدا عن الانهر ومنابع المياه اجاز علماؤهم لهم مؤخرا الاغتسال بمياه الحنفيات على اساس انها متصلة بخزانات متصلة بمياه جارية في الانهر والسواقي والآبار النابعة جوزوا جلب الماء الحي من بعيد وصبه على المغتسل .

كيفية الاغتسال :

يرتسم الشخص في الماء الجاري ثلاث مرات بقول عقب كل مرة باسم الحياة العظمى اسأل القوة لتنعشني اليردنة الماء الجاري لتأتي الى قد ارتسمت في اليردنة تحت سطحها وقبلت العلامة الطاهرة قد لبست اردية النور ووضعت على رأسي اكليلا متألقا ان اسم الحياة واسم مند ادهبي منطوقان علي . « انا ــ فلان فلانة ــ المتعمد بعماد بهرام الكبير ابن القدرة وعمادي سيحرسني ويرفعني الى اعلى » .

---

(٢٢٤) انظر : غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص ٢٢ ــ ٢٦ والحسني / الصابئون ص ٩٠ــ٩١ والليدى دراور / الصابئة المندائيون ص ١٦٨ ــ ١٧٢ .

واذا اراد المغتسل الصلاة فعليه ان يتوضأ بعد الغسل لأن الغسل وحده لايكفي ـ على نحو ما عند المسلمين ـ لاقامة الصلاة .

موجبات الغسل :

والامور التي توجب الغسل عند المندائيين هي : الجنابه ، الحيض ، النفاس ، لمس جثة الميت ، لمس شخص نجس . ويجب ان يكون الغسل من الجنابه ومن لمس جثة الميت حالا قبل الاكل والشرب(٢٢٥) .

٢ ـ الصلاة ((البراخة)) :

يجب على الصابئي المندائي اداء ثلاث صلوات في اليوم : قبيل طلوع الشمس « صلاة الصبح » وعند زوالها « صلاة الظهر » وقبيل غروبها «صلاة المساء » ويقولون ان الصلاة كانت مفروضة عليهم خمس صلوات في خمسة اوقات في اليوم حتى ظهور يحيى ـ ع ـ فضم بعضها الى بعض وجعلها ثلاثة فروض في ثلاثة اوقات .

وتقتصر صلاة المندائيين على الوقوف والركوع والجلوس على الارض من دون سجود وتستغرق قرائة الاذكار والادعية فيها ساعة وربع ساعةتقريبا . ويقرأ بلغته المندائية في صلاة الصبح ما ترجمته :

(١) سبحت الهي بقلب طاهر موجود الحي،موجود الله،موجود مندا ادهيي. بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الانوار الله الذي انبعث من ذاته لا باطل ولا مبطل اسمك ياحي والهي وعارف الحياة .

(٢) مسبح ربي بقلب طاهر عهدا نحفظه باسمائكم ربي الحي .
السلام والطهارة لك يا ابا بيت الرحمة الموقر .
السلام عليكم آباءنا القدامي الموقرين
السلام عليكم يا كتب ربي الحي الازلي الموقر
السلام عليك يا الهي يامرسل الايمان الينا

---

(٢٢٥) انظر : الحسني / الصابئون ص ٨٩ ودراور / الصابئة المندائيون ص ١٦٩ ـ ٣٥٤ .

السلام عليك ايها الملاك الذي عرفنا بالحي

السلام عليك ايها الملاك جبريل

السلام عليك ياسيدي بهرام العظيم

السلام عليك يا ام الحياة

السلام عليك يا يحيى

السلام عليك يا شيت بن آدم الأول

السلام عليك ايها الملاك سام

السلام والطهر عليكم ايها الملائكة والاثرى والمساكن والحياة والجماعات وعلى ساكني عالم الانوار جميعا .

السلام عليكم والزكاة وشفع الخطايا تهدي لهذه النفس ـ فلان بن فلانه ـ التي ذكرت في هذه السورة وطلب الرحمة وشفع الخطايا لي انا .

(٣) مسبح ربي عهدا محفوظا باسماء الحي ربي قوموا ، قوموا ايها الابرار المتعبدون ، قوموا يا عباد يا مؤمنون ، قوموا اسجدوا وسبحوا للحي ربي وسبحوا لملك السلام وسبحوا للاسرار الخفية النورانية .

(٤) باسماء الحي ربي للحي سجدنا وللرب ومندا ادهيي ونسبح لذيـاك الجلال الموقر الذي انبعث من ذاته(٢٢٦) .

ويقرأ في صلاة الظهر الفقرة الاولى والثانية مما سبق في صلاة الصبح ثم يقول:
« بسم الحي ربي انا للحي القيوم سجدنا ولربنا ولمندا ادهيي سجنا ولذياك ذى الجلال الموقر الذي خلق من ذاته .

ويقرأ في صلاة المساء :

(١) باسماء الحي ربي الوقت ، الوقت ، لطلب الرحمة . والاذان لتلاوة السور تعالوا ايها اليقظون جبريل يعلم الساعة وشيتل يترنم بالتراتيل كل انسان يتعمد بالعماد يسلم ويستقيم بتلاوة السور .

---

(٢٢٦) رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئـة ص ٣٢ ، ٢٤ وانظر : دراور / الصابئة المندائيون ص ٣٥١ وما بعدها .

(٢) بأسم الحي ربي للحي سجدنا ولله ومندا ادهبي سبحنا ولذاك ذي الجلال الموقر الذي انبعث من ذاته .

ختام الصلاة :

يقرأ المندائي في نهاية كل صلاة الآتي :

« عهدا نحفظه باسماء الحي ربي المتربع على عالم الانوار العالم بكل عباده السلام والزكاة لكم ياذا القوة والحق ياصاحب الامر والنهي وهادي القلوب . اتشفع خطاياي انا ــ فلان بن فلانه ــ بقوة ياور زيوة وسيمات هي » (٢٢٧) .

٣ ــ الصوم عند المندائيين :

لم يخل دين من الاديان القديمة من ذكر الصوم وفرضه وتعيين مدته وكيفيته ــ مع اختلاف تلكم الاديان في هذه المدة والكيفية ــ ففي اخبار قدماء البابليين والآشوريين والمصريين والهنود .. ماينبيء بان الصوم عبادة عرفها البشر منذ القدم كما فرضت اليهودية والمسيحية الصوم على معتنقيها حتى جاء الاسلام فأيد فرضية الصوم بقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٢٢٨)

والمندائيون يقرون الصوم ولكن لا بمعناه المعروف عند المسلمين «الامتناع الكامل عن الاكل والشرب وجميع المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس من كل يوم من ايام شهر رمضان » وانما يمتنعون عن اللحوم المباحة لهم ــ على نحو صوم المسيحيين ــ حوالي خمسة اسابيع متفرقة ايامها على طول السنة (٢٢٩) .

---

(٢٢٧) رومي / تعاليم دينية ص ٣٤ و ٣٥ ودراور / الصابئة المندائيون ص ٣٥٢ .

(٢٢٨) البقرة / ١٨٢ .

(٢٢٩) الحسني / الصابئون ص ٨٨ ورومي وبدوي / مقدمة الصابئة المندائيون ص ٢١ والليدى دراور / الصابئة المندائيون ص ١٥٤ .

یەکان ، دەیان ، سەدان ، هەزاران

یەکان	دەیان	سەدان	هەزاران
٦	٣	٤	٢

لەبەر ئەوەی رەنووسی ٦ لەخانەی یەکاندایە کەواتە هێمای شەش یەکی‌یە ، وە لەبەرئەوەی رەنووسی ٣ لە خانەی دەیاندایە کەواتە هێمای سێ دەیی‌یە ، وە لە بەر ئەوەی رەنووسی ٤ لە خانەی سەداندایە کەواتە هێمای چوار سەدی‌یە ، وە لەبەرئەوەی رەنووسی ٢ لەخانەی هەزاراندایە کەواتە هێمای دوو هەزارە ٠

ئەو ژمارەیەی کە هێماکەی لەم چوار رەنووسە پێك‌هاتووە : ٦ لە خانەی یەکانو ، ٣ لە خانەی دەیانو ، ٤ لە خانەی سەدانو ، ٢ لە خانەی هەزاراندا ، دەتوانین چەند ناوێکی لێ بنێین ، لەو ناوانە :

٦ + ٣٠ + ٤٠٠ + ٢٠٠٠

یان ٢٤٣٦

یان دوو هەزارو چوار سەدو سی‌و شەش

٦ + ٣٠ + ٤٠٠ + ٢٠٠٠	درێژە ناوی ژمارەکەیە
٢٤٣٦	کورتە ناوەکەیەتی
دوو هەزارو چوارسەدو سی‌و شەش	ناوی ژمارەکەیە بە ووشە

مەشق :

(١) ئەمانە تەواو بکە :

٤	٥	٢	٤	٤٠٠٠+٢٠٠+٥٠+٤
٧	٤	٣	٧	
				٣٠٠٠+١٠٠+٢٠+٥
٨	٣	٠	٦	
٥	٠	١	٥	
				١٠٠٠+٢٠٠+٤٠

(٢) کورتە ناوی هەر یەکێك لەمانەی خوارەوە بنووسە:

هەزارو نۆسەدو چلو پێنج

حەوت هەزارو دووسەدو شازدە

نۆهەزارو حەوتسەدو یەك

چوار هەزارو هەشت

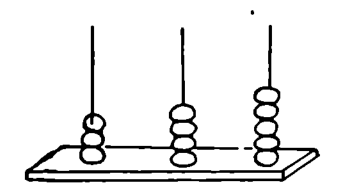
(٣) سێ درێژە نـاو بۆ هەر یەکێك لەمانەی خوارەوە بنووسە :

٣٥

٤١٩

٨٦٣٢

یەکان وەدەیانو سەدان



سەدان	دەیان	یەکان
٣	٤	٥

لەبەر ئەوەی رەنووسی ٥ لە خانەی یەکاندایە کەواتە هێمای پێنج دانەیە ، وە لەبەر ئەوەی رەنووسی ٤ لە خانەی دەیاندایە کەواتە هێمای چوار دەیی یە ، وەلەبەر ئەوەی رەنووسی ٣ لە خانەی سەداندایە کەواتە هێمای سێ سەدی یە ٠

ئەو ژمارەیەی هێماکەی لەم سێ رەنووسە پێكهاتووە : ٥ لە خانەی یەکانو ٤ لە خانەی دەیانو ٣ لە خانەی سەداندا ، دەتوانین چەند ناوێکی لێ بنێین ، لەو ناوانە :

٣٠٠ + ٤٠ + ٥

یان ٣٤٥

یان سێ سەدو چلو پێنج

٣٠٠ + ٤٠ + ٥ درێژەناوی ژمارەکەیە

٣٤٥ کورتە ناوەکەیەتی

سێ سەدو چلو پێنج ناوی ژمارەکەیە بەووشە

مەشق :

(١) ئەمانە تەواوبکە :

ناوی ژمارەکە بە نوسین	درێژە ناو	کورتە ناوەکە
سێ‌سەدو شەستو نۆ	٣٠٠+٦٠+٩	٣٦٩
دوو سەدو حەڤدە	....	....
پێنج سەدو شەش	٥٠٠+٦	....
سەدو هەشتاو حەوت	....	....
چوار سەدو هەشت	....	....
سەدوحەفتا	١٠٠+٧٠	....
دوو سەدو پەنجا	....	....
نۆ سەدو دوازدە	....	....

(٢) لەناو هەر بازنەیەکدا « < » یـا « > » یـا « = » بنوسە :

٣١٥ ◯ ١٣٥

٤٠١ ◯ ٤١٠

٢٦٨ ◯ ٢٧٨

١٥٧ ◯ ١٠٠+٥٠+٧

٧٠٠+٦٠+٤ ◯ ٦٤٧

١٠٠+١٠+٧ ◯ ١١٧

(٩) خانەی رەنووسی ٨ لە هەر یەکێك لەمانەی خوارەوەدا بلێ :

١٨٥ ، ٨٧٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٨٣٢

(١٠) ئەمانەی خوارەوە بخوێنەرەوە :

٦٤٢٧	١٣٨٠١
٩٠٠٥	١٨٧٠٠
١٤١٣٢	٢٨٩٥

(١١) ئەو ژمارەیەی کە رەنووسی ٧ لە هەر یەکێك لەمانەی خوارەوەدا هێماکەی پیشان دەدات چی‌یە ؟:

١٣٧٢٥	رەنووسی ٧ هێمایە بۆ ٧٠٠
١٦٩٧٣	رەنووسی ٧ هێمایە بۆ ٠٠٠٠
١٧٨٥٣	رەنووسی ٧ هێمایە بۆ ٠٠٠٠
١٤٥٠٧	رەنووسی ٧ هێمایە بۆ ٠٠٠٠

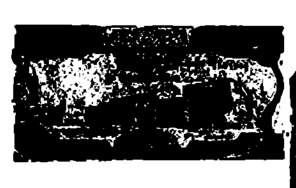
(١٢) رەنووسی ١ هێمایە بۆ کام ژمارە لە هەر یەکێك لەمانەی خوارەوەدا :

١٨٤٩ ، ٧٦١٥ ، ١٥٧٣٨ ، ٣٦٨١ ، ١٩٥٨

پێنج دینار ، دەدینار



پێنج دینار



پێنج دینار



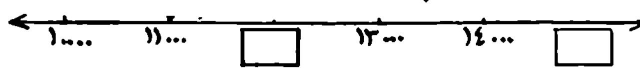






مەشق

(١) ئەمانە تەواوبکە :



(٢) درێژەناوی هەر یەکێك لەمانەی خوارەوە بنووسە :

١٤٧٢٣	٣ + ٢٠ + ٧٠٠ + ٤٠٠٠ + ١٠٠٠٠
١٦٥٧٤	
١٣٦٥٠	
١٧٣٠٦	
١٨١١٥	

(٣) کورتەناوی هەر یەکێك لەمانەی خوارەوە بنووسە :

٩ + ٤٠ + ٥٠٠ + ٧٠٠٠ + ١٠٠٠٠	١٧٥٤٩
٦٠ + ٧٠٠ + ٥٠٠٠ + ١٠٠٠٠	
٤٠٠ + ٩٠٠٠ + ١٠٠٠٠	
٥٠٠ + ١٠٠٠٠٠	
٨٠ + ١٠٠٠ + ١٠٠٠٠	

مەشقی گشتی

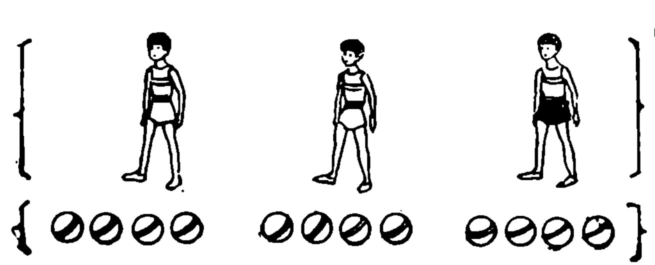
(١) ژمارەی دانەکانی هــەر کۆمەڵەیەك لەم کۆمەڵانەی خوارەوە بڵێ :

{ ئەیلول ، شوبات ، حوزەیران ، ئاب ، مارت }

{ ٥ ، ٧٢١ ، ١١٠ ، ٤٨٥ }

{ن ، ق ، ل ، ع ، ص ، ف ، م}

(٢) ئەمانەی خوارەوە تەواوبکە :



بەرامبــەر هەر کوڕێك .... تۆپ هەیە

بەرامبــەر هەر سێ کوڕەکان .... تۆپ هەیە

فحوى القسم الاول

الصفحة

الصفحة

الصفحة